جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليـا

الحوار في القرآن الكريم

إعداد

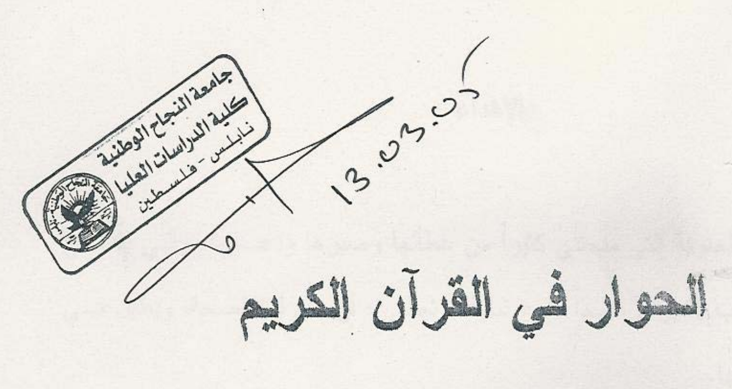
معن محمود عثمان ضمرة

إشراف

الدكتور محمد حافظ الشريدة

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

2005



الحوار في القرآن الكريم



إعداد

معن محمود عثمان ضمرة

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: 5 /1 / 2005م وأجيزت

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1- الدكتور محمد حافظ الشريدة (مشرفاً ورئيساً)	....
2- الدكتور محمد يوسف الديك (ممتحناً خارجياً)	....
3- الدكتور محسن سميح الخالدي (ممتحناً داخلياً)	....

الإهداء

إلى والدتي الحنونة التي منحتني كثيراً من عطائها وصبرها ودعـائها، والتي بثّت فـيّ روح التضحية وحـب الخير، راجـياً ا – تبارك وتعالى – أن يديم لها الصحة، ويطيل فـي عمرها، ويحسن عملها.

إلى والدي الحبيب الذي اهتم بتربيتي منذ نعومة أظفاري، والذي كان حريصاً علـى أن أنهل من معين العلم الشيء الكثير، والذي لم يدّخر جهداً في سبيل تقديم العون والدعم لي.

إلى زوجتي الوفية " أم محمود " التي حملت معي هموم الحياة، وكانت نعم العون لي في كل ملمة، وخير سلوان في كل محنة.

إلى ابني وابنتي اللذَين أبتهل إلى ا – سبحانه – أن يكلأهما بالعنايـة والرعايـة، وأن يزيدهما علماً ونوراً وهداية.

إلى شقيقي وشقيقاتي الذين حرصوا على رفع معنوياتي في كل الظروف والأحوال.

إلى الذين نهلت من ينابيعهم العذبة الصافية الكلمة الطيبة، فكان لهم الفضل عليّ في هذا المقام.

إلى أسرة مديرية التربية والتعليم في محافظة طولكرم.

أهدي هذه الرسالة

الباحث

شكر وتقدير

الحمد الذي أعانني على إتمام هذه الرسالة، أحمده على توفيقه ورعايته وبعد،

فإنني أشكر الأخ الفاضل الأستاذ الدكتور محمد حافظ الشريدة – الذي تكرّم بالإشـراف على رسالتي – على جهوده الطيبة، وتضحيته بالوقت الكافي من أجل تنقيح رسالتي وتـصويب مادتها، إذ كان – جزاه ا خيراً – لا يقصّر في إسداء النصح والإرشاد والتوجيهات الـسديدة. كما أتقدّم بالشكر الجزيل للإخوة الأفاضل في كلية الدراسات العليا وكلية الشريعة على جهودهم ومساعدتهم لي في أثناء دراستي – فبارك ا فيهم -.

ولا يفوتني أن أشكر العاملين في مكتبة دار الحديث الشريف في مدينة طولكرم، والإخوة العاملين في مكتبة مسجد أبي بكر الصديق في نور شمس، الذين قدّموا كل التسهيلات الممكنـة لإتمام هذه الرسالة، فجزاهم ا خيراً وسدّد خطاهم.

وأخيراً إلى كل من قدّم لي يد العون والمساعدة وافر الشكر وعظيم الامتنان.

الباحث

المحتويات

الحوار في القرآن الكريم

إعداد الطالب

معن محمود عثمان ضمرة

إشراف الدكتور

محمد حافظ الشريدة

الملخص

لقد جعلت البحث في تمهيد وأربعة فصول. وقفت من خلال التمهيد على مفهوم الحوار في اللغة والاصطلاح، وبينت أهم الفروق بين الحوار والجدال.

وفي الفصل الأول، تناولت نماذج من الحوار في القرآن الكريم، من خلال الحوار بين الرسل – عليهم السلام – مع أقوامهم، وبحثت في الحوار بين موسى – عليه السلام –والعبد الصالح، والحوار بين السادة والأتباع الذين أضلوهم (يوم القيامة)، واستخلصت أهم العبر والدروس المستفادة من الحوار في هذه النماذج.

وفي الفصل الثاني، تناولت قواعد الحوار والإقناع، مبتدئاً بالاحترام المتبادل بين المتحاورين، ثم البحث عن الحقيقة، وختمت هذا الفصل بالرفق واللين والدفع بالتي هي أحسن.

وفي الفصل الثالث، عالجت آداب الحوار والمناظرة، والتي منها: حسن الإنصات، وشخصية المحاور، وكيفية إنهاء الحوار، وخرجت بعدة توصيات تفيد في الحوار الناجح.

وفي الفصل الرابع، تناولت حوار الحضارات من منظور قرآني، وبينت ضوابطه وأهدافه.

وقد خرجت من خلال بحثي هذا بالعديد من القواعد والآداب الواجب مراعاتها حتى يكون الحوار هادفاً وناجحاً، وأوصيت كل الدعاة والمحاورين أن يلتزموا هذه القواعد والآداب.

وا   ولي التوفيق

مقدمة:

إن الحمد ، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ با من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد ا فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا ا وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

((يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِه ولا تَموتُنَّ إلا وأَنْتُم مُسْلِمُون)) (1).

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴿ 1 ﴾)) (2).

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿ 70 ﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴿ 71 ﴾)) (3).

أما بعد:

فمن أبرز الأساليب الحكيمة والبليغة التي استعملها القرآن الكريم، في إقامة الأدلة على وحدانية ا – تعالى -، وعلى صدق الرسل الكرام – عليهم السلام – فيما يبلغون عن ربهم – عزوجل -: أسلوب الحوار من أجل الوصول إلى الحق عن اقتناع عقلي، وارتياح نفسي، يجعل صاحبه يعيش حياته وهو ثابت على ما آمن به ثباتاً لا ينازعه ريب، ولا يخالطه شك.

---

(1) { آل عمران: 13 }.
(2) { النساء: 1 }.
(3) { الأحزاب: 70، 71 }.

ولعل من الأدلة على ذلك: أن مادة "القول" وما اشتق منها كقال، ويقول، وقل.....إلـخ. هذه المادة التي تدل على التحاور والمراجعة بين الناس في أمور معينة قد تكررت في القـرآن الكريم أكثر من ألف وسبعمائة مرة [1].

وسنرى في هذا البحث – إن شاء ا تعالى – أن القرآن الكريم قد استعمل في إثباته للحق الذي أمر الخالق – عز وجل– عباده باتباعه، أحكم الأساليب، وأنصع الأدلة، وأقوى البراهين، التي تقنع العقول السليمة، والقلوب الطاهرة، والتي تجعل المؤمنين يزدادون إيماناً على إيمانهم.

أهمية البحث وأسباب اختيار الموضوع

لقد دفعني لاختيار هذا الموضوع جملة من الأسباب منها:

1- استغلال الوقت، وتحيّن الفرص في تبليغ الدعوة من خلال حوار هادف وبنّاء، يؤدي إلـى إقناع راسخ.

2- إبراز أسلوب الحوار بشكل لافت، بحيث يتم توظيفه في كثير من المناسبات والمواقف التي تواجه الدعاة.

3- التأكيد على أن الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية.

4- أهمية الحوار باعتباره وسيلة من أهم وسائل الدعوة إلى ا – عز وجل -، يمكن أن يحقّق فوائد جمّة ؛ إذا امتلك الداعية أدواته وهو يحاور الآخرين.

5- الوصول إلى قواعد أساسية منهجية، يرجى أن تكون عوناً جميلاً لكل داعية.

---

(1) عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكـريم**، دار الفكـر، بيـروت، (1401هـ ـ - 1981م)، ص(554-578).

الجهود السابقة

لا بد من التعريج على الجهود العلمية والدراسات التي بذلت فـي موضـوع الحـوار، اعترافاً لأهل الفضل بفضلهم ولأهل السبق بسبقهم، لذا فإنني أذكر باختصار أهم تلـك الجهـود والدراسات التي خلّفها الباحثون في موضوع الحوار.

1- العلامة محمد حسين فضل ا .

لقد كان للسيد محمد حسين فضل ا جهود مشكورة في البحث في الحـوار، وكتابـه " الحوار في القرآن " لا يستغني عنه باحث في هذا الموضوع.

2- الشيخ محمد سيد طنطاوي.

لقد عالج الشيخ طنطاوي موضوع الحوار في كتابـه المعـروف " أدب الحـوار فـي الإسلام"، واستعرض فيه أبرز الآداب التي تخص المحاورة الهادفة، وبيّن نمـاذج من حوارات الرسل – عليهم السلام – مع أقوامهم.

3- الأستاذ محمد راشد ديماس.

ألّف الأستاذ ديماس كتيّبه القيم " فنون الحوار والإقناع "، وركّز فيه على أهـم قواعـد الحوار والمناظرة.

هـذه إشـارات سـريعة لجهـود السـابقين، تاركاً التفـصيل إلـى ثنايـا البحـث وفصـوله – إن شاء ا تعالى -. ويمكن القول: إن هذا البحث سيكون جديداً – بإذن ا – لأنه يؤصّل الحوار تأصيلاً شرعياً ؛ يستند إلى النصوص الشرعية من القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية الشريفة، وفق قواعد التفسير الموضوعي.

منهج المعالجة للموضوع

لقد كان منهجي في البحث على النحو الآتي:

1. جمع الآيات القرآنية التي تتصل بموضوع الحوار والجدال والمناظرة.
2. النص على مناسبة هذه الآيات في سورها واتصالها بالآيات التي ذكرت بعدها، وذكرتُ اسم السورة ورقم الآية.
3. دراسة هذه الآيات دراسة موضوعية بعد بيان المعنى الإجمالي لها.
4. الرجوع إلى المصادر الرئيسة وبخاصة أمّات كتب التفسير.
5. توثيق المراجع وفق المتعارف عليه في البحث العلمي، بحيث يكون توثيقاً كـاملاً عنـد أول ورود له، ثم أكتفي باسم المؤلف والكتاب والجزء والصفحة، إذا ورد مرة أخرى.
6. تخريج الأحاديث من مظانها، مكتفياً بالصحيحين إن كان الحديث فيهما.
7. الاستعانة بكتب اللغة لشرح ما ورد من مفردات تحتاج إلى توضيح

خطة البحث

قسّمت هذا البحث إلى تمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، ووضـعت الفهـارس للآيـات والأحاديث والأعلام، بالإضافة إلى فهرس للموضوعات.

وقد تكلمت في التمهيد عن مفهوم الحوار وجعلته في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الحوار في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: بين الحوار والجدال.

المبحث الثالث: شخصية المحاور الناجح.

المطلب الأول: البيان في الحوار.

المطلب الثني: دور الأمثلة في المحاورة.

الفصل الأول: نماذج من الحوار في القرآن الكريم.

المبحث الأول: الحوار بين الرسل – عليهم السلام –وأقوامهم.

المطلب الأول: الحوار بين نوح – عليه السلام – وقومه.

المطلب الثاني: الحوار بين هود – عليه السلام – وقومه.

المطلب الثالث: حوارات إبراهيم – عليه السلام -.

المطلب الرابع: الحوار بين شعيب – عليه السلام – وقومه.

المبحث الثاني: الحوار بين موسى – عليه السلام – والعبد الصالح.

المبحث الثالث: الحوار في قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف.

المبحث الثاني: كيفية إنهاء الحوار.

المبحث الثالث: تنبيهات ووصايا.

الفصل الرابع: الحوار الحضاري من منظور قرآني.

المبحث الأول: حوار الحضارات في ضوء قوله تعالى " وجعلناكم شعوباً......".

المبحث الثاني: منطلقات حوار الحضارات.

المبحث الثالث: أهداف حوار الحضارات.

المبحث الرابع: حوار الحضارات بين التفاعل الحضاري والخصوصية الحضارية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصّل إليها الباحث.

أسأل ا – تعالى – أن يعينني على التمام، وأن يلهمني الصبر والرشد والـسداد، إنـه سميع قريب مجيب.

الفصل التمهيدي

مفهوم الحوار

وفيه ثلاثة مباحث:-

المبحث الأول: الحوار في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: بين الحوار والجدال

المبحث الثالث: شخصية المحاور الناجح.

مفهوم الحوار

المبحث الأول:- الحوار في اللغة والاصطلاح

الحوار في اللغة:

"**الحوار مأخوذة من الحور وهو**: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء.

والحور: النقصان بعد الزيادة لأنه رجوع من حال إلى حال.

والحور: ما تحت الكور من العمامة لأنه رجوع عن تكويرها.

والمحاورة: المجاوبة، والتحاور: التجاوب.

والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة.

والحور: أن يشتدّ بياض العين وسواد سوادها وتستدير حدقتها وترقّ جفونها " [(5)].

"**وحاوره محاورة وحواراً**: جاوبه وجادله.

وتحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم وتجادلوا .

الحوار: ولد الناقة ساعة تضعه " [(6)].

"**والمحور**: الخشبة التي تدور فيها المحالة، وهي البكرة العظيمة التي يستقى عليها " [(7)].

"**والأحور**: كوكب، وهو المشترى " [(8)].

([5]) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، مادة حور، دار صادر، بيروت، مج4، ص(217 – 219).

([6]) إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، دار إحياء التراث، ج1، ص(204).

([7]) ابن فارس، أبو الحسـين أحمد بن زكريا، **معجـم مقـاييس اللغـة**، دار الفكـر، (1399هـ – 1979م)، ج2، ص(117).

([8]) الجوهري،إسماعيل بن حمّاد، **الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربية"**، دار العلم للملايين، ط3، (1404 هـ – 1984م)، ج2، ص(640).

أما الحوار في الاصطلاح فهو:-

"نوع من الحديث بين شخصين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما، فلا يستأثر بـه أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب" [9]. وقد ورد الحـوار في القرآن الكريم بالمعنى المشار إليه أعلاه في ثلاثة مواضع:-

الأول: ((فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً))[10].

الثـاني: ((قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴿37﴾))[11].

الثالث: ((قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿1﴾))[12].

وقيل: "هو مناقشة بين طرفين - أو أطراف - بقصد تصحيح الكلام،وإظهـار حجـة، وإثبات حق، ودفع شبهة، وردّ الفاسد من القول والرأي"[13].

وقدّم لنا القرآن العظيم نماذج كثيرة من الحوار، منها ما دار بين الله عزّ وجلّ وملائكته في موضوع خلق آدم -عليه السلام - [14]، ومنها ما دار بين الله سبحانه وتعالى وبين إبـراهيم -عليه السلام - عندما طلب من ربّه أن يريه كـيف يحيي المـوتى[15]، وبين مـوسى -عليـه

---

[9] ديماس، محمد راشد، **فنون الحواروالإقناع**، دارابن حزم، ط1(1420هـ - 1999م)، ص(11).

[10] { الكهف: 34 }.

[11] { الكهف: 37 }.

[12] {المجادلة: 1 }.

[13] ابن حميد، صالح بن عبد الله، **معالم في منهج الدعوة**، دار الأندلس الخـضراء، جـدّة، ط1(1420هـــ - 1999م)، ص(212).

[14] {البقرة:30- 32 }.

[15] { البقرة: 260 }.

السلام- حين طلب من ربّه أن يسمح له برؤيته [16]، وبين عيسى -عليه السلام- حين يسأله ربه عما إذا كان طلب من الناس أن يتخذوه وأمه إلهين من دون ا [17]. ومنها الحوار في قـصة أصحاب الجنتين في سورة الكهف [18]، وفي قصة إبراهيم -عليه السلام- حـين هـمّ أن يـذبح ابنه[19]، وفي قصة قارون مع قومه [20]، وفي قصة داود - عليه السلام - مع الخـصـمين[21]، وفي نوح -عليه السلام - مع قومـه [22]،وفي شعيب -عليه السلام- وقومه [23]، وفي قـصة ابني آدم -عليه السلام- [24]، وفي قصة موسى -عليه السلام- مع العبد الصالح [25].

"والأمثلة على ذلك كثيرة في الكتـاب العزيـز، وكلّهـا تـدل علـى أهميـة الحـوار وخطورته[26]" ولقد استخدم النبي صلى ا عليه وسلم طريقة الحوار حين كان يجيب عن أسئلة جبريل – عليه السلام -، فعن عمر بن الخطاب- رضي ا عنه- قال:بينما نحن جلوس عنـد رسول ا صلى ا عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثيـاب شـديد سـواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد،حتى جلس إلى النبي-صلى ا عليه وسلم - فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخديه وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسـلام، فقـال رسول ا -صلى ا عليه وسلم -: الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلاّ ا وأن محمداً رسـول ا وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليـه سـبيلاً، قـال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدّقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن با وملائكته

---

(16) { الأعراف: 143 }.
(17) { المائدة: 116 }.
(18) { الكهف: 32 }.
(19) { الصافات: 102 }.
(20) { القصص: 76 }.
(21) { ص: 21، 22 }.
(22) { الأعراف: 59 }.
(23) { هود: 84 }.
(24) { المائدة: 27- 29 }.
(25) { الكهف: 65 }.
(26) النـدوة العالميـة للـشباب الإسـلامي، **فـي أصـول الحـوار**، دار التوزيـع والنـشر الإسـلامية، (1419هـ – 1998م)، ص(13،14).

وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه، قال: صـدقت، قـال: فـأخبرني عـن الإحسان، قال: أن تعبد ا كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: صدقت، قال فـأخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلـد الأمة ربّـتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيـان، ثـمّ انطلـق، فمكثت ملياً، ثمّ قال لي:- يا عمر! أتدري من السائل ؟ قلت: - ا ورسوله أعلم، قال:-

((هذا جبريل أتاكم يعلّمكم دينكم)) [27].

وفي حديث آخر تظهر فيه طريقة الحوار أيضاً: - أن رجلاً أنكر ولده أتى إلى رسـول ا صلى ا عليه وسلم، فقال: - يا رسول ا : إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، فقال رسـول ا صلى ا عليه وسلم: - هل لك من إبل ؟ قال: نعم، قال: ما لونها ؟ قال: حمر، قال: هل فيها من أورق[28] ؟ قال: نعم، قال: فمن أين ذلك ؟ قال: لعل عرقاً نزعه، فقال رسول ا صـلى ا عليه وسلم: ((وهذا الغلام لعل عرقاً نزعه)) [29].

وفي السيرة النبوية العطرة، نجد نماذج كثيرة متنوعة للحوار، ترد في أشـكال شـتى، لتقدم لنا الدروس التي يحسن بنا الانتفاع بها: ففي أعقاب غـزوة حنين، نجد الرسـول الكـريم – عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم – محاوراً ناجحاً بطريقة لافتة !

فقد وزّع–عليه الصلاة والسلام– الغنائم في قريش وفي قبائل العرب، ولم يعط الأنصار منها شيئاً، "سوى أحدهم" فغضب بعضهم، وقال منهم قائل: "لقي وا رسول ا قومـه" فـدخل عليه سعد بن عبادة فقال: "يا رسول ا إن هذا الحيّ من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم،

([27]) مسلم، أبوالحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسـلام والإحسان، رقم الحديث (1)، دار الفكر، (1403هـ – 1983م)، ج1، ص(37).

([28]) أورق: سواد ليس بحالك بل يميل إلى الغبرة، انظر العسقلاني، أحمد بن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخـاري**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، (1379هـ)، ج9، ص(443).

([29]) البخاري، أبو عبد ا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، **صحيح البخـاري**، كتاب الطلاق، باب: إذا عـرّض بنفي الولد، رقم الحديث (5305)، دار إحياء التراث العربي، ج7، ص(68).

لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، فقسّمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاماً فـي قبائـل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء" فقال رسول ا صلى ا عليه وسـلم: "فأين أنت من ذلك يا سعد"؟ قال: "يا رسول ا ما أنا إلاّ من قومي" قال: "فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة"، فخرج سعد فجمع الأنصار، فأتاهم رسول ا صلى ا عليـه وسـلم فحمـد ا وأثنى عليه بما هو أهله ثمّ قال: - "يا معشر الأنصار، ما قالـة[30] بلغتنـي عـنكم، وجـدة[31] وجدتموها عليّ في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلاّلاً فهداكم ا ، وعالة[32] فأغناكم ا ، وأعداء فألّف ا بين قلوبكم" قالوا: "بلى، وا ورسوله أمنّ وأفضل"، ثـمّ قـال: - "ألا تجيبـوني يـا معـشر الأنصار؟" قالوا: "بماذا نجيبك يا رسول ا ؟ وارسوله المنّ والفضل". فقال: "أما وا لو شئتم لقلتم فلصدقتم وصدّقتم: أتيتنا مكذّباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك وعـائلاً[33] فآسيناك[34]، أوجدتم يا معشر الأنصار في لعاعة[35] من الدنيا تألفت بها قلـوب قـوم ليـسلموا ووكلتم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعيـر وترجعـوا برسول ا إلى رحالكم؟ فو الذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنـصار، ولـو سلك الناس شعباً، وسلكت الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار، اللهمّ ارحم الأنصار، وأبنـاء الأنصـار، وأبناء أبناء الأنصـار، فبكى القـوم حتى أخضلوا لحاهم[36]، وقـالوا:

"رضينا برسول ا قسماً وحظاً"[37]. إنّ في هذه الواقعة دروساً بليغة ومفيدة ينبغي أن نتدبرها، فالرسول الكريم – صلى ا عليه وسلم – لم يلم سعداً لأنه لم يردّ على الأنصار الذين

([30]) قالة: الكلام الرديء.

([31]) جدة: غضب.

([32]) عالة: فقراء.

([33]) عائل: فقير.

([34]) آسيناك: أعناك والمواساة: المشاركة في المعاش.

([35]) لعاعة: شيء يسير، أو بقية يسيرة.

([36]) أخضلوا لحاهم: بلّوها بالدموع.

* معاني المفردات مأخوذة من **كتاب ابن الأثير**، المبارك بن محمد بن محمد، النهاية في غـريب الحـديث، تحـقيق: طـاهر الـزاوي ومحمود محمد، المكـتبة الإسـلامية، (1383هـ - 1963م)، ج1، ص(50)، وج 4، ص(254).

([37]) ابن هشـام، أبو محمـد عبد الملك، **سـيرة النبي صـلى ا عـليه وسـلم**، دار الفكـر، (1401 هـ – 1981م)، ج4، ص(147، 148).

غضبوا، ولم يناقشه في حجته التي فيها ما فيها، بل إنه لم يسأل عن الشخص الذي قـال: "لقـي وا رسول ا قومه"، ولكنّه سأل سؤالاً عاماً، ليجعل الحديث للجميع، وليواجه المـشكلة مـن أساسها.

"وقد كان من الطبيعي أن يجول في قلوب الأنصار أنهم آووا الرسول- عليـه الـصلاة والسلام- ونصروه وأعطوه وصدّقوه، وهذه كلها مزايا، وهي حق لهم، لذا فإنه – عليه السلام – قالها نيابة عنهم، ليقرّ لهم بالجميل، وبعد أن عاتبهم من ناحية وأرضى قلوبهم من ناحية، خـتم كلامه معهم بأن أقرّ لهم أنهم أعلى كعباً في الإسلام من غيرهم، لذلك وكّلهم إلى إسلامهم، ثـمّ بيّن لهم المنّة الكبرى التي فازوا بها إذ يذهب الناس بالشاة والبعير،أما هم فإنهم يعودون بخاتم الأنبياء وأفضل الخلق- عليه الصلاة والسلام-، ثم دعا لهم بالرحمة ولأبنائهم وأحفادهم، لـذلك لا غرابة أن وجدنا الأنصار يبكون، ويفرحون، ويقولون في غبطة وسـعادة ": [38] ((رضـينا برسول ا قسماً وحظاً))[39].

وهكذا نجد أن القرآن العظيم والسنة الشريفة والـسيرة المطهّـرة قـد حفلـت بالشواهد والأمثلة التي تبين معنى الحوار وأهميته، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يـدل على ضرورة تفعيل الحوار بين الآخرين في كل وقت وحين.

---

* أصل الحديث في صحيح مسلم، **كتاب الزكاة**، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسـلام، رقـم الحـديث (139)، ج2، ص(738)، (مرجع سابق).

([38]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(20،19)، (مرجع سابق).

([39]) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، تحقيق: عبد المعطي قلعجـي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (1405هـ – 1985 م)، ج5، ص (177 – 178).

المبحث الثاني

بين الحوار والجدال

لعل من المفيد أن نفرّق بين الحوار والجدال تفريقاً واضحاً يوضح مدلول كل منهما، فالحوار والجدال يلتقيان في أنهما حديث أو مناقشة بين طرفين، لكنهما يفترقان بعد ذلك.

الجدال في اللغة: "هو اللدد في الخصومة والقدرة عليها، يقال: جادله مجادلة وجدالاً: أي خاصمه، والاسم الجدل، وهو شدة الخصومة. وقيل الجدل: مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة"[40].

أما الجدال في الاصطلاح: "فهو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وقيل: الأصل في الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجَدالة وهي الأرض الصلبة" [41].

وأما الحوار والمحاورة: "فهو مراجعة الكلام والحديث بين طرفين، ينتقل من الأول إلى الثاني، ثمّ يعود إلى الأول وهكذا، دون أن يكون بين هذين الطرفين ما يدلّ بالضرورة على وجوب الخصومة"[42].

الحوار يتضمن الجدل:

إنّ كلمة "الجدل" أخذت مدلولاً جديداً يوحي بالطريقة التي يتبعها المتناظران أو المتجادلان، ليغرقا حديثهما أو مناظرتهما بالكلام العقيم، الذي قد يقترب إلى الترف الذهني، بما يثيره من قضايا جانبية أو مناقشات لفظية، تخضع الفكرة إلى متاهات لا يعرف الإنسان كيف

([40]) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة جدل، ج11، ص(105)، (مرجع سابق).

([41]) الأصفهاني، أبو القاسم الحسن بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1 (1418هـ – 1997م)، ج1، ص(117).

([42]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(11)، (مرجع سابق).

تنتهي، وأين تستقر ! ولعل السبب في ذلك هو أن الجدل تحوّل إلى صناعة يقصدها الكثيـرون لذاتها، من أجل التدرب على الأخذ والرّد والدفاع والهجوم في مجالات الصراع الفكري، ليعطّل قوة خصمه، لا ليوصله إلى الحقيقة. أما كلمة "الحوار" فهي أوسع مدلولاً مـن كلمـة الجـدل، باعتبار تضمن الجدل معنى الصراع، بينما نجد الحوار يتسع له ولغيره، مما يراد منه إيـضاح الفكرة بطريقة السؤال والجواب"[43].

إنّ الحوار يتحول إلى جدل مذموم إذا تخلّله اللدة في الخصومة والمعارضة والمنازعـة والتمسك بالرأي والتعصب له دون وجه حق، **فالجدل** :-هو حوار بين طرفين يسوده المنازعـة والتعصب للرأي، وقد ورد الجدل في تسعة وعشرين موضعاً في القرآن الكريم كلّهـا جـاءت بالمعنى المذموم إلاّ في أربعة **مواضع هي:-**

قال تعالى: ((فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿74﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿75﴾))[44].

وقال تعالى:((وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ))[45].

وقال تعالى: ((وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ))[46].

وقال تعالى أيضاً: ((قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿1﴾))[47].

---

(43) فضل ا ، محمد حسين، **الحـوار في القرآن: قواعده – أساليبه – معطياته**، دار الملاك، بيروت، ط6 (1421هـ-2001م)، ص(52)، بتصرف.

(44) { هود: 74، 75 }.

(45) { النحل: 125 }.

(46) { العنكبوت: 46 }.

(47) { المجادلة: 1 }.

"فالجدل لم يؤمر به ولم يمدح في القرآن على الإطلاق، بل جاء مقيداً بالحسنى في الموضعين الثاني والثالث، مجرداً منها بمعنى الحوار الهادئ في الموضعين الأول والرابع[48]". "ونستطيع التفريق بين الجدل المذموم وبين الجدل الذي هو الحوار الهادئ من خلال الغاية، فإن كانت حقاً فالجدال محمود لأنه بمعنى الحوار الهادئ،وإلا فهو مذموم. وكذلك يمكن التفريق من خلال الوسيلة، فإن كانت حسنة فبها ونعمت، وإلا كان مذموماً"[49].

وهناك **قواعد عامة** للجدال بالتي هي أحسن، يحسن بنا أن نذكر بعضاً منها لما لها من فوائد جليلة: -

القاعدة الأولى: -

" على كل من المتحاورين حول موضوع معيّن أن يتخلّى عن التعصّب لوجهة نظره، وأن يعلن استعداده التام للبحث عن الحق والأخذ به عند ظهوره، وقد أرشدنا الله عزّ وجلّ في كتابه إلى الأخذ بهذه القاعدة فقال سبحانه: ((وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ))[50]، وفي هذا غاية التخلّي عن التعصب لأمر سابق، وكمال إعلان الرغبة في نشدان الحق أنّى كان.

القاعدة الثانية: -

على كل فريق من المتحاورين أن يتقيّد بالقول المهذب، البعيد عن كل تجريح أو سخرية أو احتقار لوجهة النظر التي يدّعيها أو يدافع عنها من يجادله"[51]. قال تعالى: ((وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ))[52].

([48]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(13)، (مرجع سابق).

([49]) جريشة،علي، **مناهج الدعوة وأساليبها**، دار الوفاء، ط1 (1407هـ – 1986م)، ص(162).

([50]) { سبأ: 24 }.

([51]) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنّكة، **فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، دار القلم، دمشق، ط1 (1417هـ – 1996م)، ج1، ص(239- 242).

([52]) { العنكبوت: 46 }.

القاعدة الثالثة:-

"الالتزام بالطرق المنطقية السليمة، وعـدم المراوغـة، وتجنـب الروايـات الـساقطة والخرافات والأساطير. ومن هنا أخذ علماء فن "آداب البحث والمناظرة " قاعـدتهم المـشهورة "إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدّعياً فالدليل".

القاعدة الرابعة:-

ألاّ يكون في الدعوى أو في الدليل الذي يقدّمه المجادل تعارض، أي: ألاّ يكون كلامه يناقض بعضه بعضاً فإذا كان كذلك كان كلامه ساقطاً "[53].

من خصائص أسلوب الجدل: لأسلوب الجدل خصائص عديدة، منها:

1- **اعتماده على العلم والمعرفة**، فلا يصح الجدال من غير علم، وقد أنكر القرآن العظيم علـى الذين يجادلون بغير علم، فقـال: ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴿ 65 ﴾ هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴿ 66 ﴾))؟[54].

2- **إقامة الحجة على الخصم وإفحامه**: فالأصل في أسلوب الجدل أن يقيم الحجة واضحة، ولا يترك للمجادل حجة يتمسّك بها، أو شبهة يستدل بها على باطله، قال تعـالى: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿ 258 ﴾))[55].

([53]) **المرجع السابق**، ج1، ص(245).

([54]) { آل عمران: 65، 66 }.

([55]) { البقرة: 258 }.

3- **تنوع بواعثه ودوافعه تنوعاً كبيراً**، فمنها على سبيل المثال:-

أ. بواعث نفسية: كالقناعة الشديدة بفكرة ما، أو التعجب والاستغراب من أمـر ما،كمـا حدث من جدال الملائكة عزّ وجلّ في خلق آدم وجعله خليفة[56]، وتعجب المشركين من الدعوة إلى التوحيد[57].

ب. بواعث علمية: كالاستفادة والسؤال عما يجهل، ومناقشة الأدلة والترجيح بينها.

ج. **بواعث اجتماعية**: كالتحمس والتعصب لقول أو رأي، وهذا التنوع في البواعث يجعل من مهمة الداعية أن يتعرف عليها ليعرف كيف يتعامل مع أصحابها"[58].

([56]) { البقرة: 30- 33 }.

([57]) { ص: 5 }.

([58]) البيانوني، محمـد أبو الفتح، **المـدخل إلى علم الدعـوة**، مؤسـسة الرسـالة، ط3 (1415هـ – 1995م)، ص(267 – 269)، بتصرف.

المبحث الثالث

شخصية المحاور الناجح

تمهيد:

"إن المحاور الناجح هو الذي يمتلك فنيات الحوار ويقصد بفنيات الحوار: مجموعة المهارات المتكاملة التي يتطلبها أداء المحاور للأنشطة التي يتضمنها الحوار بكفاءة، وتنقسم هذه الأنشطة إلى أنشطة في مرحلة الإعداد للحوار وأنشطة في مرحلة تنفيذ الحوار" [59].

"فالحوار غذاء عقول يقبل الناس عليه إقبالهم على غذاء البطون، لذا يغرم بعض المحاورين بشدّ انتباه من حوله وذلك بإثارة فضولهم، كأن يستهلّ حديثه بقصة غريبة أو مثل قديم، أو سرد مقولة لأحد العظماء، فذلك مما يعجب الناس ويجعلهم ينصتون أكثر، لتوقعهم المزيد عنده. ويحسن بعضهم حينما يبدأ حواره باستفهامات متتالية، يستطيع أن يجعل منها عناصر لحديثه، وطريقة لاستدراج صاحبه للتفكير معه. ولذلك فإن المحاور الذكي هو الذي يختبر اهتمام صاحبه بحديثه قبل التوغل في حوار معه ويحاول استثارة اهتمامه بموضوع الحوار، فإن وجد منه أذناً صاغية واصل الحوار، وإلاّ كفّ عنه، إلاّ أن يكون واجباً شرعياً لا بد من إبلاغه به. والمحاور البارع هو الذي يجعل كلماته صوراً تتدفق أمام ناظري صاحبه ومن حوله، مبتعداً عن الرمزية والغموض، باحثاً عن الكلمات والعبارات التي تسمع وترى في آن واحد" [60]. فالمحاور المتميز ينبغي أن يكون سريع البديهة، ذوّاقاً للكلام، مدركاً لأبعاده، قادراً على الاستشهاد بآيات القرآن الكريم في الموضوعات الشرعية بحيث تتوفر لديه القدرة على فهم

([59]) اللبودي، منى إبراهيم، **الحوار "فنياته واستراتيجياته وأساليب تعلمه"**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، (1413هـ - 2003م)، ص(49).

([60]) الحبيب، طارق بن علي، **كيف تحاور؟(دليل علمي للحوار)**، دار البيت العتيق، ط1، (1422هـ - 2002م)، ص(40).

النصوص الشرعية الواردة في الكتاب الكريم والسنة المطهّرة، فإن ذلك مما يعينه على ظهـور الحق، وبخاصة فيما يتعلق بمحاورة غير المسلمين [61].

(61) الهيتي، عبد الستار إبراهيم، **كتاب الأمة** "الحوار: الذات والآخر"، دار الكتب القطريـة، قطـر، ط1، (1425هـ - 2004م)، ص(77)، بتصرف.

المطلب الأول

البيان في الحوار

"إن قوة التعبير وفصاحة اللسان وحسن البيان من أركـان المناقـشة الجيـدة والحـوار الناجح. فكم من حق ضاع لسوء التعبير عنه، وكم من باطل ظهر، لأن الذي يدعو إليه فـصيح بليغ!، بل إن الحقيقة الواحدة قد يختلف فهمنا لها بحسب الطريقة التي قدّمت بها إلينا " [62].عـن أم سلمة – رضي الله عنها – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " إنمـا أن بـشر، وإنكم تختصمون إليّ، ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن [63] بحجته من بعض، فأقضي على نحو مما أسمـع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئاً، فلا يأخذه، فإنما أقطع له به قطعة من النار"[64]، "ففي هذا الحديث الشريف أن التعمّق في البلاغة بحيث يحصل اقتدار على تزيين الباطـل فـي صورة الحق وعكسه مذموم، فإن المراد بقوله: أبلغ، أي أكثر بلاغة، ولو كان ذلك في التوصّل إلى الحق لم يذم، وإنما يذم من ذلك ما يتوصل به إلى الباطل في صـ ـورة الحـق" [65]. "لذلك ينبغي للمحـاور البارع أن يضبط كـلامه، ويتقن لغته– ما أمكن – لأن الكلام المحكم الجميـل الذي يخلو من الخطأ، والذي تتضح فيه مخارج الحروف، والذي يتوالى بانتظام وترتيب، يترك أحسن الأثر في السامع الذي يفهمه ويجعله يحترم قائله، لأنه يراه رجلاً محيطاً بما يقول، قادراً على الإفصاح والإيضاح" [66]. فها هو ذا موسى– عليه السلام – يدعو ربه – عزوجـل – أن

([62]) الحاشـدي، أبو عبد الله فيصل بن عبده، **فن الحوار "أصوله، آدابه، صفات المحـاور"**، دار الإيمان، الإسـكندرية، (د. ط)، (د. ت)، ص(105).

([63]) ألحن: أعلم بالحجة وأبلغ.

([64]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب الأقـضية**، باب: الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، رقم الحديث (1713)، ج3، ص(1337)، (مرجع سابق).

([65]) العسقلاني، **فتح الباري، كتاب الأحكام**، رقم الحديث (7181)، ج13، ص(177)، (مرجع سابق).

([66]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(193)، (مرجع سابق).

يحقق له جملة أشياء تعينه على محاورة فرعون ((رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿ 25 ﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿ 26 ﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿ 27 ﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿ 28 ﴾)) [67].

"إننا نلحظ أنه حينما تحدّث- عليه السلام - عن اللسان ربط به جوهر رسالته كلّها في فهم الناس عنه " يفقهوا قولي "، لأنهم إذا لم يفقهوا قوله فقد انفصمت الرابطة بينه وبينهم، لانعدام وسيلة الاتصال والتفاهم" [68]. ويصر موسى – عليه السلام – على أن يكتمل لديه هذا السلاح الذي لا بديل له عند الداعية، وهو البيان ممثلاً في اللسان، وحينما كلّفه ربه – عزوجل – إعلان رسالته وتبليغها إلى أعتى طغاة عصره فرعون، لم يطلب موسى – عليه السلام – قوة ولا سلاحاً في هذا الصراع الرهيب سوى لسان كامل البيان، ولم يكن لسانه كامل البيان والطلاقة، فطلب الاستعانة بأخيه الفصيح الطلق اللسان: ((وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿ 34 ﴾))[69]. "وحين يكتمل ما لدى موسى – عليه السلام – من شخصية قوية، وعلم واسع، وحجة دامغة، بما لدى هارون – عليه السلام – من طلاقة اللسان في حسن العرض والصياغة البليغة، فهذا كل ما هو في حاجة إليه" [70]. فإذا كان مقصود الحوار هو الوصول إلى الحق، فإن هذا لا يتأتى إلا باستعمال الواضح من الألفاظ واجتناب المجمل منها، لأن المجمل يزيد الخلاف وربما أدّى ذلك إلى انصراف الحوار عن مقصوده، وكان سبباً للحيْدة عن أصل المسألة [71]، وليس من البيان استخدام الغريب من الألفاظ، وما أجمل ما أوصى به ا – عزوجل – رسوله الكريم – عليه الصلاة والسلام – إذ أمره أن يقول ((وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ)) [72]. فالمحاور

([67]) { طه: 25 – 28 }.

([68]) حفني، عبد الحليم، **أسلوب المحاورة في القرآن الكريم**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1958م، ص(17).

([69]) { القصص: 34 }.

([70]) **المرجع السابق**، ص(18).

([71]) العثمان، حمد بن إبراهيم، **أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة**، مكتبة ابن القيم، ط1، (1422هـ - 2001م)، ص(539)، بتصرف.

([72]) { ص: 86 }.

الناجـح يتكلم بتؤدة وتمهّـل حتى يفهم الناس منه، ويعقلوا عنه، تأسـياً بالداعـية الأول النبي – صلى ا عليه وسلم – فعن عائشة رضي ا عنها قـالت: "إنما كـان النبي صلى ا عليـه وسلم، يحـدّث حـديثاً لو عدّه العادّ لأحصاه" [73].

"ومن حسن البيان مخاطبة الطرف الآخر بما يعرف ويفهم، فلا يطالب بأكثر منه، سواء في المجـال العـقدي أو الفكـري أو العملي أو الثقافي" [74]. فعـن علي بن أبـي طالـب – رضي ا عنه – قال: "حدّثوا الناس بما يعرفون،أتحبون أن يكذّب ا ورسوله"[75].

"ومن البيان أن يعرف المحاور متى يتكلم، ومتى ينصت، ومتى يجيب إشارة، وما أجمل كذلك أن يجمّل حواره بشواهد من القرآن الكريم والسنة المطهّرة والشعر والنثر.

ومن البيان أن يكون موضوعياً، فالنـاس تـشدّهم الحقـائق وتـضايقهم العموميـات، ويحترمون من يرفد حديثه بالأرقام والتواريخ والأحداث" [76].

([73]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق**، باب: التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، رقم الحـديث (3004)، ج4، ص(2298)، (مرجع سابق).

([74]) الطريقي، عبد ا بن إبراهيم، **فقه التعامل مع المخالف**، دار الوطن، الرياض، ط1، (1415 هـ)، ص(111).

([75]) البخاري، **صحيح البخاري، كتاب العلم**، باب من خصّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، رقم الحديث(127)، ج1، ص(44)، (مرجع سابق).

([76]) الحبيب، **كيف تحاور؟**، ص(17)، (مرجع سابق).

المطلب الثاني

دور الأمثلة في المحاورة

"إن المتحدث الناجح والمحاور الذكي هو الذي يحسن ضرب الأمثلة ويتخذها إما وسيلة لتقريب وجهة نظره من السامع وشرحها، وإما لإقناعه بفكرته، والأمثلة الجيدة تفيد مع العالم كما تفيد مع من دونه، وتؤثر على الكبير كما تؤثر على الصغير" [77]. ونظراً لأهمية المثل وخطورته، فقد ضرب الله تعالى للناس في كتابه الكريم من كل مثل، قال تعالى ((وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ)) [78]، وقال أيضاً ((وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿43﴾)) [79]." إن الاستعانة بضرب المثل عند القول، فيه تأييد للحديث وتقوية له كالحجة تماماً، ولقد وردت الأمثال في القرآن في عدة مواضع" [80]، قال تعالى: ((إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿24﴾))[81].

فالله تعالى ضرب مثلاً لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض بماء أنزل من السماء، فأخرجت في رباها من زهور ونضرة مختلفة الألوان والأشكال، وحسب أهلها أنهم قادرون على حصادها، فبينما هم كذلك إذ جاءتها

([77]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(54)، (مرجع سابق).
([78]) { الروم: 58 }.
([79]) { العنكبوت: 43 }.
([80]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(170)، (مرجع سابق).
([81]) { يونس: 24 }.

صاعقة أو ريح شديدة كأنها ما كانت حيناً قبل ذلك [82]. " ففي هذا المثل تشبيه حالة الحياة في سرعة زوال نعيمها بعد البهجة بحال نبات الأرض في ذهابه حطاماً ومصيره حصيداً " [83].

لقد سلك القرآن الكريم مسالك شتى في تصوير الدعوة بما يوصلها إلى العقل البشري على اختلاف درجاته، وكان ضرب الأمثال أحد هذه المسالك الهامة التي اتخذها القرآن العظيم وسيلة لتوضيح ما قد يخفى على العقل البشري، أو قد يكون بعيداً عن مجال تصوره وإدراكه. ومن الآيات الكريمة التي يتبين فيها أهمية المثل في حوار أهل الكفر وأصحاب المال الأخرى[84]. قوله تعالى: ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء ﴿24﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿25﴾ وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿26﴾))[85]، "فذكرت الشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة كمثلين يوضحان معنيين قصدت إليهما الآيات الكريمة، إن التوحيد هو الكلمة الطيبة المباركة، والشرك هو الكلمة الخبيثة النتنة، ومهما حاولنا توصيل هذين المعنيين إلى العقول لم نكد نصيب منها كما أصاب هذا المثل الرائع من نفوس الناس" [86]. إن لهذه الأمثال والتشبيهات دوراً لا يمكن تجاهله في التأثير وإقناع الطرف الآخر، ولهذا نجد الدعاة والخطباء يضربون المثل للتأثير على المستمعين وإقناعهم، والمربون يحرصون على إيراد الأمثلة لتقريب الصورة إلى أذهان الأطفال، كما أنها تربي العقل على التفكير الصحيح والقياس السليم، فالأمثال ينضوي معظمها على القياس، فتذكر المقدمات ويطلب من العقل أن يتوصل إلى النتيجة التي يقتنع بها ويراها. ما أحوج المحاور أن يرفد كلامه ببعض من الأمثلة، مع أهمية

---

(82) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، دار الفكر، بيروت، (1401هـ – 1981م)، مج2، ص(413)، بتصرف.

(83) ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحريروالتنوير**، دار سحنون، تونس، (د. ط)، د. ت)، ج6، ص(141).

(84) الوكيل، محمد السيّد، **أسس الدعوة وآداب الدعاة**، دار الوفاء، المنصورة، ط 2، (1406 هـ - 1986م)، ص(134)، بتصرف.

(85) { إبراهيم: 24 – 26 }.

(86) **المرجع السابق**، ص(135).

الانتباه إلى أن المستمع يمل إذا سمع أمثلة معروفة ومكررة، فالمثال ما هو إلا وسـيلة لتقـارب وجهات النظر عجز البيـان وحده عن إيصالها، وعليه لا بد من أن يكـون المثـال دقيقـاً وإلا تحوّل الحديث تخطئة، ونسـيت الفكرة التي من أجلها كان ذلك المثال. والمثـال النـاجح هـو الذي يكون بمستوى السامع، لا دونه فيحتقره، ولا فوقه فيعجزه إدراكه، وما أجمل أن يكون من بيئة السامع حتى يكون أشدّ وقعاً، فالرق من صميم حياة قريش لذلك اختاره الله مـثلاً لهـم [87] ((ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿29﴾)) [88].

"فهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فإن الكافر يعبد آلهة شتى فمثـله بعبـد يملكـه جماعة يتنافسون في خدمته، ولا يقدر أن يبلغ رضاهم أجمعين، والمؤمن يعبد الله وحده، فمثـله بعبد لرجل واحد، قد علم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاكس الخلطاء فيه" [89]. وحتى تكون الأمثال التي يضربها المحاور مثمرة ومؤثرة، لا بد أن تتوافر فيها جملـة من الشروط:

"أولها: صحة التشبيه.

وثانيها: أن يكون العلم بها سابقاً، والكل عليها موافق.

وثالثها: أن يسرع وصولها للفهم، وتكون بعيدة عن الوهم وبعيدة عن التعقيد.

ورابعها: أن تناسب حال الطرف الآخر، لتكون أبلغ تأثيراً وأحسن موقعاً " [90].

([87]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(172)، بتصرف، (مرجع سابق).

([88]) { الزمر: 29 }.

([89]) ابن الجوزي، أبوالفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، المكتب الإسـلامي للطباعـة والنشر، (1385هـ - 1965م) ج7، ص(179، 180).

([90]) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، **أدب الدنيا والدين**، تحقيق: مصطفى السّقا، دار الكتـب العلميـة، بيروت، ط4 (1398هـ - 1978 م)، ص(276).

"فالمثال في الحوار له فوائد جليلة ترفع من شخصية المحاور وتزيده جاذبيـة وتـأثيراً، ومن هذه الـفوائد: التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وتقريب المـراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس، فإن الأمثال تصوّر المعاني بصورة الأشخاص، لأنها أثبـت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس" [91].

([91]) السيوطي، جـلال الدين عبد الرحمـن، **الإتقان في علوم القـرآن**، مطبعة مصطفى البـابي الحلبـي، مـصر، ط4 (1398 هـ - 1978 م)، ج2، ص (167).

الفصل الأول

نماذج من الحوار في القرآن الكريم

وفيه خمسة مباحث:-

المبحث الأول: الحوار بين الرسل – عليهم السلام –وأقوامهم.

المبحث الثاني: الحوار بين موسى – عليه السلام – والعبد الصالح.

المبحث الثالث: الحوار في قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف.

المبحث الرابع: الحوار بين السادة والأتباع الذين أضلّوهم (يوم القيامة).

المبحث الخامس: الحوار بين الخير والشر في قتل النفس.

المبحث الأول

الحوار بين الرسل عليهم السلام وأقوامهم

تمهيد:

اقتضت حكمة الله تعالى، ورحمته بعباده، أن يختار بمحض فضله وكرمه من يصطفيهم من خلقه، ممن ميّزهم بخصائص لا يشاركهم فيها غيرهم، رسلاً في كل أمة، ليبيّنوا للناس طرق الخير وسبل السعادة في الدارين، فيدعونهم إلى عبادة الله وحده، ويحذرونهم من عبادة غيره، ويأمرونهم بمكارم الأخلاق، ومحاسن العادات، وينهونهم عن قبيحها. وقد بيّن الله تعالى ذلك في كتابه العزيز بقوله عزّ وجل: ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿25﴾))[92]. وقوله تعالى: ((وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ))[93]. "إن من أهم أهداف الرسل أن يحرّروا البشرية من عبادة العباد، وتأليه الأحجار والأشجار والكواكب، وأن يوصلوها إلى عبادة الله وتوحيده، وبيان أسمائه وصفاته، وأن يبيّنوا لهم الحقائق الأخرى التي لا يمكن للإنسان أن يدركها بعقله، كالبعث والحساب والجزاء على الأعمال في اليوم الآخر، حتى يؤمنوا ويصدّقوا بها.

ثمّ بيان طرق الخير والشّر، ووضع قواعد الحق والعدل ليسود الأمن والاستقرار المجتمع الإنساني"[94]. وقد استخدم الرسل – عليهم السلام – أسلوب الحوار في دعوتهم أقوامهم، لما لهذا الأسلوب من نتائج طيّبة وآثار إيجابية في الدعوة إلى الله تعالى.

([92]) { الأنبياء: 25 }.

([93]) { النحل: 36 }.

([94]) الفقيهي، علي بن محمد ناصر، **منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان**، ط1 (1405هـ – 1984م)، ص(179، 181، 182)، بتصرّف.

المطلب الأول

الحوار بين نوح عليه السلام وقومه

أخبرنا الله عزّ وجّل أنه بعث نوحاً رسولاً إلى قومه، فقال تعالى: ((لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿59﴾))[95]. فها هو ذا نوح -عليه الصلاة والسلام – يطلب من قومه عبادة الله وحده،ولا يدّخر وسعاً في سبيل دعوة قومه إلى عبادة الله تعالى دون سواه، قال تعالى: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿25﴾ أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿26﴾))[96]. هذه هي رسالة نوح–عليه السلام- وهي خلاصة رسالة كل رسول. (وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلا خلا فِيهَا نَذِيرٌ))[97]. فرسالة نوح – عليه السلام – من حيث العقيدة، هي رسالة كل نبي في الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده، وإفراده بالعبادة والخضوع والطاعة، وفي تعريف أقوامهم بصفات الله تعالى وأفعاله، وفي الإيمان بالبعث والجزاء والحساب، والجنة والنار.

أساليب نوح – عليه السلام – في الدعوة إلى الله:

"قام نوح – عليه السلام- بواجبه في دعوة قومه إلى عبادة الله وحده، وبلّغهم الدعوة كما أمره الله عزّ وجلّ. وقد سلك معهم مختلف الأساليب والوسائل في الدعوة، بهدف إقناعهم والتأثير فيهم، ليتخلّوا عن باطلهم، ويتبعوا الحق ويتمسّكوا به.

فمن أسلوب الترغيب، إلى أسلوب التحبيب، إلى أسلوب الترهيب، إلى أسلوب البرهان، إلى الدعوة في كتمان ثمّ في أعلان، إلى الدعوة في الليل، إلى الدعوة في النهار"[98].

---

(95) { الأعراف: 59 }.
(96) { هود: 25، 26 }.
(97) { فاطر: 24 }.
(98) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **القصص القرآني "عرض وقائع وتحليل أحداث"**، دار القلم، دمشق، ط1 (1419هـ - 1998م)، ج1، ص(167).

فها هو ذا يتحـبب إليهم بقـوله ((يَا قَوم اعبُدوا اللهَ مَا لَكُم مِن إلهٍ غيره)) [99]. "وقـوله "يا قوم" هو تقرّب منهم وتحبّب لهم، ليقبلوا دعوته. وفي قوله لهم "إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم" إشعارهم برحمته لهم وشفقته عليهم، فمن أجل ذلك يدعوهم إلى الإيمان با تعالى وحـده وعبادته وحده لا شريك له"[100]. وهو يرغّبهم بنيل الخـير والبركـة إن اسـتجابوا لدعوتـه: ((اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴿10﴾ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً ﴿11﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً ﴿12﴾))[101].

"أي إذا تبتم إلى ا واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم، وأسقاكم مـن بركـات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدرّ لكم الضرع، وأمدّكم بـأموال وبنين، أي أعطاكم الأموال والأولاد وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، وخلّلها بالأنهار الجارية بينها، هذا مقام الدعوة والترغيب، ثمّ عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب"[102].

نوح - عليه السلام – يواجه الملأ من قومه:-

واجه نوح – عليه السلام – الملأ من قومه، الذين كانوا يقـودون أتبـاعهم الكـافرين، ويوجّهونهم لمواجهة نوح. وتخبرنا آيات القرآن العظيم في قصة نـوح – عليـه الـسلام – أنّ هؤلاء الملأ هم الذين قادوا قومهم في مواجهته، وهم الذين أثاروا الشبهات ضده، وضد أتباعـه ودعوته، وقدّموا طلباتهم له، ووجّهوا تهديداتهم إليه." وقد واجه نوح هـؤلاء " المـلأ " وفنّـد شبهاتهم، ولم يستجب لطلباتهم، ولم يرضخ لتهديداتهم، وإنّما تحدّاهم، وحاربهم، واستعلى علـيهم بإيمانه، متوكلاً على ا ربه " [103]. وها نحن أولاء نسير مع آيات القرآن الكريم لنقف علـى

([99]) { الأعراف: 59 }.

([100]) الميداني، عبد الرحمن حسـن حبنكـة، **نوح عليه السـلام وقومـه في القـرآن المجيد**، دار القلم، دمـشق، ط1 (1410 هـ – 1990 م)، ص(45).

([101]) { نوح: 10-12}.

([102]) حوّى، سعيد، **الأساس في التفسير**، دار السلام، القاهرة، ط1، (1405هـ - 1985م)، مج11، ص(6155).

([103]) الخالدي، **القصص القرآني**، ج1، ص(171)، (مرجع سابق).

أهم محطات الحوار التي دارت بين نوح – عليه السلام – وبين الملأ من قومه. قـال تعـالى: ((قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴿ 60 ﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ 61 ﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴿ 62 ﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿ 63 ﴾)) [104].

"هذا ردّ نوح على اتهام قومه له، حيث حاورهم قائلاً: إنني لم آمركم بما أمرتكم بـه من باب الضلال، فلست ضالاً كما تزعمون، ولكني رسول من ربّ العالمين، أرسـلني إلـيكم لأبلغكم رسالاته وأنصح لكم في تحذيري إياكم عذاب ا ، على كفركم وتكذيبكم، وأعلم مـن ا ما لا تعلمون، وأن عقابه لا يردّ عن القوم المجرمين" [105].

" ثم قال لهم: "أو عجبتم أن جاءكم التذكير من ا مع رجل منكم، لينـذركم بـأس ا ، ويخوفكم عقابه، ولكي تتقوا عقاب ا وبأسه بالأيمان به وطاعته، وليرحمكم ربكـم إن فعلـتم ذلك" [106].

([104]) { الأعراف: 60 – 63 }.

([105]) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن "مختصر وتهذيب"**، تحقيق: صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط1، (1418 هـ – 1997 م)، ج3، ص(629).

([106]) **المرجع السابق**، ج3، ص(629).

شبهات الملأ ضد نوح –عليه السلام- وردوده عليها:

الشبهة الأولى: قال تعالى " ((مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِثْلَنا)) [(1)].

"أنه بشر لايصلح أن يكون رسولاً من عند ا عزوجل، فالبشرية- في زعمهم – تمنـع من الاتصال برب العالمين، لتلقي رسالة منه، وتمنع من الاتصال برسـول رب العـالمين مـن الملائكة، لتلقي رسالة ا عنه" [(2)].

تلقى نوح عليه السلام هذا الاتهام والإعراض والاستكبار، فـي سـماحة النبـي وفـي استعلائه وفي ثقته بالحق الذي جاء به، واطمئنانه إلى ربه الذي أرسله، وفي وضـوح طريـق واستقامة منهج. فلا يشتم كما شتموا، ولا يتهم كما اتهموا، ولا يدّعي كما ادعوا، ولا يحاول أن يخلع على نفسه مظهراًعلىغير حقيقته ولا على رسالته شيئاً غير طبيعتهـا. "خـاطبهم بقولـه: "ياقوم" في سماحة ومودة بندائهم ونسبتهم إليه، ونسبة نفسه إليهم، إنكم تعترضون فتقـولون "ما نراك إلا بشـراً مثلنا" فما يكون رأيكم إن كنت على اتصـال بربي عن طريق الوحي، وهـي خاصية لم توهبوها، وإن كان ا آتاني رحمة من عنده واختـارني للرسـالة، أو آتـاني مـن الخصائص ما أستحق به حمل الرسالة –وهذه رحمة بلا شك عظيمة – مارأيكم إن كانت هـذه وتلك خفيت عليكم خفاء عماية، لأنكم غير متهيئين لإدراكها، وغير مفتوحي البصائر لرؤيتها ؟ إنه ماكان لي وما أنا بمستطيع أن ألزمكم الإذعان لها والإيمان بها "وأنتم لها كارهون" !

وهكذا يتلاطف نوح في توجيه أنظارهم ولمس وجدانهم وإثارة حـساسيتهم لإدراك القـيم الخفية عليهم، والخصائص التي يغفلون عنها في أمر الرسالة والاختيار لهـا، ويبـصرهم بـأن الأمر ليس موكولاً إلى الظواهر السطحية التي يقيسون بها"[(3)].

---

(1) { هود: 27 }.

(2) الميداني، **نوح وقومه في القرآن المجيد**، ص(89، 90)، (مرجع سابق).

(3) قطب، سيّد، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، ط9، (1400هـ - 1980م)، مج4، ص(1873).

الشبهة الثانية:

اتهام نوح –عليه السلام – بالحرص على كسب الأموال وتحقيق المنافع الد نيوية ! فردّ عليهم قائلاً: ((وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ)) [107]، " وفي هذا تبيان لهـم أنه لايريد نفعاً دنيوياً فلا يسألهم على ما جاء به مالاً يعطونه إياه، فلماذا يتهمونه حتى يقطعـوا بأنه كاذب ؟ وجملة ((إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ)) احتراس، لأنه لما نفى أن يسألهم مـالاً، والمـال أجر، نشأ توهّم أنه لايسأل جزاء على الدعوة فجاء بجملة ((إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ)) احتراسـاً. والمخالفة بين العبارتين في قوله "مالاً" و" أجري" تفيد أنه لا يسأل من ا مالاً لكنه يسأل ثواباً. والأجر: العوض على عمل، ويسمى ثواب ا أجراً لأنه جزاء على العمل الصالح" [108].

الشبهة الثالثة:

لو كان نوح على حق لاتبعه العقلاء منهم، لا الأراذل السفهاء ناقصو العقـول، الـذين يتبعون أي داع يخدعهم من غير روية ولا عقل ولا تفكير ! لكنّ نوحاً –عليه السلام – يستمر في حواره الهادف مع الملأ من قومه ويسوق لهم أدلة أخرى على صدق دعوته بقوله: ((وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا)) [109] أي: " ليس من شأني ولا بالذي يقع مني طرد الذين آمنوا مـن قربـي وجواري لاحتقاركم لهم، ووصفكم إياهم بالأراذل جهـلاً منكم. لأنهم يلاقون ربهم يوم القيامة، فهو يتولى حسابهم، وليس على الرسول من هذا شيء، إن عليه إلا البلاغ، فليس يضركم مـاهم عليه، وا أعلم به وبهم " [110].

---

(107) { هود: 29 }.

(108) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج6، ص(55)، مرجع سابق.

(109) { هود: 29 }.

(110) رضا، محمد رشيد، **تفسـير المـنار**، الهيئة المصـرية العامة للكتاب، (1972م)، ج12، ص(56).

الشبهة الرابعة:

قال تعالى: ((وَمَانَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ)) [1].

إنهم لم يروا لمن يؤازر نوحاً في دعوته أي فضل يمتازون به عليهم من مال، أو جـاه، أو مكانة اجتماعية، أو قصور، أو جنات، أو غير ذلك مما يعتبرونه فضلاً ! هنا يـردّ علـيهم نوح–عليه السلام –قائلاً: ((ولكني أراكم قوماً تجهلون)) أي تسفهون عليهم، من الجهالة المضادة للعقل والحلم، أو تجهلون ما يمتاز به البشر بعضهم على بعض مـن اتبـاع الحـق والتحلـي بالفضائل، وعمل البر والخير، وتظنون أن الامتياز انما يكون بالمال المطغي، والجاه الباطـل المـردي. ويقـول لهم أيضاً ((وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ)) [2]، أي لايوجـد أحـد ينصرني من ا بأن يمنع عني ماأستحقه من عقابه إن طردتهم بعد إيمانهم لي واتبـاعهم إيـاي فيما بلّغتهم عنه، وهو ظلم عظيم يقتضي العقاب الشديد بعدل ا تعالى مهما تكـن صـفة مـن اقترفه "[3].

الشبهة الخامسة:

اتهام نوح ومن آمن معه بالكذب الصريح ! لكنّ نوحاً –عليه الـسلام- ردّ علـى هـذه الفرية الزائفة، وساق مزيداً من البراهين الواضحة والحجج الدامغة لدعم موقفه، فقال لهم: ((وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ)) [4]. والمعنى:" أنه رسـول مـن ا يدعو إلى عبادة ا وحده لاشريك له، بإذن ا له في ذلك ولايسألهم على ذلك أجراً، بـل هـو يدعو من لقيه من شريف ووضيع، فمن استجاب له فقد نجا، ويخبرهم أنـه لاقـدرة لـه علـى التصرف في خزائن ا ولا يعلم الغيب إلا ماأطلعه ا عليه وليس هو بملك من الملائكة؛

---

(1) { هود: 27 }.
(2) { هود: 30 }.
(3) **المرجع السابق**، ج12، ص(56).

(4) { هود: 31 }.

بل هو بشر مرسل مؤيد بالمعجزات، ولا يقـول عن هؤلاء الذين تحتقـرونهم إنـهم ليس لهم عند الله ثواب على أعمالهم، الله أعلم بما في أنفسهم فإن كانوا مؤمنين باطنـاً كمـاهو الظاهر من حالهم، فلهم جزاء، ولو قطع لهم أحد بشرّ بعدما آمنوا لكان ظـالماً قائلاً مالا علم له به"(111).

العناد القاتل !

لم تؤثر كلمات نوح في نفوس قومه بل ردّوا عليه في عنـاد قـائلين:((قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا)) (112). أي: "إنا غير قابلين لشيء مما تقوله، وإن أكثرت وأطلت –بغيـر حجّة منهم بل عناداً وكبراً- فلاتتعـب، بل قصّر الأمر بما تتوعدنا به، وسمّوه وعداً سخرية به، أي هذا الذي جعلته وعيداً هو عندنا وعد حسن سار باعتبار أننا نحب حلوله، والمعنـى: أنـك لست قادراً على ذلك ولا أنت صادق فيه، فإن كان حقاً فائتنا به، فكأنه قيل: ماذا قال لهم ؟ قال " إنما يأتيكم به الله " أي الذي له الإحاطة بكل شيء، فتبرّأ من الحول والقوة وردّ ذلك إلى من هو له، وأشار بقوله " إن شاء "أي: الله تعالى مخيّر في إيقاعه" (113).

الشكوى إلى الله تعالى:

بعد أن ضاق نوح ذرعاً بقومه لجأ إلى ربه مستغيثاً به مما يلاقي من إعراض قومه عن دعوة الله فقال: ((وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿34﴾)) (114). والمعنى: "أي شيء يجديه إبلاغي ونصحي، بدعوتكم إلـى التوحيـد

---

(111) ابن كثير،**تفسـير القـرآن العظـيم**، ج2، ص(444)، مرجع سابق.

(112) { هود: 32 }.

(113) البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والـسور**، دائرة المعارف العثمانية، ط1، (1395 هـ - 1975 م)، ج9، ص(278).

(114) { هود: 34 }.

والتحذير من العذاب، إن كان الله يريد إغواءكم ليدمركم، " هو ربكم " أي: مالـك أمـ ـركم، " وإليه ترجعون " أي: بعد الموت فيجازيكم بأعمالكم " [115].

دروس وعبر من حوار نوح –عليه السلام- مع قومه:

لقد ضرب نوح –عليه السلام- لنا مثلاً أعلى في قوة العزيمة ومضائها واستمرارها عبر دعوته قومه التي استمرت زمناً طويلاً دون أن تهن له إرادة أو تتزعزع له عقيدة. ومن الصور البارزة التي يعرضها القرآن العظيم لمضاء عزيمته ذلك الاستمرار المتواصل لدعوة قومه إلـى الله عزوجل بالليل والنهار، بالسر و العلانية ولكن هؤلاء القوم رفضوا دعوته جملة وتفـصيلاً، حتى إنهم رفضوا الاستمـاع والنظر إليه،وهذا نهايةالإعراض عنه والإيذاء لشعوره. أضف إلى هذا وصمهم إياه بالجـنون ((إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ﴿25﴾))[116]. ولكـنّ نوحاً أمام هذا التهديد لم يتراجع بل لجأ إلى ربه: ((قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿117﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿118﴾)) [117]. "ونرى صورة من قوة عزيمته حين كان يتقبل سخرية قومه وهو يصنع السفينة بصدر رحب ونفس مطمئنة إلى نصر الله عزوجـل. ولا شك أن مبعث هذه العزيمة القوية إيمانه الراسخ بربه سبحانه،واعتماده عليه " [118].

بين نوح –عليه السلام- وابنه الغريق:

ركب نوح –عليه السلام- والمؤمنون السفينة، وحمل فيها معه زوجين اثنين مـن كـل الأحـياء ولما دخل نوح السفينة قال: ((الحَمْدُ اللهِ الذي نجّانا مِنَ القَومِ الظَالمين، وَقُل رَبّ أنزلني مُنزلاً مُباركاً وأنتَ خُيرُ المُنْزِلين))[5]." ولما أركب نوح-عليه السلام- أتباعه المـؤمنين فـي الـسفينة،

([115]) القاسمي، محمد جمال الدين، **تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكـر، بيروت، ط2، (1398 هـ -1978 م)، ج9، ص(118).

([116]) { المؤمنون: 25 }.

([117]) { الشعراء: 117، 118 }.

([118]) طبّـارة، عفيـف عبـد الفتـاح، **مـع الأنبيـاء فـي القـرآن الكـريم**، دار العلـم للملايـين، بيـروت، ط11، (1982م)، ص(80).

(5) { المؤمنون: 28، 29 }.

وسارت السفينة وسط الأمواج، ونظر نوح فرأى ابنه الكافر من بعيد، فدعاه إلى ركوب السفينة ولكنه أبى، وجرى حوار بين الاثنين " [1].

قال تعالى: ((وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿ 42 ﴾ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿ 43 ﴾)) [2]." فهاهو ذا نوح-عليه السلام –ينادي ابنه الذي عزل نفسه في مكان بعيد عن أبيه، يابني اركب معنا في السفينة ولا تكن مع الكافرين، لكنّ ابنه يجيب قائلاً: سأنضم إلى جبل من الجبال يحفظني بارتفاعه، فلا يصل إليّ الماء، فقال له أبوه: ((لاعاصم اليوم من أمر ا)) للتنبيه على أنه ليس كسائر الأيام التي تقع فيها الوقائع وتلم فيها الملمات المعتادة التي ربما يتخلص منها بالالتجاء إلى بعض الأسباب العادية، لأن أمر ا تعالى لايغالب وعذابه لايردّ، وهكذا كان ابن نوح –عليه السلام – من المغرقين، وانقطع الحوار بينهما " [3].

وهنا تظهر عاطفة الأب ويتحرك الحنان والشفقة، ويدعو نوح ربه ((إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ)) [4].

والذي جعل نوح يقول هذا، وعد ا تعالى له بنجاة أهله، لكنّ ا تعالى بيّن لنوح أن ابنه ليس من أهل دينه [5].

---

(1) الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الفكر، بيروت، (1403هـ - 1983م)، ج12، ص(59).

(2) { هود: 42 -43 }.

(3) **المرجع السابق**، ج12، ص(59).

(4) { هود: 45 }.

(5) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج4، ص(113)، مرجع سابق.

المطلب الثاني

الحوار بين هود – عليه السلام – وقومه

إنّ سنّة الله تعالى في إرسال الرسل، أن يختارهم من أشرف بيوتـات أقـوامهم، وهـذا أدعى إلى أن يعرفوه ويؤمنوا به ويتبعوه، وهذا حال هود –عليه السلام – الذي اختاره الله ليكون أمين رسالته، وصاحب دعوته،لعله يهدي هذه العقول الضالّة، ويقوّم هذه النفوس المعوجّة.

هود – عليه السلام – يدعو قومه إلى عبادة الله تعالى:-

"دعا هود قومه إلى إفراد العبادة لله تعالى واتباع أوامره سبحانه وتجنّـب نواهيـه، ثـمّ حرص على التحبّب إليهم بأسلوب الترهيب بعد الترغيب. فقال: يا قوم، ما هـذه الأحجـارالتي تنحتونها ثم تعبدونها وتلجئون إليها؟ ما خطرها وما نفعها ؟ وما ضررها وما غناؤهـا ؟ إنهـا لاتجاب لكم نفعاً، ولا تدفع عنكم شراً، إن هذا إلا ازدراء لعقولكم، وامتهان لكـرامتكم، ولكـنّ هناك إلهاً واحداً حقيقاً بأن تعبدوه، ورباً جديراً بأن تتوجهوا إليه، وهو الذي خلقكم ورزقكم، وهو الذي أحياكم، وهو الذي يميتكم، مكّن لكم في الأرض، وأنبت الزرع، وبسط لكم فـي الأجـسام، وبارك لكم في الأنعام، فآمنوا به، واحذروا أن تعموا عن الحـق أو تكـابروا فيـه فيـصيبكم ماأصاب قوم نوح، وما عهدهم منكم ببعيد "[119]. قال لهم ذلك وهو يرجو أن تتصل كلماته إلى أعماق نفوسهم فيؤمنوا ((وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿52﴾))[120].

([119]) المولى، محمد أحمد جاد، وآخرون، **قصص القرآن**، دار الفكر، (1389هـ – 1969 م)، ص(24)، بتصرف.

([120]) { هود: 52 }.

شبهات عاد والردود عليها من قبل هود:-

الشبهة الأولى:

قال تعالى ((أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ))[1].

لكون هود بشراً مثلهم، مما أثار استغرابهم واستهجانهم، لكنّ هوداً قـال لهـم: أكـذّبتم وعجبتم أن أنزل ربكم وحيه على لسان رجل منكم لينذركم بأسه ويخوفكم عقابه؟ [2].

الشبهة الثانية:

عدم تقديم معجزة أو آية بيّنة تدل على صدق رسالته ونبوته.((قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿ 53 ﴾)) [3].

" إلى هذا الحدّ بلغ الانحراف في نفوسهم، إلى حدّ أن يظنّوا أن هوداً يهـذي لأن أحـد آلهتهم المفتراة قد مسّه بسوء، فأصيب بالهذيان !! وهنا لم يبق لهود إلا التحدّي، وإلا التوجـه إلى ا وحده والاعتماد عليه، وإلا الوعـيد والإنذار الأخير للمكذبين،وإلا المفاصلة بينه وبـين قومـه ونفض يده من أمـرهم إن هم أصروا على التكـذيب" [4]. ((قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿ 54 ﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ ﴿ 55 ﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿ 56 ﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّي عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿ 57 ﴾)) [5].

---

(1) { الأعراف: 69 }.
(2) المراغي، أحمد مصطفى، **تفسير المراغي**، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط5، (1394هـ - 1974م)، ج8، ص(194).
(3) { هود: 53 }.
(4) قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص(1898)، (مرجع سابق).

(5) { هود: 54 – 57 }.

"لقد تضمّن جوابه الدال على التحدي والمعجزة الباهرة وقلة المبالاة بهم عـدة **أمــور** هي: البراءة من الشرك، وإشهاد ا على ذلك، وإشهادهم على براءته مـن شـركهم، وطلبـه المكايدة له، وإظهار قلة المبالاة بهم، وعدم خوفه منهم ومن آلهتهم. وهذا موقف مـشابه تمامـاً لموقف سلفه نوح –عليه السلام – " [121]. كما قال تعالى: ((فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ ﴿ 71 ﴾)) [122].

الشبهة الثالثة:

استغرابهم دعوته إلى الإيمان با تعالى وحده والكفر بالآلهة المدّعاة، وعبادة ا تعالى وحده وعدم عبادة الآلهة التي ورثوها عن آبائهم. ((قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا)) [123]." فأجابهم هود – عليه السلام -: إنه قد وجب عليكم -وحقّ- بمقالتكم هذه من ربكم عذاب وسخط وطرد من رحمته. وقد كان عذابهم ريحاً صرصراً عاتية تلقـي النـاس علـى الأرض ((كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ)) [124]. أي أصول نخل قلع من جذره"[125].

الشبهة الرابعة:

اتهامه بالجنون، فزعموا أن آلهتهم مسته بسـوء، وجـعلته بـدون عقـــل، لأنّ هـذه الآلهة-كما يدّعـون - تعاقب من كفر بها، وتمسّه بسوء ((إن نقول إلاّ اعتراك بعض آلهتنا بسوء))[6]. أي إنه أصابك ما أصابك لأن بعض آلهتنا غضب عليك فأصابك في عقلك، فـاعتراك جنـون بسبب ذلك ! فردّ عليهم ((إِنِي أُشْهِد اللّهِ وَاشْهَدواْ أَني بَرِيء ممـا تُـشْرِكُونَ {54} مِـن دونِـهِ

([121]) الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دارالفكر، بيـروت، ط1، (1411هــ – 1991م)، ج12، ص(92).
([122]) { يونس: 71 }.
([123]) { الأعراف: 70 }.
([124]) { القمر: 20 }.
([125]) **المرجع السابق**، ج8، ص(264).
(6) { هود: 54 }.

فَكِيدونِي جَمِيعاً ثُم لاَ تُنظِرون {55})) [126]،" هذا تحدٍّ منه لهم وتبرؤ من آلهتهم، وبيان أنها لا تنفع شيئاً ولا تضر، فإن كانت كما تزعمون من أنها تنصر وتنفع وتضر، فها أنا ذا بريء منها، لاعن لها، فكيدوني ولا تؤخروني ساعة واحدة ولا أقل من ذلك، فإني لا أبالي بكـم ولا أفكـر فيكم، ولا أنظر إليكم " [2].

الشبهة الخامسة:

"اتهامه بالسفاهة، لدعوته إلى توحيد ا عزّ وجلّ وإفراده بالعبادة وترك عبادة الأصنام، وأرادوا بهذا اتهامه بالخفة والطيش لتنفير الناس منه. وقد ردّ عليهم بقوله: ليس بـي سـفاهة عقل، ولقد عشت فيكم دهـراً طـويلاً فما أنكرتم عليّ شيئاً، وما جـرّبتم علـيّ حمقـاً ولا طيشاً"[3]. ((قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿67﴾)) [4].

نتيجة الحوار بين هود – عليه السلام – وقومه: -

"بقي هود – عليه السلام – يدعو قومه ويقدّم لهم النصح والإرشاد، ويبيّن لهـم أنـه لا ينبغي لهم أن يعجبوا لأنه جاءهم رجل منهم لينذرهم، لأنّ ذلك من سنّة ا أن يجعـل الرسـول إلى القوم منهم ليكونوا أشدّ فهماً لما يلقيه إليهم، ولأنهم على علم بحقيقته وأمانته، وما هو عليـه من خـلق حسـن. لكنّ قومه أصـرّوا علـى تحدّيـه وتكذيبـه، ((فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِين)) [5].

([126]) { هود: 54، 55 }.

(2) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، **قصص الأنبياء**، دار الفكر، بيروت، ط1، (1403هـ - 1983م)، ص(120)، بتصرف.

(3) المولى، **قصص القرآن**، ص(25)، (مرجع سابق).

(4) { الأعراف: 67 }.

(5) { الأعراف: 70 }.

حينئذ أنذرهم هود بأن الله تعالى سيحل عليهم عذاباً قريباً بقوله ((قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ[1] وَغَضَبٌ)) [2]. وبهذا نجّى الله تعالى هوداً والذين معه من ذلك العذاب وأهلك القوم المجرمين " [3].

دروس وعبر من قصة هود:

1. "إن القوة حين تكون بعيدة عن الحق وحين تنبعث من النفوس المعرضة المستعلية تصير سبباً من أسباب الطغيان بل من أخطر أسبابه، إنها تحمل أصحابها فتنسيهم أول بدهية من البدهيات، وهي أنهم خلقوا ليموتوا، فبقدر ما تجدهم يبنون في الدنيا مشيّدين متفاخرين، إنهم يهدمون من جانب آخر بنيانهم الإنساني، فيصبح البطش طبيعتهم، والتجبر ديدنهم، فلا تزداد قلوبهم إلا قسوة " [4]. فعلى كل من يتصف بالقوة ألاّ يركن إلى قوته المادية وألاّ يعوّل عليها وحدها وألا يغترّ بها حتى لا تدفعه إلى الاستبداد والتجبّر.

2. " لا ينبغي أن يقابل الشر بمثله، بل لا بدّ من استعمال اللين في الكلام مع المدعوين. فلوعدنا إلى قولهم له ((إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)) [5]. ثم ماذا كان جوابه –عليه السلام-؟ كان جوابه لهم ((يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿67﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿68﴾)) [6] فمن تأمّل هذا الجواب وجده غاية في دماثة الأخلاق والتلطّف وإسداء النصيحة الخالصة من الشوائب.

---

(1) رجس: عذاب وغضب محقق الوقوع.

(2) { الأعراف: 71 }.

(3) النجار، عبد الوهاب، **قصص الأنبياء**، دار الفكر، بيروت، ط2، ص(52، 53)، بتصرف.

(4) عباس، فضل حسن، **القصص القرآني "إيحاؤه ونفحاته"**، دار الفرقان، ط1، (1407هـ -1987م)، ص(104).

(5) { الأعراف: 66 }.

(6) { الأعراف: 67، 68 }.

3. ضرورة التذكير بنـعم ا   تعالى عليهم والتذكير بالإيمـان وأنّ ذلك يحفظ عليهم حـسـن حالهم. لقد أنعم ا   عليهم بأموال وبنين وجنات وعيون،وزادهم في الخلق بـسطة وجعلهـم خلفاء الأرض من بعد قوم نوح وأنّ إيمانهم يستتبع رضا ا   تعالى، فيرسل السماء علـيهم مدراراً لسقي زروعهم وإنبات الكلأ لماشيتهم وأنّه تعالى يزيدهم عزّاً إلى عزّهم.فكان جواب قومه له التعجب من شأنه وشأن رسالته، واتهامه بأنّ بعض آلهتهم مسّه بالجنون الذي أفقده صوابه عقاباً له على الخوض في حقهم والتقليل من سلطتهم [1].

4. "إنّ أصحاب الدعوة إلى ا   تعالى- في أي زمان أو مكان -، في حاجة إلى أن يقفوا طويلاً أمام المشهد الذي   يظهر فيه هود – عليه السلام – وهو يحاور قومه ولم يـؤمن معـه إلا قليل، يواجه أعتى أهل الأرض وأغنى أهل الأرض وأكثر أهل الأرض حضارة مادية فـي زمانهم. إنّ هؤلاء العتاة الجبارين الذين يبطشون بلا رحمة، والذين أبطرتهم النعمة، والذين يقيمون المصانع يرجون من ورائها الامتداد والخلود ! هؤلاء هم الذين واجههم هود – عليه السلام – هذه المواجهة، في شجاعة المؤمن واستعلائه وثقته واطمئنانـه، وفاصـلهم هـذه المفاصلة الحاسمة الكاملة وتحدّاهم أن يكيدوه بلا إمهال، وأن يفعلوا ما فـي وسـعهم فـلا يباليهم بحال!! " [2].

---

(1) النجار، **قصص الأنبياء**، ص(56)، (مرجع سابق).

(2) قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص(1905)، (مرجع سابق).

المطلب الثالث

حوارات إبراهيم عليه السلام

أولاً:- حوار إبراهيم – عليه السلام – مع خالقه سبحانه وتعالى:-

قال تعالى: ((وَإِذْ قَالَ إِبراهيمُ ربِّ أَرِني كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تؤمِنْ قَالَ بَلى وَلَكنْ ليطمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَربعةً مِنَ الطَّيرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثمَّ اجْعَل عَلى كلِّ جَبَلٍ مِنْهنَّ جزءاً ثمَّ ادْعُهُنَّ يأتينَكَ سعياً واعْلَمْ أَنَّ اللهَ عزيزٌ حَكيم))[127].

المعنى العام للآية الكريمة:

"واذكر إذ سأل إبراهيم – عليه السلام – ربه – عز وجـل – أن يريـه كيفيـة إحيـاء الموتى، والخليل – عليه السلام – لم يسأل ذلك شكّاً، أو تعنتاً، وإنما سأله ليترقى بذلك من علـم اليقين إلى عين اليقين، وأن يرى ذلك مشاهدة بعد أن رآه إيماناً ويقيناً. فسأله ا - عـز وجـل- "أولم تؤمن؟" فأجابه بالإيجاب. وبيّن إبراهيم سبب السؤال وهو: ليزداد سكوناً وطمأنينة"[128].

فعن أبي هريرة – رضي ا عنه – قال: قال رسول ا – صلى ا عليه وسلم: "نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال ربّ أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قـال بلـى ولكـن ليطمئن قلبي"[129]. ومعنى الحديث: "لو كان شاكاً لكنا نحن أحق به، ونحن لا نـشك فـإبراهيم أحرى ألاّ يشك"[130]. فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم – وا تعالى أعلم -.

ولقد استجاب ا – تعالى- لهذا الطلب والتطلع في قلب إبراهيم، ومنحه التجربة الذاتية المباشرة: ((فخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك))، "لقد أمره أن يختار أربعة من الطير، فيقربهن منـه

([127]) {البقرة: 260 }.

([128]) حوّى، **الأساس في التفسير**، مج1، ص (611)، (مرجع سابق).

([129]) البخاري، **صحيح البخاري، كتاب التفسير**، باب: وإذ قال إبراهيم ربّ أرني كيف تحيـي المـوتى، ج6، ص(39)، (مرجع سابق).

([130]) القاسمي، **تفسير القاسمي**، ج3، ص(260)، (مرجع سابق).

ويميلهن إليه، وأن يذبحهن ويمزق أجسادهن، ويفرّق أجزاءهن علـى الجبـال المحيطـة، ثـم يدعوهن، فتجتمع أجزاؤهن مرة أخرى، وترتدّ إليهن الحياة، ويعدن عليه ساعيات"[131].

((واعْلَمْ أَنَّ اللهَ عزيزٌ حَكيم))[132]، أي: "عزيز لا يغلبه شيء ولا يمتنع من شيء، وما شـاء كان بلا ممانع، لأنه القاهر لكل شيء، حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه"[133].

الفوائد والأحكام المستفادة من هذا الحوار:-

1- إثبات قدرة ا على إحياء الموتى، مهما تلاشت أجزاؤها، وتطاول الزمان على موتها.

2- حرص إبراهيم – عليه السلام – على الترقي من علم اليقين إلى عـين اليقـين، فقولـه "أرني كيف"؟ يدل على طلب مشاهدة الكيفية، وليس اختبار القدرة الإلهية على الإحيـاء أو الإنشاء.

3- في هذا الحوار: دليل واضح على ولاية ا – تعالى – للمؤمنين، وإخراجه إياهم مـن الظلمات إلى النور، ويفتح بابه أمامهم لكي يسألوا عما يريدون السؤال عنـه، ويتقبـل مطالبهم بحلم عظيم، وفضل كبير[134].

([131]) قطب، **في ظلال القرآن**، مج1، ص(302)، (مرجع سابق).

([132]) {البقرة: 260 }.

([133]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مج1، ص(316)، (مرجع سابق).

([134]) طنطاوي، محمد سيد، **أدب الحوار في الإسلام**، دار نهضة مصر، (1417 – 1996م) ص (133).

ثانياً:- حوار إبراهيم – عليه السلام – مع والده:-

كان أبو الأنبياء إبراهيم – عليه السلام – نبياً ورسولاً، وطلب الله تعالى منه أن يدعو الناس إلى التوحيد، ومن المنطقي أن يبدأ إبراهيم بدعوة أقرب الناس إليه، ولذلك كانت الخطوة الأولى في خطوات تبليغه الرسالة هي أن يدعو أباه إلى الله عزّ وجلّ.

"أقبل إبراهيم على أبيه يقول له: يا أبت لِمَ تعبد هذه الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنك شيئاً يوم يقوم الناس لرب العالمين ؟ وقد استنكر آزر (أبوه) هذه اللهجة من ولده، ودهش منه أن يوجّه هذا السؤال إليه، ولعله سأله عن سبب ذلك، فقال له – عليه السلام -: إن الله أعلمني بما لم يعلم به أحداً، وخصّني برسالة أبلّغها لعباده، فأنا عبده ورسوله، وأعلم من الله ما لا تعلمون.إن هذه الرسالة تقتضي الاتباع، وأنت يا أبت أقرب الناس إليّ، وأحق من يسرع إلى إجابة ما أدعو إليه، إن فيه الهداية والرشد، فاتبعني أهدك صراطاً سوياً. ولا شك أن آزر-أبا إبراهيم - اشتدّ إنكاره على ولده، وزين له الشيطان أن ما يدعو إليه ولده باطل، لا أساس له من الحقيقة، وقد تنبّه إبراهيم لذلك فأراد أن يبين لأبيه أن ما يدعو إليه حق من الله ، وأن هذه الأصنام من تزيين الشيطان للناس لأنه يريد أن يصدّهم عن السبيل القويم. لقد كان إبراهيم – عليه السلام – حريصاً كل الحرص على أن ينجّي أباه من المصير السيىء والعاقبة الوخيمة التي يمكن أن يقع بها أبوه إن استمرّ على عبادة الأصنام.

وكان - عليه السلام - في منتهى التعقّل والهدوء واللين وهو يدعو أباه، إنه لم ينس لحظة واحدة أنه أبوه، وهو يعرف له حقه. ولذلك لم يكن جافياً قط في مخاطبة أبيه – على الرغم من كفره وعناده – ولكن الأب كان علىعكس الابن تماماً، فقد قابل إبراهيم بكل عنف ونكران "[135]. قال تعالى:((وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً ﴿41﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً ﴿42﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ

([135]) النشرتي، حمزة، وآخرون، **موسوعة القصص القرآني**، المكتبة القيّمة، القاهرة، مج1، ص(198- 200)، بتصرف.

يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً ﴿43﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً ﴿44﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً ﴿45﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً ﴿46﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً ﴿47﴾)) [136].

المعنى العام لهذه الآيات:

"إن إبراهيم -عليه السلام -يدعو أباه إلى ترك عبادة الأصنام لأنها لا تسمع الدعاء ولا تبصر العبادة ولا تغني من عذاب الله عز وجل، ويدعو إبراهيم -عليه السلام – أباه إلى اتباعه لأن الله تعالى علّمه علماً وبياناً لم يعلّمه آزر.

ويبين أبو الأنبياء –عليه السلام- لأبيه خطورة اتباع الشيطان لأن في هذا الاتباع عذاباً شديداً مؤلماً. لكنّ أباه يصر على عبادة الأصنام، ويحذر إبراهيم قائلاً:إن لم ترجع عن مقالتك لأسبنّك وأشتمنّك وأقاطعنّك أبد الدهر. وهنا يقول إبراهيم –عليه السلام – لأبيه: أكرمك الله بالهدى، سأدعو لك ربّي سبحانه الذي عوّدني الإجابة إذا دعوته عز وجل " [137].

---

(136) { مريم: 41 – 47 }.

(137) السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد، **تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم**، تحقيق: علي معوّض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(1413هـ -1993م)، ج2، ص(325).

أهم الإشارات التي تم استنتاجها من حوار إبراهيم مع أبيه:

1. التحلّي بأعلى درجات الفضيلة ومنها الصدق لأنه ملاك أمر الدين، قال تعالى: ((وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً ﴿41﴾)) [138].

2. دعوة أقرب الناس إلى الداعية، قال تعالى: ((إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً ﴿42﴾)) [139]. وفي هذا تأكيد على وجوب صلة الرحم.

3. اللين في الكلام وحسن الخلق في المعاملة،((قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً ﴿47﴾)) [140].

4. بيان ضعف وعجز المعبودات من دون ا تعالى، ((إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً ﴿42﴾)) ؟ [141].

5. العمل على تحقير المعبودات والتقليل من شأنها.

6. الإشارة إلى الاقتداء بإبراهيم – عليه السلام – والاهتداء بهديه واتباعه فيما يرشد إليـه، إنّ الاقتداء بالأنبياء هو سبيل الهداية إلى الرشاد، لأنه الطريق الأقوم لتصحيح العقيدة والدعوة إلى إخلاص الدين ، وبالتالي تتضح معالم الصراط السويّ. ((يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً ﴿43﴾)) [142].

---

(138) { مريم: 41 }.

(139) { مريم: 42 }.

(140) { مريم: 47 }.

(141) { مريم: 42 }.

(142) { مريم: 43 }.

7. النهي عن طاعة الشيطان وأنّ طاعته تؤدي إلى عبادته. ((يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً ﴿44﴾))[143].

8. "الإشفاق على المدعوين أمر يجب أن يتصف به الداعية، فإبراهيم -عليه السلام – كان يخاطب أباه بلفظ "يا أبت"، وهذا دليل على شدة الحب والرغبة في صونه عن العقاب، وإرشاده إلى الصواب، وقوله ((إني أخاف)) دليل على شدّة تعلّق قلبه بمصالحه، قضاء لحق الأبوة.

ترتيب الموعظة كان في غاية الحسن، فقد نبّه أباه أولاً إلى بطلان عبادة الأوثان، ثم أمره باتباعه في الاستدلال وترك التقليد الأعمى، ثم ذكّره بأن طاعة الشيطان غير جائزة في العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الإقدام مع رعاية الأدب والرفق" [144].

([143]) { مريم: 44 }.

([144]) العارف، هشام فهمي، **سيرة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في القرآن المجيد والأحاديث الصحيحة**، دار البشائر الإسلامية، ط1، (1417هـ – 1996م)، ص(34- 36)، بتصرف.

ثالثاً: إبراهيم – عليه السلام- يهدي قومه عن طريق الحوار:

كانت المحطة الثانية لإبراهيم –عليه السلام- بعد دعوته لأبيه، هي انتقاله إلى قومه، ليدعوهم إلى التخلّي عن الكفر، وترك عبادة الأصنام، والإيمان بالله وحده، وكان أبوه من جملة المدعوين من قومه.

"بدأ بمحاورة قومه عندما جنّ عليه الليل، وستره الظلام، فرأى كوكباً مما يعبدون، وهو بين جماعة منهم يتحدثون ويسمرون، فقال: ((هذا ربي))! طريق في الحوار حكيم، ومنهج في الكلام قويم، انظر إليه يحاكيهم في اعتقادهم، ولا يعلن مخالفتهم، ولا يسفه أحلامهم، فذلك أدعى إلى إنصاتهم لقوله، وتفهّمهم لحجّته، ثمّ لم يلبث أن كرّ على قولهم ينقضه، ورجع إلى مذهبهم يزيّفه، ولكن من طريق خفيّ، ينبئ عن سداد رأي، ونقاء بصيرة. فلما أفل هذا الكوكب، تفقّده، فلم يجده، فقال: لا أحبّ الآلهة المتغيرين من حال إلى حال، ثمّ عرّض بآلهتهم وأعلن بغضه لها وتبرّأ من حبّها.

ولما رأى القمر بازغاً، وهو أسطع نوراً من ذلك الكوكب، وأكبر منه حجماً، وأكثر نفعاً، قال: ((هذا ربّي))! استدراجاً لهم واستهواء لقلوبهم، فلما أفل واختفى نوره قال: ((لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿77﴾))[145] تأكيداً على أن الله مصدر الهداية، ومانح التوفيق عند الشك والحيرة. ثمّ رأى الشمس بازغة يتألق نورها، وينبعث شعاعها، وقد كست الدنيا جمالاً، وملأت الأرض حياة وبهاء. فقال:((هذا ربّي)) ! فلما أفلت مثل غيرها، وغابت عن عبّادها رماهم بالشرك، ووسمهم بالكفر، فقال: إني بريء مما تشركون، فهذه الكواكب تنتقل من مكان إلى مكان، وتتحول من حال إلى حال، لا بدّ لها من خالق يدبّرها ويحرّكها، فهي لا تستحق عبادة ولا تكريماً ولا تعظيماً "[146].

([145]) { الأنعام : 77 }.

([146]) المولى، **قصص القرآن**، ص(50-52)، بتصرّف، (مرجع سابق).

هذا، والمتأمّل في هذه الحالات الثلاث يرى أن إبراهيم – عليه السلام – قد سـلك مـع قومه أحكم الطرق في الاستدلال على وحدانية ا ، فقد ترقّى معهم وهو يأخذ بيدهم إلى النتيجـة التي يريدها بأسلوب يقنع العقول السليمة، ثمّ ختم هذا الترقّي في الاستدلال علـى وحدانيـة ا بقوله-كما حكى القـرآن عنه– ((إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً))[147].

فمعنى ذلك أنني توجهت تعالى الإله الحقيقي لهذا الكون الذي خلق السموات والأرض. ولكن لم يقل مثلاً إني توجهت للذي خلق النجوم والكواكب والشمس والقمر، لماذا ؟ والجواب يكمـن فيما يلي:

أولاً: لأن هذا التعبير أعم.

ثانياً: لأنه ظاهر للناس جميعاً لا يحتاج إلى دليل.

ثالثاً: لأنه لا أحد من البشر يستطيع منذ بدء الخليقة حتى نهايتها أن يدّعي أنه هو الـذي خلـق السموات والأرض، فالسموات والأرض وكل الخيرات فيها مسخّرة لخدمته.

رابعاً: لأن خالق السموات والأرض يشعر بالقدرة الخارقة للإله الذي خلق هذا كله[148].

وبذلك يكون إبراهيم -عليه السلام – قد أقام الأدلة الحكيمة، والبراهين الساطعة علـى وحدانية ا تعالى وسفـّه المعبودات الباطلة وعابديها.

قال تعـالى: ((فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴿ 76 ﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿ 77 ﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ

([147]) {الأنعام: 79 }.

([148]) الشعراوي، محمد متولي، **قصص الأنبياء**، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، (1416هـ - 1996م)، مـج1، ص (495، 496).

﴿ 78 ﴾ إِنِّـي وَجَّهْـتُ وَجْهِـيَ لِلَّـذِي فَطَـرَ الـسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفـاً وَمَـا أَنَـاْ مِـنَ الْمُـشْرِكِينَ ﴿ 79 ﴾))[149].

(149) { الأنعام: 76-79 }.

إشارتان يمكن استنتاجهما من حوار إبراهيم – عليه السلام – مع قومه:

1. "التدرّج في الحجّـة والإقناع واتخـاذ المنطـق السليم والحكمـة: فقد استعمـل إبراهيم – عليه السلام– لبلوغ غايته المرجوّة طريقة الحوار لتقرير وحدانية الله سبحانه وتعـالى فـي أذهان قومه الذين يعكفون على عبادة الأصنام، حيث حقّـر معبوداتهم من دون الله وبـيّن عجزها، وأفاد عدم قدرتها على شيء، ثمّ عظّم الله تعالى وبيّن قدرته وعظمته، ونزّهه عمّـا لا يليق به.

2. الانتقال لمخاطبة العقل صاحباً معه الدليل الواضح لإثبات بطلان ما كانوا عليه مـن عبـادة الهياكل، فاستدرجهم بعد أن أقام عليهم الحجة حين خاطب القلب والفطرة، وبذلك قطع عليهم زيغهم وكشف نواياهم بدقة" [150].

رابعاً: - المناظرة الكبرى بين إبراهيم – عليه السلام – والملك:

كانت الخطوة التي لا بدّ أن يخطوها إبراهيم -عليه السلام – في دعوته إلـى الله عـزّ وجلّ، هي دعوة الملك إلى الصراط المستقيم، وهي انتقال مرحليّ متدرّج منتظم: فقد بدأ دعوته مع أبيه أقرب الناس إليه، ثمّ انتقل يدعو قومه، وهي الدائرة الأوسع، ثمّ الخطوة الثالثـة، وهـي دعوة الملك، رأس القوم. وقد سجّـلت آية من سورة البقرة بعض الحوار الـذي جـرى بـين إبراهيم وبين الملك، فقال تعالى: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿258﴾))[151].

---

(150) العارف، **سيرة إبراهيم الخليل**، ص(46- 48)، بتصرّف، (مرجع سابق).

(151) { البقرة: 258}.

"يذكر ا تعالى مناظرة خليله أبي الأنبياء –عليه السلام- مع هذا الملك الجبار المتمـرّد الذي ادّعى لنفسه الربوبية، فأبطل الخليل –عليه السلام- عليه دليله،وبيّن كثرة جهله وقلة عقله، وألجمه الحجّة، وأوضح له طريق المحجّة "[152].

([152]) ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ص(167)، (مرجع سابق).

فقد سأل الملك إبراهيم: من ربّك ؟ فأجابه إبراهيم – عليه السلام -: ((رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ)) [153]. " وقد جاء إبراهيم – عليه السلام – بهذه الحجة لأنّ أحداً لـم يجـرؤ أن يـدّعي القدرة على الإحياء والإماتة، بل ولن يدّعي أحد أنّه شريك فيها، حتى الذين امتلأوا بالغلوّ فـي الكفر عندما يسألهم أحد: من الذي خلق الإنسان ؟ فإنّهم يجيبون صـاغرين " إنّـه ا ". إلاّ أنّ الخصم الذي حاجّ إبراهيم-عليه السلام- يريد ألاّ ينتهي الجدل، فقال ناقلاً المحاجّة إلى لون من السفسطة: أنا أحيي وأميت!، فسأله إبراهيم – عليه السلام -: كيف تحيي وتميت ؟! فقال الرجل: إنّ عندي من المسجونين عدداً وأستطيع أن أقتل منهم من أشاء، وأن أمتنع عن قتل من أشـاء، فمن لم أقتله فكأنني أحييته، ومن قتلته فأنا أمتـّه !. لم يقل له إبراهيم – عليه السلام -: لنتفـق أوّلاً علىتعريف الحياة والموت: لأنه لم يرد أن يطيل هذه المجادلة، إنّما أراد أن يأتي بالحجّـة التي تسقط للرجل كل ما يحاجج به، فجادله بما يلجمه ! ففي هذه القصة ينبّهنا ا عزوجل إلى حقيقة هامة هي: أنّ الرسل في جدلهم مع أممهم أو مع المناقشين لهم لايكون هدف الرسـول أن يظفر بالغلبة، وإنما يكون هدفه أن يصل إلى الحقيقة كما هي. إن هذا الرجل قد بدّل نعمـة ا كفراً، فدخل مع إبراهيم – عليه السلام – في جدال عقيم بقصد السفسطة، فأراد إبـراهيم خليـل الرحمن أن ينتقل معه إلى مجال آخر غير غيبي ولا يختصّ بأمر الروح، فانتقل بـالحوار إلـى حقيقة ساطعة" [2]: ((قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ)) [3].

"وهكذا نرى نصر ا للذين آمنوا، ونجد أنّ الذي حاجّ إبراهيم في ربّه قد واجه أمراً لا قبل له به. لقد بهت الذي كفر ولم يجرؤ على الرد على مقولة إبراهيم – عليه السلام – بـأنّ ا يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب. والبهت يأخذ ثلاث صور: الدهشة أولاً، ثـم الحيرة ثانياً، ثم الهزيمة ثالثاً.

([153]) {البقرة: 258 }.

(2) الشعراوي، **قصص الأنبياء**، مج1، ص(509-512)، بتصرف، (مرجع سابق).

(3) {البقرة: 258 }.

لقد انتقل الذي كفر من القدرة على المواجهة إلى مفاجأة الدهشة، هـذه هـي الـصورة الأولى. ومن المفاجأة والدهشة انتقل إلى التحيّر، لأنه يبحث عن مخرج لنفسه فلم يجد مخرجـاً من ورطته، وهكذا تلقّى النتيجة وهي الهزيمة " [154].

([154]) **المرجع السابق،** مج1، ص(514).

* تنبيه: إن ا تعالى سيأتي بالشمس من المغرب قبيل قيام الساعة، فعن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: ((اطّلـع النبـي – صلى ا عليه وسلم – علينا ونحن نتذاكر. فقال: ما تذاكرون ؟ قالوا: نذكر السـاعة.قال:إنها لن تقوم حتى تكون قبلها عشر آيات. فذكر الدخان، والدجال والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مـريم – صـلى ا عليـه وسلم- ويأجوج ومأجوج. وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. وآخر ذلك نـار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم)).

انظـر مسلم، **صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الـساعـة،** رقـم الحـديث (2901)، ج4، ص (2225، 2226)، (مرجع سابق).

المطلب الرابع

الحوار بين شعيب – عليه السلام – وقومــه

"إن موضوع المحاورة بين شعيب –عليه السلام – وقومه هو الإصلاح، وهي محـاورة تختلف عن محاورة نوح – عليه السلام- مع قومه، فمحاورة نوح – عليه السلام- منصبّة كلها على العقيدة، لأنه إذا نجح في إقناع محاوريه بوحدانية ا تعالى، فتغيير السلوك سيأتي بطبيعـة الحال تبعاً لذلك، حيث إن المؤمن سيبحث من تلقاء نفسه عما يرضي ربـه مـن الـسلوك،وأما محاورة شعيب – عليه السلام – فقد كانت شاملة للعقيدة والسلوك، لأنـه يـرى أن الموضـوع متكامل لا داعي لتجزئته، وربما كان لاختلاف نوعية المحاورين أثر في ذلك، فإن انحرافـات السلوك وظهورالمساوىء في سلوك العامة،وهم محاورو شعيب أوضح منه في سـلوك الـسادة وهم محاورو نوح، فإن السادة أقرب إلى تجنب مساوىء السـلوك أو إلى إخفائها، وإذا لم يكـن ذلك حباً في الاعتدال، فللمحافظة على السيادة، وبناء علـى ذلـك يكـون أوضـح مـساوىء محـاوري نـوح – عليه السلام– العقـيدة، فركّز المحـاورة عليها، أمـا محـاورو شعيب - عليه السلام – فكانت مساوئهم شديدة الوضوح في العقيدة والسلوك معاً " [155]. وها نحن أُولاء نقف مع تفاصيل الحوار الذي دار بين شعيب – عليه السلام – وقومـه. قـال تعـالى: ((وَإِلَى مَدْيَنَ[156] أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿84﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿85﴾ بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿86﴾)) [157]، فها هو ذا شعيب – عليه السلام – يحاورهم قائلا: ((يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ

([155]) حفني، **أسلوب المحاورة في القرآن الكريم**، (1985م)، ص(88)، (مرجع سابق).

([156]) مدين: مكان على بحر القـُلزم محاذٍ لتبوك، قيل: هي اسم لقبيلة. انظر: الحموي، أبو عـبد ا ياقـوت بن عـــبد ا ، **معجـم البـلدان**، دار صـادر، بيروت، (1404هـ - 1984م)، ج5، ص(77).

([157]) { هود:84-86 }.

مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ)) أي: " اعبدوا الحق سبحانه وتعالى، والعـبادة هنا بالمفهوم العام: اسم جامع لكل ما يحبه ا ويرضاه من الأقوال والأعمـال الباطنة والظـاهرة. فهي تتضمن غـاية الذل والخضوع – تعالى – بغاية المحبة له. ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة ا تعالى، بل يجـب أن يكون ا أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون ا عنده أعظم من كـل شـيء، بـل لا يستحق المحبة والذل التام إلا ا – تعالى – [158]. وقد جرت سنّة الأنبياء أن يبدؤوا بالدعوة إلى التوحيد، ثم يتبعونه بالأهم فيما يرون لدى أقوامهم " [159].

شعيب – عليه السلام - ينصح قومه:-

بعد أن ابتدأ شعيب حواره مع قومه بالأمر بالتوحيد، أعقبه بالنهي عن مظلمة كانـت متفشية فيهم وهي خيانة المكيال والميزان، فقال لهم: ((وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ)) [160] أي: " لا تركبوا ما أنتم عليه وتستمروا فيه، فيمحـق ا بركة ما في أيديكم، ويفقركم ويذهب ما به يغنيكم. فنهاهم أولاً عن تعاطـي ما لا يليق مـن التطفيف،وحذرهم سلب نعمة ا عليهم في دنياهم، وعذابه الأليم في أخراهم، وعنّـفهم أشـدّ تعنيف " [161]. ثم واصل حواره معهم قائلاً: ((وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿85﴾ بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿86﴾)) [162]، " فهو ينهاهم أولاً عن نقص المكيال والميزان إذا أعطوا النـاس، ثـم أمرهم بوفاء الكيل والوزن بالقسط آخذين ومعطين، ونهاهم عن العثو في الأرض بالفساد وقـد

([158]) ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، **العبودية في الإسـلام**، تفسير قول ا تعالى ((يا أيهـا النـاس اعبـدوا ربكم))، المطبعة السلفية، القاهرة، ط3، (1398هـ)، ص(4، 6).

([159]) المراغي، **تفسير المراغي**، ج10، ص(69)، (مرجع سابق).

([160]) { هود:84 }.

([161]) ابن كثير، **قصص الانبياء**، ص(245)، (مرجع سابق).

([162]) {هود:86,85 }.

كانوا يقطعون الطريق، وأرشدهم إلى أن ما يبقيه ا لهم من مال حلال خير من أخـذ أمـوال الناس"[163]، ((وما أنا عليكم بحفيظ)) أي: "بمراقب لكم حين تبيعون وتـشترون، ولا بحاسـب محصي عليكم ظلمكم فأجازيكم به، وإنما أنا واعظ لكم ناصح ليس غير"[164]. "فقد أرشد – عليه السلام- قومه إلى ما يصلحهم في عقائدهم ومعاملاتهم، وفي صلاتهم بعـضهم بـبعض، وفـي سلوكهم الشخصي، بأسلوب حكـيم جامع لكل ما يسعد ويهدي الى الحق"[165]. "وسلك في نهيهم عن الفساد مسلك التدرج، فابتدأه بنهيهم عن نوع من الفساد فاش فيهم وهو التطفيف. ثم ارتقـى فنهاهم عن الجنس الأعلى للفساد الشامل لجميع أنواع المفاسد وهو الإفساد في الارض ، وهـذا من أساليب الحـكمة في تهيئة النفوس بقبول الإرشاد والكمـال. وإذ كانت غايتهم من الإفسـاد اجتلاب مافيه نفع عاجل لهم، فقد أعقـب شعيب -عليه السلام- موعظته بما ادّخـره ا مـن الثواب على امتثال أمره، وهو النفـع الباقي هو خير مما يقترفونه من المتاع العاجل"[166].

رد قوم شعيب – عليه السلام – على دعوته:

إن القوم قد عتوا ومردوا على الانحراف والفساد، وسوء الاستغلال فقالوا: ((يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿87﴾))[167]، وهو ردّ واضح التهكم، بيّن السخرية في كل مقطع من مقاطعـه. وإن كانـت سخرية الجاهل والمعاند بلا معرفة ولا فقه." فهم لا يدركون – أو لا يريدون أن يـدركوا – أن

([163]) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثاني ، ص (457)، (مرجع سابق).

([164]) الجزائري، أبو بكر جابر، **أيسر التفـاسير لكلام العلي الكبير**، راسـم للدعـاية والإعـلان، جدة، ط2، (1407هـ - 1987م)، مج2، ص(362).

([165]) طنطـاوي، محمـد سيـد ، **أدب الحـوار فـي الإسـلام**، دار نهـضـة مـصـر، (1417هـ - 1996م)، ص(160).

([166]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص(138،139)، (مرجع سابق).

([167]) { هود: 87 }.

الصلاة هي من مقتضيات العقيدة، ومن صور العبودية. وأن العقيدة لا تقوم بغيـر توحيـد ا تعالى، ونبذ ما يعبدونه من دونه هم وآباؤهم، كما أنها لا تقوم إلا بتنفيذ شرائع ا في التجـارة وفي تداول الأموال وفي كل شأن من شئون الحياة والتعامل. فهي لحمة واحدة لا يفتـرق فيهـا الاعتقاد عن الصـلاة وعن شرائع الحـياة " [168].

وهنا نـلاحظ أن قوم شعـيب – عليه السلام – لم يقولوا له أإلهك أو أدينك يـأمرك، وإنما قالوا أصلاتك...لماذا ؟ لأن الصلاة هي الركن الدائم الذي لا يسقط أبداً، وا تعالى يقـول عنها: ((إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ)) [169]، " وما دام الشيء له نهي فله أمر، فإذا كانت الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فلا بد أنها تأمر بالإيمـان وبالالتزام بـالمعروف، ولا بـد أنها تأمر بالخير والبر" [170]. وقولهم ((إنك لأنت الحليم الرشيد)) أي: " الحليم العاقل الكامل في أناته وترويه، فلا يتعجّل بأمر قبل الثقة من صحته، والرشيد الراسخ في هدايته وهديه، فلا يأمر إلا بما استبان له من الخير والرشد، ووصفه بهما وصفاً مؤكداً صـريح فـي الاسـتهزاء بـه، والتعريض بما يعتقدون من اتصافه بضدهما، وهو الجهالة والسفه فـي الـرأي والغوايـة فـي الفعل"[171]. هذه هي كل ردودهم على ما أثاره شعيب – عليه السلام – من موضوع المحاورة، وواضح من هذه الردود أنها مجرّد شتائم مصوغة بأسلوب السخرية لتكون أبلغ تأثيراً وأوجع في النفوس، ولجوء الخصم إلى الشتائم في أي مناظرة أو محاورة معناه الهزيمـة، أو هـي بدايـة الشعور بالهزيمة، لأن الحجج والبراهين هي سلاح المحاورة، وليست الـشتائم أو الاسـتهزاء. وهذا ما فعله محاورو شعيب – عليه السلام – فكأنهم رأوا الحق واضحاً في كلامـه، وليـست لديهم حجة للرد عليه، فلجأوا إلى الشتائم للنيل منه، ولستر شعورهم بالعجز والهزيمة"[5].

([168]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص(1919)، (مرجع سابق).

(169) { العنكبوت: 45 }.

(170) الشعراوي، **قصص الأنبياء**، ج2، ص(770)، (مرجع سابق).

(171) رضا، **تفسير المنار**، ج12، ص(144)، (مرجع سابق).

(5) حفني، **أسلوب المحاورة في القرآن الكريم**، ص(94، 95)، (مرجع سابق).

موقف شعيب – عليه السلام – من ردود قومه على دعوته:

تلطّف شعيب – عليه السلام – مع قومه تلطف صاحب الدعوة الواثق من الحق الذي معه، وأعرض عن تلك السخرية التي لا يبالي بها وهو يشعر بقصورهم وجهلهم. يتلطّف في إشعارهم أنه على بينة من ربه، وأنه على ثقة مما يقول لأنه أوتي من العلم ما لم يؤتوا، وأنه إذ يدعوهم إلى الأمانة في المعاملة سيتأثر بنتائجها لأنه مثلهم ذو مال وذو معاملات، فهو لا يبغي كسباً شخصياً من وراء دعوته لهم، فلن ينهاهم عن شيء ثم يفعله هو لتخلو له السوق ! إنما هي دعوة الإصلاح العامة لهم وله وللناس، وليس فيما يدعوهم إليه خسارة عليهم كما يتوّهمون[172].

فها هو ذا –عليه السلام- يواصل حواره معهم قائلاً: ((قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿ 88 ﴾))[173]، والمعنى: " أخبروني إن كنت على بيان وحجة واضحة وبصيرة وهداية من عند ربي فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه، ورزقني منه رزقاً كثيراً واسعاً بلا كدّ مني ولا تعب في تحصيله. فهل أترك أمركم ونهيكم؟ أو هل يسعني مع هذه النعمة أن أخون وحيه ؟ وهو جواب شديد المطابقة بقولهم: إنك لأنت الحليم الرشيد، أي كيف يليق بالحليم الرشيد أن يخالف أمر ربه وله عليه نعم كثيرة " [174]. وقوله: ((وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه)) أي: " لست آمركم بالأمر إلا وأنا أول فاعل له، وإذا نهيتكم عن الشيء فأنا أول من يتركه " [175]. " ذلك أن صاحب المنهج المعوج والرسالة غير الصادقة،

---

(172) قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص(1920)، (مرجع سابق).

(173) { هود: 88 }.

(174) حسن خان، صدّيق، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، دار الفكر العربي، (1289هـ)، ج4، ص(392).

(175) ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ص(247)، (مرجع سابق).

يأمر الناس أن يفعلوا شيئاً وهو يفعل عكسه، يأمرهم مثلاً بأن يتبرعوا للفقراء ثم يأخـذها هـو ليصبح غنياً، فكأن شعيباً – عليه السلام – يقول لقومه: هل آمركم ألاّ تنقصوا المكيال والميزان، ثم بعد ذلك أحلّه لنفسي ؟ ! " [176] وما أريد إلا الإصلاح العام فيما آمر به وفيما أنهى عنه مـا دمت أستطيعه،لأنه أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وليس لي هوى ولا منفعة شخصية خاصة بي فيهما،ولولا ذلك ما فعلته." وفي هذا إثبات لعقله ورويته ورشده وحكمته،وهو إبطال لتهكمهم واستهزائهم بلقب الحليم الرشيد.والتوفيق في جميع الأحوال من الله سبحانه وتعالى الـذي عليـه التوكل في سائر الأمور،وإليه المرجع والمصير" [177].

ثم ينصح قومه، وينتقل بهم إلى تذكيرهم بمصارع السابقين، محذراً إياهم من أن يكـون مصيرهم كمصير الظالمين من قبلهم، فيقول: ((وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿ 89 ﴾)) [178]، أي: " لا يحملـنكم مخالفتي وبغضكم ما جئت به على الاستمرار على ضلالكم وجهلكم ومخالفتكم، فيحلّ الله بكم من العذاب والنكال، نظير ما أحلّه بنظرائكم و أشباهكم، من قوم نوح وقوم هود وقوم صـالح مـن المكذبين المخالفين. وقوله: ((وما قوم لوط منكم ببعيد)) أي: إنهم لم يكونوا بعيدين منكم لا زماناً ولا مكاناً ولا صفات " [179]. ثم فتح لهم بعد كل هذه النصائح والمحاورات باب الأمل في رحمة الله –تعالى- إن هـم تـابوا وأنـابوا فقـال: ((وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿ 90 ﴾)) [180]. والمعنى: " استغفروا ربكم من كل ما فرط منكم من ذنوب، ثم توبوا إليه توبة صادقة، يقبل –سبحانه وتعالى- منكم توبتكم، لأنه رحيم بعباده، كثير المحبة لمن أطاعه. وهكذا

(176) الشعراوي، **قصص الأنبياء**، ج2، ص(776)، (مرجع سابق).
(177) رضا، **تفسير المنار**، ج12، ص(145)، بتصرف، (مرجع سابق).
(178) { هود: 89 }.
(179) ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ص(248)، (مرجع سابق).
(180) { هود: 90 }.

نجد شعيباً – عليه السلام – يلوّن لقومه النصيحة، وينوّع لهم العظة، ويطوف بهم في مجـالات الترغيب والترهيب، ويحاورهم بشتى الأساليب " [181].

نتيجة المحاورة بين شعيب – عليه السلام – وقومه:-

إن قـوم شعـيب – عليه السلام – قد بلغـوا النهـاية في الفسـاد، فقـد ردّوا عليـه بقـولهم –كما حكى القرآن عنهم -: ((يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿ 91 ﴾)) [182]. " أي ما نفهم كثيراً مما تقـول كالتوحيـد وحرمة البخس قالوا ذلك استهانة به، وجعلوا كلامه هذياناً وتخليطاً لا ينفعهم كثير منه. وقد قالوا ذلك بعد ما سمعوا منه دلائل الحق البيّن على أحسن وجه، وضاقت عليهم الحيل، فلم يجدوا إلى محاورته سبيلاً، سوى الصدود عن منهاج الحق، والسلوك إلى سبيل الشقاء، كما هو حال المفحَم يقابل البينات بالسّب والشّتم. فجعلوا كلامه المشتمل علـى فنـون الحكـم والمـواعظ وأنـواع المعارف، من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه، وأكدّوا أنه ضعيف لا قوة له،ولولا قومـه لرجموه بالحجارة حتى الموت، فلا عزّة ولا كرامة له عندهم "[183].

وهنا نجد شعيباً – عليه السلام – ينتقل في أسلوب محاورته لقومه من اللين إلى الـشدة، ومن التلطّف إلى الإنكار، فيقول لهم: ((يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيّاً إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿ 92 ﴾ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿ 93 ﴾)) [184]، فها هو ذا شعيب – عليه السلام –

---

(181) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(162)، (مرجع سابق).

(182) { هود: 91 }.

(183) القاسمـي، **محاسـن التأويل**، ج9، ص(164،165)، بتصرف، (مرجع سابق).

(184) { هود: 92،93 }.

يذكّر قومـه بمن هو أقوى منهم: (قال يا قوم أرهطـي أعـزّ عليكم من ا) أي إنكم تخـافون عشيرتي وعائلتي وهم عدة أفراد، فتمتنعون عن إيذائي خـوفاً منهم، ولكـنكم لا تخـافون ا القـادر على أن يهلككـم." وكـان قومـه –عليه السلام- يعتقدون أنهم ما دامـوا قـد قـالوا: (ولولا رهطـك لرجمناك) فإنه سيحتمي برهطـه، ولكن الذي قال: (على ا توكلت) لا يحتمي بأحد غير ا سبحانه وتعالى، بل إنه يلوم قومه، كيف يخشون قوة عدد محدود من الرجـال ولا يخشون قوة ا ؟!.

وقوله تعالى: ((أرهطي أعزّ عليكم من ا)) معناه: أنتم جاملتم رهطي، وإكراماً لهم لـم ترجموني، ولكنكم نسيتم ا – سبحانه وتعالى – الذي تأتي منه العـزة جميعـاً " (185). وقولـه تعالى: ((واتخذتموه وراءكم ظهرياً)) راجع إلى ا – عز وجل – والمعنى واتخذتم ا بـسبب عدم اعتدادكم بنبيه الذي أرسله إليكم وراء ظهـوركم لا تبالون به، فنبذتم أمره وتهـاونتم بـه. "لكنّ ا – تعالى- يعلم ما تفعلونه علم إحاطة لا يخفى عليه شيء مـن أقـوالكم ولا أفعـالكم فيجازيكم يوم القيامة " (186). ثم يستخدم شعيب – عليه السلام- مع قومه التهديد والوعيد حـين يقول: ((وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ)) فهذا أمـر تهديد ووعيد مـن واثـق بربـه – سبحانه -، أي اعمـلوا ما استطعتم على منتهى تمكنكم في قوتكم وعصبيتكم، فأني عامل علـى مكانتي التي أعطانيها أو وهبنيها ربي من دعوتكم إلى التوحيد وأمركم بالمعروف ونهيكم عـن المنكر" (187). ((فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه)) أي في الحياة الدنيا، وسـتعلمون مـن تكون له عاقبة الدار ومن يحل عليه الهلاك والبوار، ومن سيحل عليه عذاب مقيم في الآخـرة، " ومن هو كاذب " أي " مني ومنكم فيما أخـبر وبشر وحذر. وانتظروا سوء عاقبة تكذيبكم لي، فإني معكم منتظر ومرتقب " (188).

هلاك قوم شعيب – عليه السلام -:

(185) الشعراوي، **قصص الأنبياء**، ج2، ص(787)، (مرجع سابق).
(186) حسن خان، **فتح البيان**، ج4، ص(395)، بتصرف، (مرجع سابق).
(187) رضا، **تفسير المنار**، ج12، ص(148)، (مرجع سابق).
(188) ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ص(250)، بتصرف، (مرجع سابق).

قال تعالى: ((وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿94﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿95﴾)) [189] أي: " لما جاء أمر ا بعذابهم الذي أُنذروه نجا شعيب – عليه السلام – ومن آمن معه، وأخذت الظالمين صيحة العذاب، فأصبحوا كلّهم ميتين باركين على ركـبهم، مكبّـين على وجوههم في ديارهم، كأنهم لم يقيموا فيها وقتاً من الأوقات. وهذا الهلاك واللعنة هي عقوبة ثمود من قبلهم جزاء وفاقاً لما صنعوا " [190].

وهكذا نرى أن شعيباً – عليه السلام – قد جادل قومه بالتي هـي أحـسن، وحـاورهم وناقشهم بأسلوب جمع ألواناً من الهدايات، ووضع كل كلمة قالها لهم في الموضع الذي يناسبها، وخاطبهم بأحكم منطق وأبلغ بيان، ولكنهم قابلوا كل ذلك بالكـلام القبيح، وبالتطاول والغـرور، وبالتهديد الساخر، والوعيد الظاهر، فكانت عاقبتهم الخسران والبوار [191].

وقفة تأمل في هذا الحوار:

"من الملحوظات الواضحة في أسلوب شعيب – عليه السلام – في المحـاورة إنـصاف الخصم، فلم يتخلّ عن استمالة قومه، بمثل قوله "يا قوم "، ولم يتخلّ عن تطبيق آثار وجهة نظره في المحاورة على نفسه، مراعاة لمشاعر الخصـم ورغبة في الوصول إلـى كـسبه، ووجهـة شعيب – عليه السلام – في الحوار أنه ومن معه مؤمنون با ، وعاملون بما أمروا به، وجـزاء من يفعل ذلك الثواب العظيم في الدنيا والآخرة، وجزاء المخالف العقاب الأليم فيهما، ومن حقـه – عليه السلام – أن يطبق هذا على نفسه، كأنه يقول لخصمه: جزاء المؤمن الصالح رضـا ا وثوابه، وجزاء الكافر المفسد غضب ا وعقابه، ولكنه زيادة في إشعار خصمه بالإنصاف يقول لهم: لا أقول لكم مَنْ منا سيحل به عذاب ا ؟ فلنفترض أني وأنتم في انتظـار هـذا العـذاب

(189) { هود: 94،95 }.
(190) رضا، **تفسير المنار**، ج12، ص(149)، (مرجع سابق).
(191) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(163)، (مرجع سابق).

المخزي، فانتظروا معي وسترون عما قريب بمن يحل العذاب، ومع أن مراد شعيب في غايـة الوضوح – وهو هداية قومه – إلا أنه لا يملك إنصافاً لهم فوق هذا الإنصاف" [192].

"ومما يلفت النظر في هذا الحوار أيضاً: أن شعيباً – عليه السلام – لم يرد الدخول معهم في صراع القوة، بإثارة شعور العصبية العائلية لدى رهطه، ليقفوا معه في لعبة العصبيات التي لا علاقة لها بدعوته، إنما حاول أن يثير فيهم فكرة الانطلاق بالصراع في خطوات سلمية، ليأخذ الفكر مجاله الهادىء بين المؤمنين وبين غير المؤمنين، لأن للصراع الفكري فائدته لدى جميـع الأطراف" [193].

(192) حفني، **أسلوب المحاورة في القرآن الكريم**، ص(100،101)، (مرجع سابق).
(193) فضل ا ، **الحوار في القرآن**، ص(307)، (مرجع سابق).

المبحث الثاني

الحوار بين موسى- عليه السلام – والعبد الصالح

تمهيد:

لم يذكر الحوار بين موسى والخضر عليهما السلام، إلا في موضع واحد من سورة الكهف،والقرآن العظيم لا يحدّد المكان الذي وقعت فيه القصة إلا بأنه ((مجمع البحرين)). ولا يحدد التاريخ الذي وقعت فيه من حياة موسى -عليه السلام -، هل كان ذلك وهو في مصر قبل خروجه ببني إسرائيل أم بعد خروجه بهم منها ؟ [(194)]

حديث نبوي شريف مفصل لأحداث القصة:

ومن الأحاديث الشريفة التي فصّلت أحداث القصة،الحديث الذي رواه البخاري عن سعيد بن جبير قال " قلت لابن عباس: إن نوفاً البكاليّ [(195)] يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل، فقال ابن عباس: كذب عدوّ الله ، حدثني أبيّ بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم ؟فقال: أنا. فعتب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه، فأوحى الله إليه: أن لي عبداً بمجمع البحرين[(196)] هو أعلم منك. قال موسى: ياربّ فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مِكْتَل[(197)]، فحيثما فقدت الحوت فهو ثمّ. فأخذ حوتاً فجعله في مِكْتَل ثم انطلق، وانطلق معه فتاه يوشع بن نون،حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المِكْتَل

(194) قطب، **في ظلال القرآن**، ج5، ص(395)، بتصرف، (مرجع سابق).

(195) نوف البكالي: سيذكر التعريف به في **فهرس الأعلام**.

(196) **مجمع البحرين**: اختلف في مكان مجمع البحرين، فقيل: بحر فارس والروم، وقيل: بحر الأردن والقلزم.

انظر البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط1، (1373هـ -1954م)، ج1، ص(166).

وانظر ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مج3، ص(93)، (مرجع سابق).

(197) حوتاً في مكتل: سمكه في سلّة.

فخرج منه فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرباً[198]، وأمسك ا عن الحـوت جِرْيـة الماء فصار عليه مثل الطاق [199]، فلما استيقظ نسي صاحبـه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقيـة يومهما وليلتهما،حتى إذا كان من الغـد قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سـفرنا هـذا نصباً [200].

قال: ولم يجد موسى النصب حتى جاوزا المكان الذي أمر ا به، فقال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلاّ الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله في البحر عجباً. قال: فكان للحوت سرباً، ولموسى ولفتاه عجباً. فقـال موسى: ذلك ما كنا نبغي، فارتـدّا على آثارهما قصصاً، قال:رجعا يقصّان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجـل مـسجّى ثوباً[201]، فسلّم عليه موسى، فقال الخضر: وأنّى بأرضك السلام ؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل ؟ قال: نعم، أتيتك لتعلّمني مما علّمت رشداً. قال: إنّك لن تستطيع معي صبراً. يا موسى إنّي على علم من علم ا علّمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم ا لا أعلمـه. فقال له موسى: ستجدني إن شاء ا صابراً ولا أعصي لك أمراً : فقال لـه الخـضر: فـإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً.فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرّت سفينة، فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول [202]. فلما ركبا في السفينة لـم يفجَأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم. فقال له موسى: قوم حملونا بغير نـول، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها، لقد جئت شيئاً إمراً [203]. قال: ألم أقل لك إنـك لـن تستطيع معي صبراً ؟ قال لا تؤاخذني بما نسيت،ولا ترهقني من أمري عسراً. قال رسول ا - صلى ا عليه وسلم-: وكانت الأولى من موسى نسياناً. قال: وجاء عصفور فوقع على حـرف

---

(198) سرباً: مسلكاً في خفية. ابن الأثير، **النهاية**، ج2، ص(356)، (مرجع سابق).

(199) فصار عليه مثل الطاق: أصبح ما خلّفه مسير الحوت كالشارع المعبّد.

(200) نصباً:- تعباً ومشقة. ابن الأثير، **النهاية**، ج5، ص(62)، (مرجع سابق).

(201) مسجّى ثوباً: مغطياً نفسه بثوبه.

(202) بغير نول: بغير أجرة.

(203) إمراً: عظيماً وفظيعاً. ابن الأثير، **النهاية**، ج1، ص(67)، (مرجع سابق).

السفينه فنقر في البحر نقرة [204]، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر. ثم خرجا من السفينة،فبينا هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى: أقتلت نفساً زاكية بغير نفس؟ لقد جئت شيئاً نكراً[205]. قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ؟ قال وهذه أشدّ من الأولى. قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني، قد بلغت من لدنّى عذراً. فانطلقا،حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها، فأبوا أن يضيّفوهما، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضّ- مائل- فقام الخضر فأقامه بيده. فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا، ولم يضيفونا، لو شئت لاتخذت عليه أجراً. قال: هذا فراق بيني وبينك -إلى قوله - ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وددنا أن موسى كان صبر حتى يقصّ الله علينا من خبرهما " [206].

اللقاء بين موسى - عليه السلام - والعبد الصالح:

قال تعالى (فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴿ 65 ﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً ﴿ 66 ﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ﴿ 67 ﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً ﴿ 68 ﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً ﴿ 69 ﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً ﴿ 70 ﴾) [207].

---

(204) فنقر في البحر نقرة: أخذ العصفور قطرة أو قطرتين من ماء البحر بمنقاره.

([205]) شيئا نكراً: شيئاً منكرا. ابن الأثير، **النهاية**، ج5، ص(115)، (مرجع سابق).

* لمعرفة معاني هذه المفردات يمكن الرجوع إلى **فتح الباري**، ج8، ص(15-18)، (مرجع سابق).

([206]) البخاري، **صحيح البخاري، كتاب التفسير**، باب (وإذ قال موسى لفتاه)، رقم الحديث. (4725)، ج6، ص (110)، (مرجع سابق).

([207]) {الكهف: 65- 70 }.

في هذه الآيات عرفنا الحوار بين موسى والخضر - عليهما السلام- والذي من أجلـه قطع هذه الرحلة المثيرة، واحتمل فيها ما احتمل من جَهد وعناء. فيعرض موسى-عليه السلام - على صاحبه أن يقبله تابعاً له، وأن يتعلم من علمه، ويغترف من بحره، وذلك فـي تواضـع كريم، وأدب نبوي عظيم، فيقول: (هل أتبعك على أن تعلّمن مما علّمت رشداً)، وفي هذا العرض أمور منها:

1- أنه جعل نفسه -عليه السلام - تبعاً للعبد الصالح لأنه قال: هل أتّبعك ؟

2- أنه استأذن في إثبات هذه التبعية، فقال: هل تأذن لي أن أجعل نفسي تابعـاً لـك ؟ وهـذه مبالغة عظيمة في التواضع.

3- أنه قال: (على أن تعلّمن) وهذا إقرار له على نفسه بعدم المعرفة، وعلى أستاذه بالعلم.

4- أنه قال: (مما علّمت) وصيغة ما للتبعيض، فطلب منه تعليم بعض ما علّمه ا ، وهذا أيضا يشعر بالتواضع، كأنه يقول له: لا أطلب منك أن تجعلني مساوياً في العلم لك، بل أطلب منك أن تعطيني جزءاً من أجزاء علمك، كما يطلب الفقير من الغني أن يدفع إليه جزءاً من أجزاء ماله.

5- إنّ قوله: (مما علّمت): اعتراف بأن ا علّمه ذلك العلم.

6- إن قوله: (رشداً) فيه طلب للإرشاد والهداية، والإرشاد هو الأمرالذي لو لم يحصل لحصلت الغواية [(208)].

7- إن قوله (تعلّمن مما علّمت رشداً) معناه: أنه طلب منه أن يعـامله بمثل ما عامل ا بـه، وفيه إشعار بأنه يكون إنعامك عليّ عند هذا التعليم شبيهاً بإنعام ا عليك في هذا التعليم.

([208]) الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، **التفسير الكبير**، دار الفكر، بيروت، (1398 هـ-1978م)، ج5، ص(502).

8- أنه قال: (هل اتّبعك)؟ فلم يطلب على تلك المتابعة على التعليم شيئاً، كأنه قال: لا أطلب منك علـى هذه المتابعة المال والجاه، ولا غرض لي إلاّ طلب العلم [209]. ويستمع العبد الصالح إلى هذا العرض من موسى، فيرى أن العلم الذي عنده، والذي يطلب موسى تناول شيء منه، هو علم لا يستسيغه عقله، ولا يقبله منطقه، فيقول له في وداعة ولطف: (إنّك لن تستطيع معي صبراً * وكيف تصبر على ما لم تحط به خُبراً) [1] أي:" إنّك يا موسى لا تطيق أن تصبر على ما تراه من علمي، لأن الظواهر التي هي علمك لا تغطيه، وكيف تصبر على ما تراه خطأً ولم تخبر بوجه الحكمة، ولا طريق الصواب فيه، وهو معنى قوله: (وكيف تصبر على ما لم تحط به خُبراً) والأنبياء لا يقرّون على منكر، أي لا يسعك السكوت جرياً على عادتك. فأجاب موسى-عليه السلام- في أدب رفيع: (ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً) أي: سأصبر بمشيئة الله لأنني ألزمت نفسي طاعتك " [2]. واشترط الخضر على موسى-عليهما السلام- إن سار معه، ألاّ يسأله عن أمر يحدث، حتى يبدأه به قبل أن يسأله.

موسى والخضر-عليهما السلام-يركبان السفينة:

قال تعالى: ((فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً ﴿71﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ﴿72﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً ﴿73﴾)) [3] وهنا تبدأ الرحلة، في رحاب هذا الجو الإيماني: ((فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا)) أي" فانطلق موسى وصاحبه يمشيان على ساحل البحر، يطلبان سفينة، فمرّت بهما سفينة، فكلّما أصحابها أن يركبا فيها معهم، فعرفوا الخضر، فحملوهما

([209]) **المرجع السابق**، ج5، ص(502).

(1) { الكهف: 67، 68 }.

(2) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، (د. ط) (د. ت)، مج11، ص(17).

([3]) {الكهف:71-73}.

بغير أجر، تكرمة للخضر، فلما ركبا وسارت بهم السفينة في وسط البحر، قام الخضر بخرقهـا بفأس، مستخرجاً لوحاً من ألواحها " (4).

"لم يتمالك موسى-عليه السلام- نفسه وقال منكراً عليه: أخرقتهـا لتغـرق أهلهـا؟ أي ليصير الخرق سبباً في إغراق أهلها، لقد جئت شيئاً منكراً. قال الخضر: ألم أقل لك سـابقاً يـا موسى: إنك لن تتمـكن من الصبر معـي على ما ترى مني من أفعـال. وهنا اعتذر موسى-عليه السلام-للخضر قائلاً: لا تؤاخذني بنسياني، أي لا تؤاخذني بما تركت مـن وصـيتك أول مرة، ولا تكلفني أمراً شاقاً عسيراً عليّ، أي لا تعسّر عليّ متابعتك، ويسّرها علـيّ بالإغـضاء وترك المناقشة" (210).

الخضر يقتل الغلام وموسى يعترض:

قال تعالى:((فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً ﴿74﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْراً ﴿75﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً ﴿76﴾)) (211).

وهذه فعلة أشد من سابقتها وقعاً، وأفدح خطباً، إذ كانت الأولى في متاع من متـاع الدنيا،أما هذه فقد وقعت على نفس بريئة، لم تقترف إثماً، ولم تأت منكراً. ومن أجـل هـــذا ينسى موسى وجوده كلّه، ولا يذكرالشرط الذي بينه وبين صاحبه، ولا يلتفت إلى زلته التي زلّها مـن قبل مع أستاذه، واعتذاره له.فيصرخ صرخة عالية مدوية (أقتلت نفساً زكية بغير نفس؟ لقد جئت شيئا نكراً) فالموقف هنا إزاء جريمة صارخة لا يمكن أن يقوم لها-حسب تقـديره-عـذر أبداً.

---

(4) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج15، ص(295)، (مرجع سابق).

(210) **المرجع السابق**، ج15، ص(295).

(211) {الكهف: 74-76}.

"وهنا يأخذ الأستاذ تليمذه بشيء من الشدة والتأنيب، فيقول له: (ألم أقل لـك إنـك لـن تستطيع معي صبراً) ؟ ففي كلمة (لك) نخسة قوية وتذكير بالعهد. ولا يجد موسى أمام هذا البعد الذي بين منطلقه ومنطلق صاحبه، إلا أن يحسم الموقف، فيقول لصاحبه واضـعاً حـداً لهـذا الصراع الذي يكاد يدمّر وجوده الداخلي: (إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدنّي عذراً). لقد وجد موسى-عليه السلام-لصاحبه العذر في ضيقه به، ولومه له، وبهذا قبـل العبد الصالـــح أن يبدأ المسيرة مع تلميذه مرة أخرى " [212].

الخضر يبني الجدار وموسى يعترض:

قال تعالى: ((فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً ﴿77﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً ﴿78﴾)) [213].

"فانطلقا-عليهما السلام-يمشيان حتى إذا وصلا إلى قرية طلبا مـن أهلهـا إطعامهـا، فرفضوا وأبوا أن يقدّموا لهما شيئاً، ويظهر من ذلك أن الضيافة كانت عليهم واجبة، وأن الخضر وموسى إنما سألا ما وجب لهما من الضيافة، وهذا هو الأليق بحال الأنبياء-عليهم السلام-. وفي تلك القرية وجدا-عليهما السلام-جداراً قارب على السقوط، فهدمه الخضر ثم قعد يبنيه، فقـال له موسى-عليه السلام-: (لو شئت لاتخذت عليه أجراً) لأنه فـعل يستحقّ الأجر" [214]. "وهنـا يذكّر الخضر موسى بالشرط الذي أخذه على نفسه: وهو إن سأله سؤالاً آخـر فـإن الفـراق

([212]) الخطيب، عبد الكريم، **القصص القـرآني من العالم المنظـور وغير المنظـور**، مؤسسة الرسالة، ط1، (1404هـ –1984م)، ص(130).

([213]) {الكهف: 77-78}.

([214]) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مج11، ص(25- 27)، (مرجع سابق).

يحصل حينئذ (قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني) فلما ذكر هذا السؤال، فارقه ذلك العالم قائلاً: هذا فراق بيني وبينك" [215].

الخضر يفسر لموسى أفعاله الثلاثة قبل مفارقته:

قبل أن يفترقا أراد الخضر أن يفسّر لموسى-عليه السلام-حقيقة أفعاله الثلاثة: خرق السفينة، قتل الغلام، وبناء الجدار وذلك ليبيّن له صواب فعله، ويزيل عنه استغرابه وإنكاره.

الخضر-عليه السلام- يبين حكمة خرقه السفينة:

"إن السفينة خرقها ليعيبها لأن المساكين كانوا يمرّون على ملك ظالم يأخذ كل سفينة صالحة غصباً، فأراد أن يعيبها ليردّه عنها فينتفع بها أصحابها المساكين الذين لم يكن لهم شيء ينتفعون به غيرها. فموسى -عليه السلام- لم يكن يعلم بوجود عصابة الملك أمامهم، ولهذا لم يعرف حكمة خرق السفينة فأنكر، أما الخضر فقد أعلمه الله بذلك ونفذ أمر الله سبحانه" [216].

حكمة قتل الغلام:

"لقد أخبر الله تعالى الخضر-عليه السلام- أن أبوي هذا الغلام كانا مؤمنَين صالحَين، ومع ذلك ابتلاهما الله بولد كافر وسيكون مجرماً ظالماً عندما يكبر. فخاف الخضر-عليه السلام- أن يغشى الوالدين المؤمنين طغياناً عليهما وكفراً لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه، ويلحِق بهما شراً وبلاء أو يعديهما بدائه، ويضلّهما بضلاله، فيرتدّا بسببه.فأراد الخضر- عليه السلام-أن يبدلهما ربّهما خيراً منه طهارة ونقاء من الذنوب، وأقرب منه في برّ والديه" [217].

([215]) الرازي، **التفسير الكبير**، ج5، ص(506)، (مرجع سابق).

([216]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مج3، ص(99)، (مرجع سابق).

([217]) النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، **تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل**، دار الفكر، ج3، ص(22).

حكمة بنائه الجـدار:

"إن الجدار المعهود الذي أصلحه الخضر كان لولدَين صغيرَين يتيمَين في القرية، وكان تحته مال مدفون، وكان أبوهما رجلاً صالحاً فأراد ا إبقاء ذلك الكنز مدفوناً حفظاً لمالهمـا، ولصلاح أبيهما، فأمره ا بإصلاح ذلك الحائط، إذ لو سقط لاكتشف وأخذ، وأراد ا تعالى أن يبلغ الغلامان كمالهما وتمام نموّهما، وأن يستخرجا الكنز من ذلك الموضع الذي عليه الجـدار، رحمة لهما بصـلاح أبيهما. إن هذه الأمور الثلاثة التي فعلها الخضر-عليه السلام- لـم تكـن باجتهاده ورأيه، ولكنها كانت بأمـرا -عزّ وجلّ- وإلهامه ووحيه، فالإقدام على ذلك كلّه مـن الاعتداء على المال والنفس، وإصلاح الجـدارلا يكون إلا بالوحي والنص القاطع" [218].

العظات والأحكـام المسـتفادة من حـوار موسـى مع الخضر –عليهما السلام:-

1. استحباب الرحلة في طلب العلم، ولو بعدت المسافة.
2. استحباب الاستكثار من العلم، فإنه مهما حصل الإنسان منه فإنه يبقى يجهل الكثير من مسائله.
3. جواز التزود بوسائل الزاد وألوان الطعام عند السـفر.
4. الأدب مع العلماء وترك الاعتراض عليهم
5. تأويل ما لا يفهم ظاهره من الأقوال والأفعال والحركات.
6. الوفاء بالعهود، والاعتذار عند مخالفة العهد.
7. جواز إجارة السفينة وركوبها.

([218]) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج16، ص(11، 12)، (مرجع سابق)

8. الحث على التواضع في العلم وغيره.

9. إذا سئل العالم: أي الناس أعلم ؟ فليقل: ا أعلم.

10. وجوب التسليم لكل ما جاء به الشرع، وإن لم تظهر بعض حكمته للعقول [219].

11. جواز إطلاق الفتى على التابع.

12. جواز استخدام الحرّ في عمل من الأعمال.

13. عذر الناسي لأنّه لا حيلـة لـه في النسـيان.

14. قبول الهبة من غير المسـلم.

15. جواز إخبار المسلم عما فيه من تعب أو مرض أو فقر.

16. جواز طلب الضيافة، وطلب القوت والطعام.

17. حسن الأدب مع ا تعالى، وأن لا يضاف إليه ما يستهجن لفظه[220].

([219]) النووي، محيي الدين أبو زكريّا يحيى بن شرف، **صحيح مسلم بشرح النووي**، دار إحياء التراث العـربي، بيروت، ط2، (1392هـ - 1972م)، ج15، ص(137، 147).

([220]) العسقلاني، **فتح الباري**، ج8، ص(422)، (مرجع سابق).

المبحث الثالث

الحوار في قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف

تمهيد:

"إنها قصة الرجل الكافر صاحب الجنتين، الذي بطر بسبب النعمة، وأنكر لقاء ا تعالى، فعاش لدنياه وشهواته فحسب،وقصة الرجل المؤمن الصابر، الذي أنفق ماله ابتغاء وجه ا ، وقدّم من العمل الصالح لآخرته ما يقرّبه من ربه عزوجل، وقد جمعت بينهما الأيام، بهذا المكان الذي جرى فيه ذلك الحديث، وتلك المحاورة التي قصّها علينا القرآن الكريم " [221].

تفصيل القصة كما ذكرها القرآن الكريم:

قال تعالى: ((وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً ﴿32﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَراً ﴿33﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً ﴿34﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً ﴿35﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً ﴿36﴾)) [222].

"هذه هي بداية القصة، قصة الكافر الثري، صاحب الجنتين والحديقتين الواسعتين، المحفوفتين بالنخيل، وسائر أنواع الأعناب، وفيهما الثمار الزاهية،والأنهار الجارية، والفواكه المتنوعة، وقد أغدق ا عليه العطاء، وأفاض عليه النعمة،فبدل أن يشكر ربّه على إنعامه وإفضاله، جحد وكفر، واستكبر على عبادة خالقه، وأنكر الآخرة، وأخذ يجادل صديقه المؤمن

([221]) الصابوني، محمد علي، **قبس من نور القرآن الكريم**، دار السلام، ط1، (1418هـ - 1997م) ج7، ص(29).
([222]) الكهف: {32-36 }.

بأسلوب فيه الزهو والافتخار، والتعالي والاستكبار، وهكذا شأن عبيد الدنيا، يخدعون بـ أموالهم، وتفتنهم الحياة ببهجتها وزينتها، ثم تكون النتيجة الهلاك والدمار ! " [223].

([223]) **المرجع السابق**، ج7، ص(29، 30).

تجسيد لموقف المستكبرين:

هنا تبدأ مرحلة التمرّد والطغيان التي تكون بدايتها الإحساس العميق بالأفضلية والتعالي على الآخرين، حيث التفت هذا الكافر وهو بهذه الحالة إلى صاحبه: " فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً "قال: فأنا أملك قوة إنسانية كبيرة وعندي مال وثروة وجاه، وأنا أملك - أيضاً- نفوذاً وموقعاً اجتماعياً وأنصاراً وحشماً، أما أنت، فماذا تستطيع أن تقول وهل لديك كلام معقول !!؟

"لقد تضخّم هذا الإحساس ونما تدريجياً، ووصل صاحب البستان إلى حالة بدأ يظنّ معها أن هذه الثروة المال والجاه والنفوذ إنّما هي أمور أبديّة، فدخل بغرور إلى بستانه، ونظر إلى أشجاره الخضراء، وسمع صوت الماء الذي يجري في النهر القريب من البستان والذي كان يسقي أشجاره، وقال: لايمكن أن تهلك هذه الجنة أو تفنى، لاعتقاده أبدية الدهر، وأنه لا كون سوى ماتقع عليه مشاعره، بل عمد إلى ماهو أكثر من هذا فقال " وماأظن الساعة قائمة "، أي: كائنة آتية، وأقسم على أنه إن ردّ إلى ربه، على سبيل الفرض والتقدير، كما يزعم صاحبه، ليجدنّ في الآخرة خيراً من جنته في الدنيا، تطمعاً وتمنياً على الله سبحانه، وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده، وأنه ماأولاه الجنتين إلا لاستحقاقه واستئهاله. وأن معه هذا الاستحقاق أينما توجه"[224].

نصيحة المؤمن لصاحبه الكافر:-

ويقبل عليه شريكه المؤمن ناصحاً ومذكّراً، وداعياً له إلى الإيمان، على ما أعطاه الله من الفضل والإحسان، ويحاوره ويجادله بالحكمة والموعظة الحسنة، فيبين له أن الله تعالى لما قدر على الابتداء وجب أن يقدر على الإعادة. ((قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن

([224]) القاسمي، **تفسير القاسمي**، ج11، ص(42)، بتصرف، (مرجع سابق).

تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴿37﴾ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً ﴿38﴾))[225]،

"ففي هاتين الآيتين إشارة إلى خلق الإنسان في الابتداء، وفيهما أيضاً: أنّه لما خلقك هكذا فلم يخلقك عبثاً، وإنّما خلقك للعبودية وإذا خلقك لهذا المعنى، وجب أن يحصل للمطيع ثواب وللمذنب عقاب. ثمّ قال المؤمن "ولا أشرك بربّي أحداً" وهذه لها عدة معانٍ:

(أحدها): أنّي لا أرى الفقر والغنى إلاّ منه عز وجل فأحمده إذا أعطى وأصبر إذا ابتلى ولا أتكبّر عندما ينعم عليّ، ولا أرى كثرة المال والأعوان من نفسي، وذلك لأنّ الكافر لمّا اعتزّ بكثرة المال والجاه،فكأنّه قد أثبت شريكاً في إعطاء العزّ والغنى.

(ثانيهما): لعلّ ذلك الكافر مع كونه منكراً للبعث كان عابد صنم، فبيّن هذا المؤمن فساد قوله بإثبات الشركاء" [226]. وواصل المؤمن محاورته للكافر ثم نصحه قائلاً: ((وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً ﴿39﴾ فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً ﴿40﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً ﴿41﴾)) [227].

"وهنا يوضح المؤمن للكافر أن الأشياء مقدّرة بمشيئة ا إن شاء أفقر، وإن شاء أغنى، وإن شاء نصر، وإن شاء خذل" [228]. "ثم تمنّى الرجل المؤمن أن تذهب أشجار صاحبه ونباته، ويبقى له أرض ذهبت منافعها، حتى منفعة المشي فيها فهي وحل لاتنبت ولا تثبت فيه قدم، وأن يصبح ماؤها ذاهباً في الأرض لا يستطاع تناوله " [229].

([225]) الكهف: { 37 – 38 }.

([226]) الرازي، **التفسير الكبير**، ج21، ص (126)، (مرجع سابق).

([227]) {الكهف: 39 – 41 }.

([228]) أبو حيّان، محمد بن يوسف، **البحر المحيط**، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1413هـ – 1993م)، ج6، (122، 123)، بتصرّف.

([229]) ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(1413هـ -1993م)، ج3، ص(518).

المفاجأة المدهشة بدمار الحديقتين!

وينتهي الحوار هنا، وتطالعنا السورة الكريمة بالمفاجأة المدهشة، فيتحقق رجاء المؤمن، بزوال النعيم عن ذلك الكافر المتغطرس، وفجأة ينقلنا السياق من منظر البهجة والإزدهار، إلى مشهد البوار والدمار ((وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً ﴿42﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِراً ﴿43﴾)) [230]. ومعنى قوله تعالى: (وأحيط بثمره) "أهلك ا أمواله المعهودة من جنتيه ومافيهما، فأصبح يقلّب كفيه ظهراً لبطن ندماً على ماأنفق في عمارتها من المال. وأصبحت الجنة من الأعناب المحفوفة بنخل ساقطة على دعائمها المصنوعة للكروم، وتذكر حينئذ موعظة أخيه، وتمنى لولم يكن مشركاً فلم يصبه ماأصابه" [231].

التعقيب الرباني على هذا الحوار !

لما ذكر- تعالى -من قصة الرجلين ما ذكر، علمنا أن النصرة والعاقبة المحمودة كانت للمؤمن على الكافر، وعرفنا أن الأمر هكذا يكون في حق كل مؤمن وكافر، فقال سبحانه: ((هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً ﴿44﴾)) [232]. أي: "في مثل ذلك الوقت وفي مثل ذلك المقام، تكون الولاية يوالي أولياءه، فيعليهم على أعدائه، ويفوّض أمر الكفار إليهم. فقوله (هنالك) إشارة إلى الموضع، والوقت الذي يريد إظهار كرامة أوليائه وإذلال أعدائه. وقيل: المعنى في تلك الحالة الشديدة يتولّى ا ، ويلتجئ إليه كل محتاج مضطّر. وقيل: المعنى:

([230]) {الكهف: 42-43 }.

([231]) أبو السعود، محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، **تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب لكريم**، دار الفكر، (1401هـ-1981م)، ج3، ص(523،524)، بتصرف.

([232]) {الكهف: 44}.

هنالك الولاية ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة، وينتقم لهم ويشفي صـدورهم مـن أعدائهم"[233].

في هذه القصة نشاهد تجسيداً حياً لما نطلق عليه اسم غرور الثروة، وقد عرفنا أن هـذا الغرور ينتهي أخيراً إلى الشرك والكفر. فعندما يصل الأفراد الذين يعيشون حياتهم بـلا غايـة أوهدف إيماني، إلى منزلة معينة من القدرة المالية أو الوجاهة الاجتماعية فـإنهم فـي الغالـب يصابون بالغرور.

وفي البداية يسعون إلى التفاخر بإمكاناتهم على الآخرين ويعتبرونهـا وسـيلة تفـوّق، وهؤلاء يأخذون من التفاف أصحاب المصالح حولهم دليلاً على محبوبيتهم، وقد أشـار القـرآن الكريم إلى ذلك بقوله: "أنا أكثر منك مالاً وأعزّ نفراً". ويتجسّد حبّ هؤلاء للدنيا بالظن التدريجي بخلود ما في أيديهم، "ما أظن أن تبيد هذه أبداً". إن ظنهم بخلود ثرواتهم المادية يجعلهم ينكرون المعاد للتضادّ الواضح بين ما هم فيه وبين مبدأ البعث والمعاد، فيكون لسان حالهم: " وما أظن الساعة قائمة " [234].

([233]) الحنبلي، عمر بن علي بن عادل، **اللّباب في علوم الكتاب**، تحقيق:عادل أحمد وعلي معوّض، دار الكتـب العلميـة، بيروت، ط1، (1419 هـ - 1998 م)، ج12، ص(498).

([234]) الشيرازي، ناصر مكارم، **الأمثل في تفسير كتاب ا المنـزل**، مؤسسة البعثة، بيروت، ط1، (1413هـ -1992م)، ج9، ص(248).

المبحث الرابع

الحوار بين السادة والأتباع الذين أضلّوهم (يوم القيامة)

تمهيد:

التبعية قضية خطيرة، ومسألة حياتية هامة،من أهم وأخطر القضايا التي يعيشها النـاس دائماً، ويتفاعلون معها،سلباً أو إيجاباً، لاتنفك عنهم، ولاتنفصل عن حياتهم، مهما كان مـستواهم الحضاري، في أي زمان أومكان. الأتباع والمتبوعون موضوع قرآنـي، مـن الموضـوعات البارزة التي عرضها القرآن وناقشها وعالجها. موضوع عرضه القرآن عرضـاً حيّاً،وناقـشه نقاشاًعلميا موضوعياً، وعالجه علاجاً ناجحاً محدّداً." إن التبعية التي يقوم بها الأتباع للمتبـوعين مسألة حياتية واقعية،ومشكلة عملية اجتماعية، وقعت عند الأقوام والأمم في الماضي، وتحـدّث القرآن عن نماذج وأمثلةوعيّنات لها، وهي مسألة وقضية حياتية واقعية معاصرة، نشاهدها عنـد الدول والشعوب في هذا الزمان، تتبع فيها الشعوب والجماهير سادتها وكبراءهـا وزعماءهـا، وتجعلهم أئمة متبوعين لها.

وللتبعية آثار ونتائج خطيرة، على المستوى الفردي والجماعي،والسياسي والاقتـصادي، والأخلاقي والمحلي والدولي، والحضاري والمستقبلي. لقد كان لوجود الأتباع والمتبوعين عنـد الأمم السابقة، أثر مباشر على ما أصاب تلك الأمم من عقاب وعذاب ودمار وهلاك. ولوجـود الأتباع والمتبوعين عند الشعوب والدول المعاصرة، أثر مباشر على واقع هذه الشعوب والدول، وعلى المستوى الذي تعيشه في حياتها، وله أثر مباشر على ما ينتظر هذه الأمم والشعوب مـن أحداث وتطورات في مستقبلها! " [235].

والذي نريد أن نلقي الضوء عليه، هي تلك الآيات القرآنية التي تعالج الحوار الذي يدور بين الأتباع والمتبوعين يوم القيامة، حتى نكشف خفايا المتبوعين وسرّ انحرافهم، وندم الأتبـاع يوم القيامة حيث لاينفع الندم !

([235]) الخالدي، صلاح عبد الفتّاح، **الأتباع والمتبوعون في القـرآن**، دار المنـار، عمـان، ط1، (1417هـ - 1996م)، ص(11،12،14)، بتصرف.

المطلب الأول

الحوار بين الأتباع والمتبوعين: (براءة ومفاصلة وحسرات)

قال تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿165﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴿166﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿167﴾))[236].

تتحدّث الآيات السابقة عن أناس عبدوا غير الله عزوجل، فاتخذوا أنداداً ،يلتمسون منهم الخير، ويتأملون منهم دفع الشر، وهؤلاء هم المشركون وهذه حالهم مع آلهتهم في الدنيا ومصيرهم في الآخرة. "اتخذ هؤلاء المشركون أنداداً وأمثالاً وهم رؤساؤهم، أو أوثانهم وأصنامهم، يعظّمونهم ويحبونهم ويطيعونهم ويعبدونهم كتعظيم الله وحبّه وطاعته وعبادته،ويتقرّبون إليهم كتقربهم ، ويلتجؤون إليهم عند الحاجة كالتجائهم إلى الله تعالى.ولكنهم في هذا كلّه مضطربون حيارى، حيث يلجؤون إلى بشر أو صنم أوحيوان،ولا يتحقق لهم مأرب! وأنهم مع عجز الأصنام يحبونهم كحب المؤمنين مع قدرته سبحانه وتعالى" [237]." يقول الإمام الزمخشري واصفاً هؤلاء الأتباع: "إن هؤلاء الأتباع يعظّمون المتبوعين ويخضعون لهم تعظيم المحبوب، ويسوّون بين الله تعالى وبين متبوعيهم في محبتهم لأنهم كانوا يقرّون بالله تعالى ويتقربون إليه سبحانه. ولو يعلم هؤلاء الأتباع الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلّها على كل شيء من العقاب والثواب دون أندادهم،ويعلمون شدة عقابه للظالمين إذا عاينوا

([236]) {البقرة 165-167 }.

([237]) الزحيلي،**التفسير المنير**، ج2، ص(67)، (مرجع سابق).

العذاب يوم القيامة، لكان منهم مالايدخل تحت الوصف من الندم والحسرة " [238]. وعندما تتضح الصورة يوم القيامة للأتباع والمتبوعين، وتنكشف الأمور عن حقائقها، ويقفون جميعاً عـاجزين أمام عذاب ا عزوجل، يبدأ بينهم حوار فيه تلاوم وتبرّؤ وحسرة وندم. يقوم المتبوعون بالبراءة من أتباعهم ويفاصلونهم، ويقطعـون علاقتهم بهم ((إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ)) أي: "حين صـار الأتباع بحـاجـة إلى المتبوعين تبرّأ المتبوعون منهم وتخلّوا عنهم" [239].

"وتبرّؤ التابعين هو انفصالهم عن متبوعيهم والندم على عبادتهم إذ لم يجِد عـنهم يـوم القيامة شيئاً، ولم يدفع عنهم من عذاب ا ورأوا العذاب رأي العين. وفي هذا اليوم تنقطع بينهم الوصلات والعهود والجاه وكل أسباب النجاة والمودّات، فلا منجي لهم من العذاب ولا مخلـص يخلّصهم من عذاب ا تعالى. ويفاجأ الأتباع بتبرّؤ متبوعيهم منهم، وتقطّع الأسباب والـروابط معهم، ويشعرون بعِظَم الخسارة فيقولون "لوأن لنا كرّة فنتبرّأ منهم كما تبرّؤوا منا" فهاهم يتمنون الرجوع إلى الدنيا حتى يطيعوا ا تعالى ويتبرّؤوا منهم في الآخرة إذا حشروا جميعاً مثل ماتبرّأ المتبوعون أولاً منهم" [240]. "وا عز وجل يري الكافرين أعمالهم الخبيثة حسرات عليهم، لِـمَ عملوا بها ؟ وهلاّ عملوا بغيرها؟ فندموا على ما فرط منهم من أعمالهم الرديئةعندما رأوا العقاب عليها. ومصيرهم النار مخلّدون فيها، بسبب كفرهم، وندمهم وحسرتهم لاينجيهم من الخلود فـي النار" [241].

([238]) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويـل فـي وجـوه التأويـل**، دار المعرفة، بيروت، ج1، ص(326)، بتصرّف.

([239]) أبو حيّان، **البحر المحيط**، ج1، ص(473)، بتصرّف، (مرجع سابق).

([240]) **المرجع السابق**، ج1، ص(474).

([241]) الطبري، جامع البيان، الجزء الأول،ص (519، 520)، (مرجع سابق).

أهم العبر المستفادة من هذا الحوار:

1- يتبرأ المعبودون من عابديهم، ويتبرأ العابدون من معبوديهم.

2- يتمنى العابدون الرجوع إلى الدنيا حتى يتبرؤوا من الآلهة المزعومة [242].

3- لا عذر لأحد في الاتّباع المحض، والتقليد المحض [243].

4- اشتراك الأتباع مع المتبوعين في العذاب، حيث يوقفون للحساب معهم، ويشعرون بالحسرة والندامة والخزي والذل معهم، ويدخلون جهنم معهم، ويتقلّبون في نارها وعذابها معهم، ويخلدون فيها معهم، ويتحمّلون المسؤولية معهم [244].

([242]) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج2، ص(70)، (مرجع سابق).

([243]) رضا، **تفسير المنار**، ج2، ص(69)، (مرجع سابق).

([244]) الخالدي، **الأتباع والمتبوعون في القرآن**، ص(193)، (مرجع سابق).

المطلب الثاني

أهل النار في حوارهم وتخاصمهم

قال تعالى: ((فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَـئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ ﴿37﴾)) [245]." يبين الله عز وجل أنه لا أحد أسوأ فعلاً وأجهل قولاً وأبعد ذهاباًعن الحق والصواب، ممن اختلق على الله زوراً من القول، فقال إذا فعل فاحشة: إن الله أمرني بها ! أو كذّب بأدلته وأعلامه الدالة على وحدانيته ونبوة أنبيائه،فجحد حقيقتها ودافع صحتها، فأولئك يصل إليهم حظّهم من اللوح المحفوظ. فهؤلاء الذين افتروا على الله الكذب أو كذّبوا بآيات ربهم، ينالهم حظوظهم التي كتب الله لهم من رزق وعمل وأجل وخير وشر في الدنيا، إلى أن تأتيهم رسلنا لقبض أرواحهم " [246].

ها نحن أولاء أمام مشهد هؤلاء الذين افتروا على الله كذباً أو كذّبوا بآياته،وقد جاءتهم رسل ربهم من الملائكة يتوفونهم، ويقبضون أرواحهم، فدار بين هؤلاء وهؤلاء هذا الحوار: "قالوا أين ماكنتم تدعون من دون الله ؟ "أين دعاويكم التي افتريتم على الله ؟ وأين آلهتكم التي توليتم في الدنيا، وفتنتم بها عما جاءكم من الله على لسان الرسل – عليهم السلام - ؟ أين هي الآن في اللحظة الحاسمة التي تُسلب منكم فيها الحياة، فلا تجدون لكم عاصماً من الموت يؤخركم ساعة عن الميقات الذي أجّله الله ؟ ويكون الجواب هو الجواب الوحيد، الذي لا مفر منه، ولا مغالطة فيه: "قالوا ضلّوا عنا" غابوا عنا وتاهوا ! فلا نحن نعرف لهم مقراً، ولاهم يسلكون إلينا طريقاً ! فما أضيع عباداً لا تهتدي إليهم آلهتهم، ولا تسعفهم في مثل هذه اللحظة الحاسمة ! وما أخيب آلهة لا تهتدي إلى عبادها في مثل هذا الأوان! وشهدوا على أنفسهم أنهم

([245]) {الأعراف: 37}.

([246]) الطبري، **جامع البيان**، ضبط وتوثيق: صدقي العطار، ج8، ص(221،222،226)، (مرجع سابق).

كانوا كافرين "وكذلك شهدناهم من قبل في سياق السورة عندما جاءهم بأس ا في الدنيا، حـين اعترفوا أنهم كانوا ظالمين"[247].

"وشهادتهم على أنفسهم لا تجدي لأن زمن التكليف قد انتهى، وهم الآن في دار قهر لكل ما يريده ا ،ففي دار التكليف كان الإنسان حرّاً أن يفعل أولا يفعل،ولكن في الدار الآخرة لا تنفع هذه الشهادة. وذلك ليتبين عدالة الجزاء الذي يصيبهم،ولن يتأبوا على الجزاء، ولذلك يقول الحق سبحانه: ((قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَـؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـكِن لاَّ تَعْلَمُونَ ﴿ 38 ﴾)) [248].

وهنا يوضح لنا الحق سبحانه وتعالى أنه بأمر وكلمة "كنْ " سيدخلون الناركما دخلتها أمم قد خلت من قبل فليسوا بدعاً، وليدخلوا معهم إلى المصير الذي يذهبون إليه،وهم أمم خلـيط. إن الاقتداء بالأمم التي سبقت هو الذي قادهم إلى الكفر، فالأمم التي سبقت كانت أسوة في الـضلال للأمة التي لحقت، فإذا مادخلوا لعنوهم. وبعد أن يلحق بعضهم بعضاً ويجتمعوا، يحدث بيـنهم هذا الحوار العجيب" [249]: "قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضـعفا مـن النار" أي: "تقول أخراهم دخولاً النار وهم الأتباع، "لأولاهم" أي: لأولاهم دخولاً وهـم القـادة، ربنا هؤلاء الذين أضلّونا عن الهدى فضعّف عليهم العذاب، فيقول ا سبحانه وتعـالى: "لكـل ضعف"، يعني للقادة والأتباع ضعف من العـذاب، ولكن لايعلم الأتباع ما للقادة ولا القـادة مـا للأتباع. وهذا دليل على تهـويل العـذاب وشـدته" [250]. مـاذا تقـول أولاهم لأخـراهم ؟

([247]) قطب، **في ظلال القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج3، ص(514،515)، (مرجع سابق).

([248]) { الأعراف: 38}.

([249]) الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، أخبار اليوم، (1411هـ-1991م)، مج7، ص(4132)، بتصرف.

([250]) البغوي، أبو محمد حسين بن مسعود الفراء، **تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل**، تحقيـق: (خالـد العـك،مروان سوار)، دارالمعرفة، بيروت، ط1، (1406هـ-1986م)، ج2، ص(159).

((وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿ 39 ﴾)) [251] أي مادمتم ستأخذون ضعف العذاب مثلنا.

"فقد تساوت الرؤوس "فذوقوا العذاب بماكنتم تكسبون"، ومعلوم أن التذوق في الطعـوم، فهل هم يأكلون العذاب ؟ لا، إن الحق قد جعل لكل جارحة فيهم تذوق العذاب، والحق حين يريد شمول العذاب للجسم يجعل لكل عضو فيه حساسية الذوق كالتي في اللـسان. ولـذلك يقـول سبحانه وتعالى: ((وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿ 112 ﴾)) [252]، هذه هي الإذاقة،كأنها صارت لباساً من الجوع يشمل الجسد كلّه، والإذاقة أشد الإدراكات تـأثيراً، واللبـاس أشـمل للجسد" [253].

المعطيات العملية لهذا الحوار:

"نستوحي من هذا الحوار، التأكيد على رفض التبعية في العقيدة وفي الممارسـة وفـي الموقف، وضرورة الاستقلال الذاتي في تحصيل القناعة، بما تعتقده النفس وماتمارسه وماتتخذه من مواقف، لأن أيّ تبرير للتبعية في أي زاوية من زوايا العلاقات العامة والخاصة،لايمنع مـن تحمّل المسؤولية ومواجهة نتائجها في الدنيا والآخرة.كذلك فإن العقيدة المنحرفة لاتصنع الوحدة الروحية: فالارتباط بين الأفراد والجماعات،على أساس العقيدة المنحرفة أو السلوك المنحرف،لا يصنع الوحدة الروحية أو الرابطة المصيرية بينهم التي تدفعهم إلى التضامن والمـشاركة فـي نتائج المسؤولية دون تأفـّف أو تذمّر، ولعل السبب في ذلك هو أن الانحراف لا يخضع للفكـر، بل للمصلحة الذاتية وللعلاقات العاطفية غالباً، مما يدفع الإنسان إلى التخلّي عن صاحبه عند أية

([251]) {الأعراف: 39 }.

([252]) {النحل:112}.

([253]) الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، مج7، ص(4134)، (مرجع سابق).

إشارة خطرة تهدده، أو عند أي اصطدام بالمصير السيء. فتكون النتيجة الملاعنة والتسابق إلى التهرب من المسؤولية وإلقائها على الطرف الآخر" [254].

([254]) فضل ا ، **الحوار في القرآن**، ص (363،364)، (مرجع سابق).

المطلب الثالث

الحوار بين الضعفاء والمستكبرين

إنه مشهد مؤثّر، يصوّر الأتباع والمتبوعين يوم القيامة، يرينا الأتباع الـضعفاء، وهـم يذوبون حسرة وندماً، ويرينا المتبوعين المستكبرين وهم يتبرؤون من أتبـاعهم، قـال تعـالى مصوّراً هذا المشهد: ((وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿21﴾)) [255].

إن الآية الكريمة تصور لنا موقف من أخضعوا إرادتهم لإرادة الآخرين ونزواتهم، فـي وقت كانوا يستطيعون فيه تحرير أنفسهم وإرادتهم منهم، ولكنهم خضعوا واستكانوا لمظاهر القوة ومطامع المال التي يملكها أولئك، فساروا خلفهم دون وعي أو شعور.إنهـم –الآن-يـستيقظون على ماوصلوا إليه من واقع، فيحاولون التخلّص من بعض قسوته، ويتوجهون إلى مـن كـانوا يتبعونهم في كل شيء، ليطالبوهم بتحمل تبعاتهم في الآخرة،كما تحملوا –هـم- تبعـاتهم فـي الدنيا،على غرارماكان عليه الحال في الدنيا،حيث كان الرئيس يـؤمّن لأتباعـه الحمايـةمقابل مايقدّمونه له من أعمال خضوع وولاء.

"وينطلق سؤالهم بلهجة متوسلة يائسة، تحمل الكثير من خيبة الأمل وعدم الثقة بالنتيجة، كما توحي هذه العبارة "فهل أنتم مغنون عنا من عذاب ا من شيء ؟" وتجسّد الصورة القرآنية موقف الخوف لأولئك المستكبرين، باعتبار الموقف يائساً للطرفين. فهم لايملكون لأنفسهم شيئاً. فكيف يملكون لهم الحماية ؟ فليس في الموقف متسع للحساب، وليس هناك مجال للهروب، بـل هو الاستسلام اليائس للمصير "سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص" وقد نفهـم مـن

([255]) {إبراهيم: 21 }.

الجواب هروباً من طبيعة المسؤولية، فهم لايعتبرون أنفسهم مسؤولين عن ضلالهم، لأن الهداية من ا تعالى، فإذا لم يوفر ا لهم الهداية، فكيف يمكنهم أن يحققواهم أنفسهم الهداية لغيرهم " لو هدانا ا لهديناكم "وهذاغاية اليأس في الموقف. وهكذا يريد ا أن يجـسّد للمستـضعفين فـي الدنيا، مواقف الندم واليأس في الآخرة، ليواجهوا واقعهم الحالي، مواجهة الإنسان الـذي يـشعر بأنه يواجه نتائج مسؤوليته وحده، ولذا فإن عليه أن يبدأ الحساب على هذا الأساس " [256].

المناظرة بين الشيطان وأتباعه:

قال تعالى: ((وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿22﴾)) [257]، لما ذكر ا تعالى المناظرة التي وقعت بين الرؤساء والأتباع من كفرة الإنس،أردفها بالمنـاظرة التـي وقعت بين الشيطان وأتباعه من الإنس،" فعندما استقر أهل الجنةفي الجنة وأهل النار في النـار، أخذ أهل النار في لوم إبليس وتقريعه، فيقوم في النار فيما بينهم خطيباً ويقـول: إن ا وعـدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الأعمال،فوفّى لكم بما وعـدكم، ووعـدتكم خـلاف ذلـك فأخلفتكم الوعد،ولم يكن لي حجة عليكم ولا قدرة،ولكني دعـوتكم إلـى الـضلالة بوسوسـتي وتزييني، فكان من الواجب عليكم ألاّ تغترّوا بقولي ولا تلتفتوا إلى حججي الواهية" [258]، كمـا قال تعـالى: ((يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً ﴿120﴾)) [259]، وهنـا يظهـر الشيطان أن الذنب ذنب أتباعه، لكونهم لم يستمعوا إلى دعاء ربّهم،الذي دعـاهم دعـوة الحـق بالحجج والبينات، فخالفوا البراهين الداعية لهم إلى الصواب." ويستمر الـشيطان فـي خطبتـه

([256]) المرجع السابق، ص(354).

([257]) { إبراهيم:22 }.

([258]) الرازي، **التفسير الكبير**، ج5، ص(232)، بتصرّف، (مرجع سابق).

([259]) {النساء: 120 }.

الإبليسية قائلاً لأتباعه:ما أنا بمغيثكم ولا منقذكم ولا مخلّصكم مما أنتم فيه من العذاب، وما أنتم بمغيثيّ ولا نافعي مما أنا فيه من العذاب والنكال، إني جحدت اليوم بإشراككم إياي من قبل،أي: في الدنيا مع الله تعالى في الطاعة، والمراد بذلك تبرؤه من الشرك وإنكاره له، ثم يبين الله لهم أن الكافرين في إعراضهم عن الحق، واتباعهم الباطل، لهم عذاب مؤلم، من أجل تنبيه الناس إلى تبرؤ الشيطان من وساوسه في الدنيا، وحضهم على الاستعداد ليوم الحساب،وتذكر أهوال الموقف "[1].

دروس الحاضر:

1) العتاب والنزاع قائم بين أهل النار، فهذه محاورة بين القادة والأتباع تدل على عجز السادة عن تحقيق أي شيء لأتباعهم الذين اتبعوهم في الدنيا، فهم لا يستطيعون تخليص أنفسهم من عذاب الله، ولا تحقيق أي نفع لذواتهم، فالأولى ألا يتمكنون من نفع غيرهم، والكل لا يجد مهرباً ولا ملجأ من عذاب الله وعقابه على الكفر والعصيان، سواء صبروا على العذاب أو جزعوا وضجروا .

2) إقرار السادة بالضلال، والبعد عن الهداية، فلو اهتدوا لهدوا غيرهم، وهذا كذب منهم، كما قال تعالى حكاية عن المنافقين ((يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ))[2].

3) أعقب الله –عزوجل- المناظرة التي وقعت بين الرؤساء والأتباع من كفرة الإنس، بالمناظرة التي وقعت بين الشيطان وأتباعه من الإنس،وموضوع المناظرتين واحد،وهو تبرؤ المتبوع من التابع، ولكن الشيطان في هذه المحاورة كان أصدق من الإنسان لأنه

---

(1) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج13، ص(237، 238، 239)، بتصرف، (مرجع سابق).

(2) { المجادلة: 18 }.

(3) **المرجع السابق**، ج13، ص(239، 240).

أعلن أن ا وعد الناس وعد الحق وهو البعث والجـزاء علـى الأعمـال،فوفى لهـم بماوعدهم، وأما هو فوعد الناس بخلاف ذلك وأنه لابعث ولا جزاء، فأخاف الوعد[3].

4) حرية العقيدة أمام حرية الإرادة: إن هذه الآيات الكريمة توحي لنا، أن للإنـسان حريـة مطلقة فيما يرى ويعتقد، وفيما يأخذ وما يدع،فقد خلقه ا تعالى حرّ التفكيـر والإرادة، لتتحول الحرية في حياته إلى عقيدة وإيمان وعمل. فليس له أن يتنـازل عـن حريتـه للآخرين، بحجة ضغطهم عليه، لأن القضية قضية تتعلق بالاستعداد الداخلي للخـضوع، والانهزام أمام إرادة الآخرين وتخطيطهم[1]. وهذا مـا لا يملـك الآخـرون أن يخلقـوه بالضغط، بل كل ما يملكونه هو الإغراء والتزيين والتغرير الذي يضعف الإرادة ويوهن القوة ويستعمر الفكر، وهي ضغوط يمكن للإنسان أن يواجهها ويثبت أمامها بما يحملـه من فكر يواجه فيه فكر الآخرين، أو بما يملكه من إرادة يقاوم بها ضغط إرادتهم، أو بما رزقه ا من عقل وما أوحى به إليه من رسالات، فإذا أغفل فكره، وأهمـل إرادتـه، واستسلم لشهواته ونقاط ضعفه، استحق أن يواجه نتائج ذلك أمام ا عز وجل.

---

(1) فضل ا ، **الحوار في القرآن**، ص(358)، (مرجع سابق).

المطلب الرابع

الحوار بين الأتباع والمتبوعين (استكبار وندامة)

"إنّ الحوار بين الأتباع والمتبوعين يكون يوم القيامة، وتسجّل آيات من سورة سبأ مناظر الحوار بين الأتباع والمتبوعين وسط جهنم، ومواقف التلاوم والندامة هناك" [(260)].

قال تعالى: ((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿ 31 ﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿ 32 ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ 33 ﴾)) [(261)].

المعنى العام لهذه الآيات الكريمة:

"يخبرنا ا – تعالى – عن تمادي الكفار في طغيانهم وعنادهم وإصرارهم على عدم الإيمان بالقرآن الكريم وبما أخبر به من أمر المعاد. كما قال تعالى: ((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ)) من التوراة والأنجيل والزبور. قال ا – عز وجل – مهدداً لهم ومتوعداً ومخبراً عن مواقفهم الذليلة بين يديه في حال تخاصمهم وتحاورهم: (يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا) وهم الأتباع (للذين استكبروا) وهم قادتهم وسادتهم (لولا أنتم لكنا مؤمنين) أي: لولا أنتم تصدونا لكنا اتبعنا الرسل وآمنا بما جاءوا به، فقال لهم السادة (أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ؟) أي: نحن ما فعلنا بكم أكثر من أنّا دعوناكم

---

(260) الخالدي، **الأتباع والمتبوعون**، ص(128)، بتصرف، (مرجع سابق).

(261) { سبأ: 31 – 33 }.

فاتبعتمونا من غير دليل ولا برهان، وخالفتم الأدلة والحجج التي جاءت بها الرسل لشهوتكم، ثم قال المتبوعون: بل كنتم تمكرون بنا ليلاً ونهاراً وتغروننا وتخبروننا بأننا على هدى ونور، فإذا بنا نرى أن جميع ذلك باطل وكذب. وهكذا يسِرّ الأتباع والمتبوعون الندامة على ما سلف منهم ويجازى كل منهم بحسب عمله" [262].

موقف الأتباع في هذا الحوار:

اتهم الأتباع أسيادهم المستكبرين وحمّلوهم مسؤولية ضلالهم، فقالوا لهم: (لولا أنتم لكنا مؤمنين) [263]، "فها هم يلقون على الذين استكبروا تبعة الوقفة المرهوبة المهينة، وما يتوقعون بعدها من البلاء! يقولون لهم هذه القولة اليوم، ولم يكونوا في الدنيا بقادرين على مواجهتهم هذه المواجهة. كان يمنعهم الذل والضعف والاستسلام، والكرامة التي منحها ا إياهم، أما اليوم وقد سقطت القيم الزائفة، وواجهوا العذاب الأليم، فهم يقولونها غير خائفين ولا مترددين!" [264].

رد السادة على أتباعهم:

لا يقبل المتبوعون المستكبرون الاتهام، فيرجعون القول للأتباع، ويحمّلوهم مسؤولية ما جرى لهم، ويقولون لهم: ((أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ)) [265]، أي:" إنكم دخلتم في الكفر ببصائركم، وأجرمتم بنظر منكم، ودعوتنا لم تكن ملزمة لكم، لأننا دعوناكم بغير حجّة ولا برهان" [266]. "فمنعكم إيثاركم الكفر با على الإيمان به – سبحانه – واتّباع الهدى" [267]. "فهو التخلّي عن التبعة، والإقرار بالهدى، لقد كانوا في الدنيا لا يقيمون وزناً للمستضعفين ولا يأخذون منهم رأياً، ولا يعتبرون لهم وجوداً، ولا يقبلون منهم

([262]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص(540)، (مرجع سابق).

([263]) { سبأ: 31 }.

([264]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج5، ص(2909)، (مرجع سابق).

([265]) { سبأ: 32 }.

([266]) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج4، ص(421)، (مرجع سابق).

([267]) الطبري، **جامع البيان**، ج22، ص(67)، (مرجع سابق).

مخالفة ولا مناقشة ! أما اليوم – وأمام العذاب – فهم يسألونهم في إنكار: (أنحن صددناكم عـن الهدى بعد إذ جاءكم ؟) بل كنتم مجرمين من ذات أنفسكم لا تهتدون ! ولو كانوا في الدنيا لقبـع المستضعفون لا ينبسون ببنت شفة. ولكنهم في الآخرة حيث تسقط الهالات الكاذبة والقيم الزائفة، وتتفتح العيون المغلقة وتظهر الحقائق المستورة. ومن ثم لا يسكت الأتباع بل يواجهون الـسادة بما كانوا يفعلون. ويمكرون ليلاً ونهاراً للصدّ عن الهدى، والتمكين للباطل، ولاستخدام النفـوذ والسلطان في التضليل والإغواء "[268]. ويتواصل الحوار بين الأتباع والمتبوعين، ويردّ الأتباع على سادتهم مرة أخرى بعد أن لم يقتنعوا بما قاله السادة الكبراء.

فيقولون لهم ((بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [269]. أي:" أنـتم لستم صادقين في قولكم لنا: إنكم لم تصدونا عن اتباع الهدى بعد إذ جاءنا، بل إن مكركم بنا في الليل والنهار وإغراءكم لنا بالبقاء على الكفر، وتهديدكم إيانا بالقتل أو التعذيب إذا ما خالفنـاكم، وأمركم لنا بأن نكفر با – تعالى – ونجعـل له أنداداً، أي شركاء في العبادة والطاعة !. كـل ذلك هو الذي حال بيننا وبين اتّباع الحق الذي جاء به الرسول – صلى ا عليه وسلم – "[270]. " يالها من حجة عند هؤلاء الأتباع ! ويا له من كشف لوسائل المستكبرين الطواغيت وأسـاليبهم ومكائدهم ومؤامراتهم ! ويا لها من جرأة ! وبهذا ينتهي الحوار بين الأتباع والمتبوعين، بعد أن كشف كل فريق ما عند الآخر، وبيّن لنا سبب انحرافه، وأطلعنا على حقيقة الصلة بينهما "[271]. وفي نهاية هذا الحوار يظهر الندم والحسرة على الفريقين، قال تعالى: ((وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [272] أي:" أضـمر

([268]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج5، ص(2909)، (مرجع سابق).

([269]) { سبأ: 33 }.

([270]) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(390)، (مرجع سابق).

([271]) الخالدي، **الأتباع والمتبوعون**، ص(138)، (مرجع سابق).

([272]) { سبأ: 33 }.

الفريقان الندامة، المتبوعون لأنهم ضلّوا وأضلّوا. والأتباع لأنهم اتّبعوا المستكبرين. وحاول كل فريق إخفاء الندامة عن الآخر مخافة الشماتة، وسيقوا إلى العذاب والأغلال في أعناقهم لزيـادة الحسرة في نفوسهم" (273). هذه هي النهاية المخزية للاستـضعاف المـرذول أمـام الاسـتكبار المقيت!.

(273) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، تحقيق: هـشام البخاري وخضر عكاري، المكتبة العـصـرية، بيـروت، ط1، (1418هـ - 1997م)، ج4، ص(407،408)، بتصرف.

المبحث الخامس

الحوار بين الخير والشر في قتل النفس

"من صور المحاورات التي حدثت بين الأخيار والأشرار، ما قصه القرآن الكريم علينا في قصة ابني آدم – عليه السلام – في إطار الحوار. فقد استخدم القرآن العظيم الحوار لتصوير شخصيتين في وضعين متقابلين. وذلك بأن تقف الشخصيتان في حادثة معينة موقفين متباينين. ثم ينطلق الحوار ليعبّر عن المعاني التي تجيش في نفس كل منهما "[274]. قال تعالى: ((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿27﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿28﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ ﴿29﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿30﴾ فَبَعَثَ اللّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿31﴾)) [275].

المعنى العام لهذه الآيات الكريمة:

"يأمر الله –عز وجل – نبيّه محمداً – صلى الله عليه وسلم – أن يتلو على بني إسرائيل خبر ابني آدم – عليه السلام -، وكان هابيل صاحب غنم فنظر إلى خير كثير فتقرب إلى الله تعالى، ونظر قابيل إلى شر قمحه فتقرب به إلى الله تعالى، فقبل الله تعالى قربان هابيل ولم يقبل قربان قابيل. فحسد قابيل هابيل وهمّ بقتله، لكنّ هابيل قال لأخيه: لئن بدأتني بالقتل فما أنا بالذي أبدؤك بالقتل، لأنني أريد أن ترجع بإثم قتلي وإثمك الذي من أجله لم يتقبّل قربانك.

([274]) فضل الله، **الحوار في القرآن**، ص(331)، (مرجع سابق).

([275]) { المائدة: 27-31}.

وشجعته نفسـه على قتـل أخيه وزينّت له القتل ففعل، فخسـر الدنيا والآخـرة. فبعث الله – عز وجل – غراباً يثير التراب من الأرض ليعلّم قابيل كيف يسـتر جيفة أخيـه، وهكـذا شعـر بالندم على فعـلته النكراء " [276].

مقارنة بين نموذجين:

قال تعالى: ((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)) [277]." في هذه الآية الكريمة يبدأ الحوار بين الأخـوين، ونلاحظ أن الأخ الظالم قد توعّد أخاه بالقتل، دون أن يقيم للأخـوة التي بينهما وزنـاً، ودون أن يهتم بحرمة الدماء وحق غيره في الحياة، والذي حمله على ذلك الحسد له علـى مزيـة قبـول قربانه عند الله – عز وجل –. وقد أكّد تصميمه على قتله لأخيه بالقسم المطوى في الكلام"[278]. وهنا يردّ الأخ المظلوم بقوله: ((إنما يتقبل الله من المتقين)) أي: "لِمَ تقتلني وأنا لم أجن شـيئاً، ولا ذنب لي في قبول الله – تعالى – قرباني ؟ وأنت أتيت من قبل نفسـك لانسلاخها من لباس التقوى، لا من قبلي، فلم تقتلني ؟ وما لك لا تعـاقب نفسك، ولا تحملها على تقوى الله – تعالى – التي هي السبب في القبول !. وفي هذا جـواب حكيم جامع لعدة معان، وفيه دليل على أن الله تعالى لا يقبل طـاعة إلا من مؤمن تقيّ " [279]. ثم انتقل الأخ التقي من وعظ أخيه بتطهير قلبه، إلى تذكيره بحقوق الأخوة وما تقتضيه من بر وتسامح فقال – كما حكـى القـرآن عنـه: ((لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿ 28 ﴾))[280] أي:" إن مددت يدك لتقتلني فما أنا بالمجازي لك على السيئة بسيئة مثلها، فـذاك لا يتفـق مـع

(276) النيسابوري، أبو الحسـن علي بن أحمد، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: عادل أحمد وآخرين، دار الكتب العلمـية، بيروت، ط1، (1415هـ - 1994م)، ج2، ص(176-178)، بتصرف يسير.

(277) { المائدة: 27 }.

(278) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(349)، (مرجع سابق).

(279) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج3، ص(476)، (مرجع سابق).

(280) { المائدة: 28 }.

صفاتي وشمائلي، ولست ممن يتصف بهذه الصفة المنكرة التي تنافي تقوى الله والخـوف مـن عذابه. لأنني أخاف الله – عز وجل – وأخشى أن يراني باسطاً يدي إلى الإجرام وسفك الـدماء بغير حق، وهو ربّ العالمين الذي أمر بالمحافظة على النفوس البشرية وحرّم الاعتداء عليهـا. ثم قفّى على عظمته البالغة، ونصائحه النافعة بالتذكير بعذاب الآخـرة "[281]، فقال: ((إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ ﴿29﴾))[282].

أي: "إنني أريد أن ترجع من صفقة قتلي بأن تحمل إثم تلك الفعلة وتنال عقوبتها، وكذلك تحمل الإثم الذي كان من أجله أنك أردت أن تقتلني، لأنك تمرّدت على المنهج، حين لـم يتقبّـل ربنا – عزوجل – قربانك. فقد أثمت مرتين: الأولى: عند رفضـك وعـدم قبولـك حكـم الله ومنهجـه، وهو الذي من أجله لم يقبل الله –تعالى – قربانك، والثانية: هو قتلي وأنا لا دخل لي في هذه المسـألة، لأن الظـالم لا بدّ أن يأخذ جزاءه "[283]. والأخ المظلوم لا يحبّ أن يعصي الله - تعالى – ولا يحبّ أن يعصي أخوه الظالم ربّ العالمين أيضاً." وقد جاء قوله: ((إني أريـد أن تبوء بإثمي وإثمك)) في معرض الحوار الذي دار بينهما، عندما غاب على ظنه أن أخاه يريد قتله، وكان ذلك قبل إقدام القاتل على إيقاع القتل به، وكأنه لما وعظه ونصحه حاوره قـائلاً: إن كنت لا تنزجر عن هذه الكبيرة بسبب هذه النصيحة، فلا بد وأن تترصّد قتلي في وقـت أكـون غافلاً عنك وعاجزاً عن دفعك، فحينئذٍ لا يمكنني أن أدفعك عن قتلي إلا إذا قتلتك ابتداء بمجـرّد الظن والحسبان، وهذا مني معصية كبيرة، وإذا دار الأمر بين أن يكون فاعل هذه المعصية أنـا وبين أن يكون أنت، فأنا أحبّ أن تحصل هذه الكبيرة منك وليس مني.ومـن المعلـوم أن إرادة صدور الذنب من الغير في هذه الحالة وعلى هذا الشرط لا يكون حرامـاً.ويجـوز أن يكـون المراد: إنني أريد أن تبوء بعقوبة قتلي. ولا شك أنه يجوز للمظلـوم أن يريـد مـن الله عقـاب

([281]) المراغي، **تفسير المراغي**، ج6، ص(99)، (مرجع سابق).

([282]) { المائدة: 29}.

([283]) الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج5، ص(3076)، (مرجع سابق).

ظالمه"[284]. فقد سلك الأخ المظلوم في حواره وعظته للأخ الظالم مسالك عدة منها: أنه تبرّأ من كـونه سبباً في حـرمانه من تقبّل القـربان، لأن سـبب التقبل عند الله – تعالى – هو التقوى، وأرشده إلى أنه لا يمنعه من بسط يده إليه إلا الخوف من ربّ العالمين، وذكّره بحقوق الأخـوة وما يترتب عليها من تسامح، وبيّن له أن المعتدي يحمل إثم نفسه وإثم من اعتدى عليه، ثم إلـى تذكيره بعذاب النار لأنها مثوى الظالمين [285].

نتيجة الحوار بين الأخوين:

"حينما وجد المظلوم نفسه بين أمرين لا ثالث لهما، فإمـا أن يغـضب الله – تعـالى – فيرتكب أبشع جريمة، وإما أن يموت مظلوماً، آثر أقربهما إلى الله، فاستسلم للموت" [286].

بينما مضى أخوه الظالم فأنفذ عزمه، وقتل أخاه، قال تعالى: ((فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿30﴾)) [287] أي: "سوّلت وسهّلت نفسه له الأمـر، وشجـعته وصورت له أن قتل أخيه طوع سهل" [288]. "وأصبح من الخاسرين في دنياه، لأنه قتـل أخـاه، والأخ سند وعون له، لما بينهما من رحم قوية ورابطة متينة. وأصبح من الخاسرين في الآخرة، لأنه ارتكب جريمة من أكبر الجرائم وأشنعها، وقد وعد الله مرتكبها بالغضب واللعنة والعـذاب العظيم" [289]. "وفي قوله تعالى: ((فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ)) بيان بأن الإنسان إذا تصوّر القتل العمد وكونه من أعظم الكبائر فهذا الاعتقاد يصير صارفاً له عن فعله، فيكون هذا الفعـل كالشيء العاصي المتمرد عليه الذي لا يطيعه بوجه ألبتة. فإذا أوردت النفس أنواع وساوسـها، صار هذا الفعل سهلاً عليه، فكأن النفس جعلت بوساوسها العجيبة هذا الفعل كالمطيع له، بعد أن

([284]) الرازي، **التفسير الكبير**، ج11، ص (207)، بتصرف، (مرجع سابق).

([285]) المراغي، **تفسير المراغي**، ج6، ص(100)، بتصرف، (مرجع سابق).

([286]) حفني، **أسلوب المحاورة في القرآن الكريم**، ص(112)، (مرجع سابق).

([287]) { المائدة: 30 }.

([288]) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مج6، ص(138)، (مرجع سابق).

([289]) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص (352)، (مرجع سابق).

كان كالعاصي المتمرد عليه" [290]. وهنا لابدّ أن تهبط رحمة ا رعاية لحق تلك الجثة الطاهرة، وإبقاء على كرامة آدم – عليه السلام – ووالديه، وهنا لا بدّ أن يكون درساً يتلقّاه ذلـك الظـالم المغرور، ولا بد أن يكون تلميذاً للغراب ! يتضاءل فهمه أمام حنكـة ذلـك الحيـوان الأسـود الضعيف، وتفنى شخصيته بعد ذلك الدرس المـؤلم الذي يتلقّاه ذليلاً، صـغير الـنفس، معـذب الفؤاد " [291]. قال تعالى مصوّراً نهاية الحـوار: ((فَبَعَثَ اللّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿31﴾)) [292]، أي:" أنه – تعالى – بعث غراباً إلى ذلك المكان الذي هـو فيـه، فحفر برجليه يفتش عن شيء كالطعام ونحوه، فأحدث حفرة في الأرض فلما رآها القـاتل زالت الحـيرة لديه، واهتدى إلى دفن أخيه المقتول في حفـرة مثلها " [293].

ثم ظهرت حسرته واضحة جلية بقوله: ((يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ)) [294] أي: "أن القاتل يتمنى الهلاك بعد قتل أخيه، وبعـد أن رأى عملية الغراب في كيفية الدفن، فكأنه لم يعرف شيئاً، فها هي ذي مسألة يفعلها غراب ولا تفعلها أنت يا قابيل، لقد امتلكت قدرة لتقتل بها أخاك، لكنك عاجز أن تفعـل مثل هذا الغـراب، فقابيل – القاتـل – لا يقولها إلا بعد أن مرّ بمعنى نفسـي شديد قاس على وجدانه" [295]. ((فأصـبح من النادمين)) "على قتل أخيه لما لحقه من عصيان وإسخاط أبويه وتبشيره أنه مـن أصـحاب النار" [296].

([290]) الرازي، **التفسير الكبير**، ج11، ص(208)، (مرجع سابق).

([291]) المولى، **قصص القرآن**، ص(13، 14)، (مرجع سابق).

([292]) { المائدة: 31 }.

([293]) المراغي، **تفسير المراغي**، ج6، ص(101)، (مرجع سابق).

([294]) { المائدة: 31 }.

([295]) الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج5، ص(3084)، (مرجع سابق).

([296]) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج3، ص(481)، (مرجع سابق).

قيم تربوية من هذا الحوار:

"إن هذه القصة القصيرة التي رواها القرآن العظيم لنا، في إطار من الحوار، تجسّد لنـا الصورة الحية لشخصية الإنسان الشرير، مقابل شخصية الإنسان الصالح، لتربطنا بفكرة الخير وتبعدنا عن فكرة الشر، في موقف يوحي للناظر والمستمع بفظاعة موقف الشرير إزاء روعـة موقف الصالح، حيث نرى الجريمة خالية من كل مبرّراتها التي تجعل منها عملاً عادلاً، لأنهـا نشأت من حالة نفسيّة معقدة بالحسد. فليس للضحية فيها أي ذنب، ولعل قيمة هذه القصة، تتمثّل فيما تخلّفه في نفس القارىء أو المستمع من تأثير نفسي ضد الجريـمة والمجـرم، وتعـاطف روحي مع الضحية، مما يترك آثاره على السلوك الإنسـاني العام " [297].

([297]) فضل ا ، **الحوار في القرآن**، ص(334)، (مرجع سابق).

الفصل الثاني

قواعد الحوار والإقناع

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الاحترام المتبادل.

المبحث الثاني: البحث عن الحقيقة والسعي إليها.

المبحث الثالث: الرفق واللين في الحوار.

قواعد الحوار والإقناع

تمهيد:

"إن الغرض من الحوار هو البحث عن الحق ليتضح، فالحق مطلوب والتعاون على النظر فيه مفيد ومؤثر، هكذا عادة السلف الصالح -رضي ا عنهم- في تحاورهم، فقد تدعو الحاجة إلى البحث المشترك للتوصّل إلى الحق، مثلما حدث بين الصحابة -رضي ا عنهم- في حوارهم في مسألة الجدّة، وحدّ شرب الخمرة " [298]. وحتى نميز الحوار عن الجدل المذموم أو السفسطة أو المراء البعيد عن نشدان الحقيقة، وحتى لا يتحول الحوار إلى مشاحنات أنانية ومشاغبات ومغالطات، ونحو ذلك مما يفسد القلوب، ويهيج النفوس ويورث التعصب ولا يوصل إلى الحق [299]، وحتى لا يصبح الأمر انتصاراً وإعجاباً لكل ذي رأي برأيه[300]، فلا بدّ من وضع قواعد للحوار الهادف بلوغاً إلى الصواب.

([298]) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، إحياء **علوم الدين**، دار الوثائق، القاهرة، ط1، (1420هـ – 2000م)، مج1، ص(54).

* تنبيه: ورد في حوار الصحابة – رضي ا عنهم – في ميراث الجدة: قال قبيصة بن ذؤيب: جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها، فقال لها أبو بكر: ما لكِ في كتاب ا شيء. وما علمت لك في سنة رسول ا – صلى ا عليه وسلم – شيئاً. فارجعي حتى أسأل الناس. فسأل الناس،قال المغيرة ابن شعبة: حضرت رسول ا –صلى ا عليه وسلم – أعطاها السدس. فقال أبو بكر: هل معك غيرك ؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري، فقال مثل ما قال المغيرة. فأنفذه لها أبو بكر الصديق.

انظر: الأصبحي، مالك بن أنس، **الموطأ**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الفرائض، باب ميراث الجدة، رقم (4)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1406هـ -1985م)، ج2، ص(513).

وورد في حوار الصحابة – رضي ا عنهم – بشأن حد شرب الخمرة: عن أنس بن مالك: جلد أبو بكر – رضي ا عنه – في شرب الخمرة أربعين، فلما ولي عمر دعا الناس فقال لهم: إن الناس قد دنوا من الريف، فما ترون في حدّ الخمر؟ فقال له عبد الرحمن بن عوف: نرى أن تجعله كأخف الحدود، فجلد فيه ثمانين.

أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، كتاب الحدود، باب الحد في شرب الخمر، رقم (4479)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت)، ج4، ص(163).

([299]) الألمعي، زاهر عواض، **مناهج الجدل في القرآن الكريم**، مطبعة الفرزدق، (د. ط)، (د. ت)، ص(431)، بتصرف.

([300]) جريشة، علي، **أدب الحوار والمناظرة**، دار الوفاء، المنصورة، ط1، (1410هـ -1989م)، ص(67)، بتصرف.

المبحث الأول

الاحترام المتبادل

بيّن القرآن الكريم لأتباعه المسلمين أن هناك طريقتين للحوار الفكري، أو للصراع في جميع مجالاته، فهناك طريقة العنف التي تعتمد مواجهة الخصم بأشدّ الكلمات والأساليب وأقساها، بحيث يتركز الاختيار على كل ما يساهم في إيلامه وإهانته وإهدار كرامته، فلا مجال لمراعاة مشاعره وعواطفه، ودراسة واقع حياته، والإحاطة بظروفه من أجل المحافظة على الانسجام معها، بل ربما يكون الأمر تحدّياً للمشاعر في كل المجالات.

وهناك طريقة اللاعنف، أو الطريقة السلمية التي تعتمد اللين والمحبة أساساً للصراع، انطلاقاً من القاعدة الإسلامية التي تعتبر موضوع الصراع، بمختلف مستوياته ومجالاته، وسيلة من وسائل الحركة المنفتحة للوصول إلى الهدف، وهو الإيمان بالحق والوقوف معه، والعمل على حشد أكبرعدد ممكن من الناس للارتباط بالهدف والانسجام معه، ولا بد لهذه الطريقة من استخدام الكلمات والأساليب الطيبة المرنة التي تفتح القلوب على الحق، وتقرب الناس إلى المفاهيم، بعيداً عن كل المعاني الشريرة القاسية [301].

"والداعية الناجح هو الذي يحترم الأطراف الأخرى التي يحاورها، مسلمة كانت أو غير مسلمة، ويمنحها حقها المتوجب لها من التقدير والتوقير، ونحن مأمورون أن ننزل الناس منازلهم" [302]، فالمحاور يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه، فينصت لحديثهم ويتواضع لهم، ويشعرهم بتقديره لهم [303].

([301]) فضل ا ، **الحوار في القرآن**، ص(82، 83)، بتصرف، (مرجع سابق).

([302]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(65)، (مرجع سابق).

([303]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(123)، بتصرف، (مرجع سابق).

ومن المظاهر التي ينبغي مراعاتها في الاحترام المتبادل في أثناء الحوار:

1. **الإنصاف**:

وهذا يعني أن يذكر كل محاور حسنات زميله، وأن يقدّر جوانب الخير التي يتحلّى بها، وأن يعذره إن أخطأ، "وليس معنى الإعذار تصويب ما لدى الطرف الآخر من سلوك وأفكـار، فالحق لا يتعدد، وإنما المطلوب تفهّم الوضعية العامة للمحـاور، ومحاولـة حـلّ مـشكلاته إن أمكن"[304].

2. **عدم الاستعجال بالرد على الخصم:**

ينبغي على المناظر أن ينتظر خصمه حتى يفرغ من حجتـه، فيجيبـه بمـا قـلّ ودّل، فيصمت بحلم مهما أغضبه خصمـه. فعن أبي هريرة – رضي الله عنه - قال صلى الله عليـه وسلم: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشـديد الذي يملك نفسه عند الغضب "[305]. وينبغي كـذلك أن يـتكلم بعلـم. قـال تعـالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿8﴾)) [306]، " فإن لم يعرف بما يجيب لقصور علمه، فيجب أن يقول لا أعلـم أو الله أعلم، اقتداء بالملائكة المقربين والصحابة الأكرمين والعلماء الورعين " [307].

3. **المحاورة بأفضل الأسماء والألقاب وأجمل ألوان الخطاب:**

" إن مناداة الطرف الآخر باسمه وبأحب الأسماء إليه دليل علـى الاحتـرام والتقـدير لشخصه، فليس ثمة شيء أجمل وأحب إليه من اسمه. فحفظ الأسماء لا بدّ منه لمن يحبّ التآلف

([304]) بكّار، عبد الكريم، **مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي**، دار القلم، دمشق، ط1، (1420هـ-1999م)، ص(133).

([305]) البخاري، **صحيح البخاري، كتاب الأدب**، باب الحذ من الغضب، رقـم الحـديث (6114)، ج8، ص(34)، (مرجـع سابق).

([306]) الحج: { 8 }.

([307]) حلمي، أمين، **الحوار الفكري في القـرآن الكـريم (المناظرة والجدال والمحاجة)**، دار النهـضة الإسـلامية، ط1، (1997 م)، ص(43).

مع الناس، ودعوتهم إلى ا ومشاركتهم ومخالطتهم، وكسب ودّهم "[308]. فها هو ذا خليل ا إبراهيم – عليه السلام – يتذلّل لأبيه ويخاطبه قائلاً: (يا أبت). وفي محاورة الأب لابنه، ينبغـي للمحاور أن يستفيد من نصح لقمان (عليه السلام) لابنه، إذ كان يخاطبه بشفقة الأب ورحمـتـه وحنانـــــه. ((وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿13﴾))[309].

وفي محاورته لصديقه ورفيقه ينبغي أن يستفيد من دعوة يوسـف – عليـه السـلام – لصاحبيه في السجـن، في قوله لهمـا: ((يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴿39﴾))[310]. وفي دعوته الأهل والعشيرة ينبغي أن يستفيد من سياسة الرسول صـلى ا عليه وسلم مع أهله وعشيرته الأقربين [311].

ومن ألوان النداء التي ينبغي على المحاور أن يلتزم بها، النداء لجماعة المؤمنين بحيـث يخاطبهم بما خاطبهم ا تعالى به حين قال: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ))[312]. ففي مخاطبة ا تعالى للمؤمنين بـ " يا أيها الذين آمنوا " تأكيد لهم بأنهم أهل الإيمان والتقوى، وفي الوقت نفسه استثارة لهم بأن يستجيبوا لدعوة الحق، لما في هذه الاستجابة من مقومات البقاء والحياة. وفي النداء لأهل الكتاب يقول ا تعالى: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿64﴾))[313]." فا تعالى يأمر نبيه -عليه الصلاة والسـلام-

---

([308]) الحاشدي، **فن الحوار**، ص(125)، (مرجع سابق).

([309]) لقمان: { 13 }.

([310]) يوسف: { 39 }.

([311]) الميداني، **فقـه الدعـوة إلى ا** ، ج1، ص(268،269)، بتصـرف،(مرجع سابق).

([312]) الأنفال: { 24 }.

([313]) آل عمران: { 64 }.

بأن يخاطب اليهود والنصارى بـ " يا أهل الكتاب " لتذكيرهم بأنهم من أهل الكتاب الأول، وأن ما جاء في كتبـهم متفق تماماً مع ما جاء في القـرآن الكريم، من أصـول التوحيـد وأركـان الإيمان. ولا يخفى ما في ذلك من استثارة لهم وتشويق في استجابتهم لدعوة الحق، ودخولهم في دين الإسلام " [314].

4. الهدوء في أثناء الحوار:

لا شك أن الهدوء والغضّ من الصوت فيه أدب مع ا ومـع النـاس، وثقـة بـالنفس، واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته. ومن هنا كان توجيه (لقمان) لابنه بغض الصوت وتقصيره، كما قال تعالى على لسانه: ((وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)) [315]. وجـاء في تفسير هذه الآية: ((وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ))، أي: " لا تبالغ في الكلام، ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه "، ولهذا قال: " إن أنكر الأصوات لصوت الحمير "، قال مجاهد وغيـره: " إن أقـبح الأصوات لصوت الحمير، أي غاية من رفع صوته أن يشبّه بالحمير في علوّه ورفعه، ومع هذا فهو بغيض إلى ا ، وهذا التشبيه بالحمير يقتضي تحريمه، وذمّه غاية الذمّ " [316].

فالمحاور يقبل بوجهه إلى من يحدثه، ويوضح الألفاظ بصوت مناسب، لا هو بالخافـت الذي لا يكاد يسمع ولا بالمرتفع المؤذي، مع تجنب العبارات والألفاظ المؤذية أو غير اللائقـة، فضلاً عن الغيبة والنميمـة. وعلى السامع أن يقبل بوجهـه لمحـاوره، وأن يوليـه انتباهـه وإنصاته، وألا يقاطعه حتى يتم حديثه، وأن يحرص كل منهما ألا يتطور الحـوار إلـى جـدال ومراء، بل يكون حرص كل منهما على الوصول للحق والخير، مع افتراض كل منهما الخطـأ في رأيه كما يفترض فيه الصواب [317]. " وليس معنى الهدوء وخفـض الـصوت أن يخفـضه

([314]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(132)، (مرجع سابق).

([315]) لقمان: { 19 }.

([316]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص(430)، (مرجع سابق).

([317]) مشهور، مصطفى، **من فقه الدعوة**، دار التوزيع، (1415هـ -1995م)، ج1، ص(536،535)، (بتصرف).

لدرجة يعجز معها المستمع عن متابعة الحديث، وإنما لا بدّ من التوسط والاعتدال. وقد وجد بالخبرة والتجربة أن الصوت المعتدل الهادئ المتأني من غير صراخ أو صياح ومن غير إسرار وإخفات، هو الأدخل إلى النفوس والأنفذ إلى الأعماق والأحفظ لجلال الكلمة ووقار المتكلم. ومن الأفضل ألا يجعل المحاور درجات صوته على وتيرة واحدة، لأن ذلك قد يجلب النوم للمستمعين، ولكن يلزم خفض الصوت ورفعه انفعالاً مع الحديث، فإن لقوة الصوت وخفضه دوراً في تجديد الانتباه " [318].

5. بسط الوجه:

إن من أخلاق المحاور النبيل ذي المروءة والأدب: التودّد والتلطّف وبسط الوجه لمن يحاوره، وذلك في غاية نبل النفس، وصفاء المعدن. قال تعالى ((وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ))[319]، فقد روى أبو ذر الغفاري– رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم - قال: "لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلْق " [320]. فالمحاور الناجح هو الذي يقبل على محاوره بوجه باش، ومن كانت هذه صفته كان على التفكير، واختيار الكلمة المناسبة لمقتضى الحال، أكثر قدرة وينظر له محاوره بشيء من الثقة والاطمئنان [321].

6. التركيز على الرأي لا على صاحبه:

"في أغلب المناقشات يحسن تناول الفكرة بالبحث والتحليل، أو بالنقد والنقض بعيداً عن صاحبها أو قائلها، وذلك حتى لا يتحول الحوار إلى مبارزة كلامية، طابعها الطعن والتجريح، والعدول من مناقشة القضايا والأفكار إلى مناقشة التصرفات والأشخاص " [322]." وقد ينشأ

([318]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(94)، (مرجع سابق).

([319]) لقمان: { 18 }.

([320]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب البر والصلة**، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، رقم الحديث (2626)، مج4، ص(2026)، (مرجع سابق).

([321]) الحاشدي، **فن الحوار**، ص(187)، (مرجع سابق).

([322]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(70)، (مرجع سابق).

صراع في أثناء الحوار، ولكن على المتحاورين إدراك أن هذا الصراع والتوتر هو بين الأفكار وليس بين الأشخاص، وبمجرد أن يرى الناس أن المشاركة بين أفكارهم عملية طبيعية، سيفصلون أنفسهم عن مبادئهم، وسيتخذون موقفاً أكثر نشاطاً وأقل سلبية نحو أفكارهم " [323].

وفي حالات قليلة يستحب الخروج عن هذه القاعدة، وذلك عندما تقتضي مصلحة الحق – لا النوازع الشخصية – تعرية الطرف الآخر وبيان ما فيه، ومع ذلك فيجب أن يتم هذا وفق الأدب الإسلامي وعلى ضوء النصوص الواضحة، كما في قوله تعالى ((وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ)) [324]. ومما يجعل الفكرة أكثر قبولاً أن يكون صاحبها مقتنعاً بها، حريصاً على نشرها، ممثلاً لها في كل حركاته وسكناته، متقيداً بمثلها العليا في كل أوقاته وتصرفاته. إن صاحب الفكرة لا يستطيع أن يواجه بها المؤيدين والمعارضين إلا إذا كانت واضحة المعالم في ذهنه، عميقة الجذور في فؤاده، ومع هذا الفهم والوعي فلا ينبغي أن تستخفه المواقف، بل عليه أن يتحدّث بروح الناصح الأمين، وأن يبتعد عن معاني الاستعلاء والترفع المشين. وصدق ا القائل: ((وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿215﴾)) -[325]، كذلك ينبغي أن يعبر عن مراده بإخلاص وتجرّد،وأن يحادث المستمعين كأنه واحد منهم [326]. إن الأصل في النقاش والحوار أن يكون للرأي أو للقضية، وعرض ذلك على ميزان الشرع، ثم العقل، بغض النظر عن القائل، سواء أكان الحوار مشافهة أو كتابة،أم غيرهما، وسواء أكان القائل حاضراً أم غائباً [327].

([323]) هلال، محمد عبد الغني حسن، **مهارات إدارة الحوار والمناقشات**، مركز تطوير الأداء، مصر، ط1، (1999-2000)، ص(18، 19).

([324]) الحجرات: { 11 }.

([325]) الشعراء: { 215 }.

([326]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص (71)، (مرجع سابق).

([327]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(218)، (مرجع سابق).

ومأخذ هذا الأصل من القواعد الشرعية الآتية:

1. إن الهدف الأسمى من المحاورات والمناظرات والردود ونحوها هو التوصل إلى الحق، وكشف الزيغ والانحراف. وذلك يتحقق في الغالب من دون ذكر الأسماء لأن الستر مطلب شرعي في حق المسلم الذي يظهر منه الصلاح، ولم يجاهر بالمعصية. ففي الحديث الشريف الذي يرويه سالم عن أبيه، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته. ومن فرّج عن مسلم كربة، فرّج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة. ومن ستر مسلماً، ستره الله يوم القيامة " [328]. وإن الأصل تحريم أعراض المسلمين وعدم التعرض لها بنقد أو جرح، سواء أكان غيبة أم سخرية [329]. قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿11﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿12﴾)) [330]. وعلّمنا رسولنا – صلى الله عليه وسلم – كذلك كيف نتعامل مع المخالفات والمحاذير، فقد كان – عليه الصلاة والسلام – إذا أراد التنبيه على بعض المخالفات التي تقع في المجتمع المدني يقول: ما بال أقوام - أو رجال - يفعلون كذا وكذا [331].

([328]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب البر والصلة**، باب تحريم الظلم، رقم الحديث(2580)، مج4، ص(1996)، (مرجع سابق).

([329]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(219)، (مرجع سابق).

([330]) الحجرات: { 11، 12 }.

([331]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب الفضائل**، باب: علمه – صلى الله عليه وسلم – بالله تعالى وشدة خشيته، رقم الحديث(2356)، مج4، ص(1829)، (مرجع سابق).

2. يجب أن يحترز المحاور عن الاختصار المخل في الكلام، وعن إطالة الكلام بلا فائـدة ترجى من ذلك. وأن يتجنب الألفاظ الغريبة، والألفاظ المجملة التي تحتمل عدة معـان، من غير ترجيح أحدها الذي هو المراد،وألا يتعرض أحدهما لكلام خصمه قبل أن يفهـم مراده تماماً، وأن يقبل كل منهما الحق الذي هداه إليه محاوره، أو يعترف بأن قوة دليله تقدّم ترجيحاً لوجهة نظره (332).

(332) الميداني، عبد الرحمـن حسن حبنكة، **ضوابط المعـرفة وأصـول الاسـتدلال والمناظرة**، دار القلم، دمـشق، ط4 (1414هـ - 1993م)، ص(373).

المبحث الثاني

البحث عن الحقيقة والسعي إليها

تمهـيد:

قضت مشيئة ا تعالى خلق الناس بعقول ومدارك متباينة، إلى جانب اختلاف الألـسنة والألوان والتصوّرات والأفكار، وكل تلك الأمور تفضي إلى تعدّد الآراء والأحكـام، وتختلـف باختلاف قائليها، وإذا كان اختلاف ألسنتنا ومظاهر خلقنا آية من آيات ا تعالى، فإن اخـتلاف مداركنا وعقولنا وما تثمره تلك المدارك والعقول آية من آيات ا تعالى كذلك ؛ ((وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿ 118 ﴾ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)) [333].

وهناك خلاف مذموم أملاه الهوى، والهوى لايأتي بخير، فهو مطية الشيطان إلى الكفر، قال تعالى: ((فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ)) [334] وقـال أيـضاً ((وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّه)) [335]. وهناك خلاف أملاه الحق قد يقع دون أن يكون للنفس فيه حـظ أو للهـوى عليـه سلطان، فهذا خلاف دفع إليه العلم، واقتضاه العقل، وفرضه الإيمان، فمخالفة أهل الإيمان لأهـل الكفر والنفاق خلاف واجب لايمكن لمؤمن أن يتخلّى عنه، أو يدعو لإزالته لأنه خـلاف سـداه الإيمان ولحمته الحق [336].

وبالرّغم من حقيقة وجود هذا التباين بين الناس، في عقولـهم ومدركاتـهم وقابليتـهم للاختلاف، إلا أن ا وضع على الحق معالم بارزة، وجعل على الـصراط المـستقيم منـارات هادية. فالغاية من الحوارهي إقامة الحجة، ودفع الشبهات وكل فاسد من الأقوال والآراء، وهـو

([333]) هود: { 118، 119 }.
([334]) النساء: { 135 }.
([335]) ص: { 26 }.
([336]) العلواني، طه جابر فياض، **أدب الاختلاف في الإسلام**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط3 (1407هـ - 1987م)، ص(2، 28)، بتصرف.

تعاون من المتناظرين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها، ليكشف كل طـرف مـا خفي علـى صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق [337].

[337] ابن حميد، **معالم في منهج الدعوة**، ص(213، 216)، بتصرف. (مرجع سابق).

المطلب الأول

التزام الموضوعية والبعد عن التعصب

إن التزام الموضوعية والعدل والإنصاف يقود الحوار إلى طريق مستقيم لاعوج فيه، ويحول دون الانسياق إلى الهوى، فعلى المتحاورين أن يتجنّبا التعصب، ويعلنا الاستعداد التام للبحث عن الحقيقة، والأخذ بها عند ظهورها، سواء كانت هي وجهة نظرالمحاور، أو وجهة نظر من يحاوره، أو وجهة نظر أخرى.

وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى الأخذ بهذه القاعدة، إذ علّم الرسول- صلى الله عليه وسلم- والمسلمين أن يقولوا في حوارهم ((وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)) [338].

وفي هذا غاية التخلي عن التعصب لأمر سابق، وفيه كمال إعلان الرغبة بنشدان الحقيقة أنّى كانت. ولما كان موضوع المناظرة الذي وردت هذه الآية بصدده هو توحيد الخالق أو الإشراك به، وهما أمران على طرفي نقيض، لا لقاء بينهما بحال من الأحوال، وهما يدوران حول أصل عظيم من أصول العقيدة، كان من الأمور البدهية أن الهداية في أحدهما إذ هو الحق، وأن الضلال المبين في الآخر إذ هو الباطل، ومن أجل ذلك كانت عبارة إعلان التخلي عن التعصب لأمر سابق، تتضمن الاعتراف بهذه الحقيقة [339].

فالحقّ ضالّة المؤمن ينشده حتى ولو كان على نفسه، فذلك العقل بعينه والتحرر من تبعية الهوى. أما الكبر فهو داء نفسي خطير يتهدّد الإيمان بأنه ردّ الحق وإنكاره، وعدم قبوله، فعن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: قال رسول – صلى الله عليه وسلم-: " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر" فقال رجل: إن الرجل

(338) سبأ: { 24 }.

(339) الميداني، **ضوابط المعرفة**، ص(363، 364)، بتصرف، (مرجع سابق).

يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة، قال: " إن الله جميـل يحـب الجمـال، الكبـر: بطـر الحق[340]، وغمط الناس [341] " [342].

والحق يقال: إن التسليم بالخطأ صعب على المحاور الذي لم يعتد عليـه، وبخاصـة إذا أخطأ أمام الناس، فإنه يشعر بالحرج من خطئه، والتسليم بالخطأ يحتاج إلى شجاعة أدبية وقـوة نفسية، ولكن المحاور متى اعتاده وجد له حلاوة تقارب حلاوة الفوز والنصر [343].

لقد مدح الله –عزوجل – الذين لايصّرون على خطئهم بقوله: ((وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ 135 ﴾ أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿ 136 ﴾)) [344].

كما ذمّ الله – عزوجل – الذين يصرّون على خطئهم وعصيانهم فقـال: ((وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿ 7 ﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿ 8 ﴾))[345]. إن التسـليم بالخطأ – على عكس ما يظـن المخطـئ أول وهلـة – يكـسب صاحبـه احترام الناس وتقديرهم، على عكس الإصرار على الخطـأ الذي يفقده احترام النـاس له، كما يفقده احترامه لنفسه [346]. إن التعصّب آفة كثير من الناس، بل هو بلاء عـمّ وطـمّ، بلاء متجـدّد عبـر العصور والدهور، يلبس أثواباً متعـددة متلونـة، ولكنـه فـي النهايـة شـيء واحـد، ألا وهوالتعصب الذي يصم آذان صاحبه ويعمي بصره وبصيرته إلا من شيء

([340]) بطر الحق: التكبر عنه والتعالي عليه. ابن الأثير، **النهاية**، ج1، ص(135)، (مرجع سابق).

([341]) غمط الناس: الاستهانة بهم واحتقارهم. **المرجع السابق**، ج3، ص(387).

([342]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب الإيمان**، باب: تحريم الكبر وبيانه، رقم الحديث(147)، مج1، ص(93)، (مرجع سابق).

([343]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(145، 149)، بتصرف، (مرجع سابق).

([344]) آل عمران: { 135، 136 }.

([345]) الجاثية: { 7، 8 }.

([346]) **المرجع السابق**، ص(149، 150).

واحد هو المذهب أوالطائفة ! فالمتعصب لايتبع الدليل، وإنما يتبع ما تعصب له، وإن بدا لـه أن الحـق خـلاف مذهبه أو رأي جماعته، إنه خلل في الإيمان والإخلاص والتجـرّد تبـارك وتعالى.

لقد أمرنا ا - تعالى- أن نطيعه ونطيع رسوله - صلى ا عليه وسلم - ولم يأمرنا أن نطيع أونتعصب لغيرهما، فقال تعالى: ((قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿ 32 ﴾)) [347]. إنّ هذا الخلل في الفهم أدى بكثير من المتحـاورين إلـى التمـسّك بـآرائهم وتصّوراتهم على حساب الحق أحياناً [348]. " فالمحاور النـاجح شخـصية سـوية لـذلك فهـو لايتعصّب لرأي، وإنما يبحث عن الحـق ويدعو إليه ويتمسّـك به، فإن استجاب محاوره فبهـا ونعمت، وإلا أعلن ما وجّهنا إليه ربنا سبحانه وتعالى في قوله: ((وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ))[349]. فالمحاور الناجح شخص متزن لا يتعـصب ولا يتعـالى علـى محاوره "[350].

ومن المظاهر الدالة على التزام الموضوعية في الحوار: عدم الخروج عن الموضـوع الذي هو محل النزاع أو الخلاف، فإن آفة كثير من الناس أنهم إذا ناقشوا غيرهم في موضـوع معين، تعمدوا أن يسلكوا ما يسمّى في هذه الأيام بخلط الأوراق، بحيث لايدري المستمعون في أي شيء هم مختلفون مع غيرهم، وتتوه الحقيقة في خضم هذه الفروع التي لا تكاد تعرف لهـا أصلاً. إن في القـرآن الكـريم كثيـراً من المحـاورات والخـلافات التي دارت بين الرسـل – عليهم السلام – وبين أقوامهم، وكان جواب الرسل –عليهم السلام- عـن أسـئلة مخـالفيهم

([347]) آل عمران: { 32 }.

([348]) الحمادي،علي، **منهجية التعامل مع الشبهات وقواعد دحضها**، دار ابن حزم، بيروت، ط1، (1420هـ -1999م)، ص (78، 79)، بتصرف.

([349]) الكهف: { 29 }.

([350]) عبيد، منصور الرفاعي، **الحوار "آدابه وأهدافه"**، مركز الكتـاب للنـشر، مـصر، ط1، (1424هـ - 2004م)، ص(30).

منتزعاً من أقوال هؤلاء المخالفين، دون أي خروج عن موضـوع النـزاع. فهاهـو ذا نوح – عليه السلام- ردّ على قومه قائلاً: ((يا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ 61 ﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)) (351) وأعداء الحق جادلوا النبي-صلى ا عليه وسلم – في كثير من القضايا، وساق القرآن شبهـاتهم بأمانة، ثم لَقّـن النبـي -عليـه الصلاة والسلام – الجواب الذي يقطع دابر هذه الشبهات، وكان هذا الجـواب منتزعاً من واقـع كلامهم، دون أي خروج عن موضوع الخلاف بينه وبينهم.

لقد حكى القرآن الكريم جانباً من هذه الشبهات وردّ عليها بما يزهقها، قال تعالى: ((وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴿ 28 ﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿ 29 ﴾)) (352) وقال أيضاً: ((وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿ 77 ﴾ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ)) (353) فهذه الآيات على سبيل المثال، فيهـا الإجابـة علـى شـبهات الضالين، وفيها الردّ الحاسم، والقول الفصل، دون خلط للأوراق، ودون خروج عـن موضـوع الخلاف (354)." فالتعصب هو عدم قبول الحق عند ظهور الدليل، والمحاور المسلم طالب حق لا يتعصب لشخص معين، ولا لفئة معينة، ولا لرأي معين، فإذا حاورت أو ناظرت، فلا تتعـصب ودر مع الحق حيث دار" (355).

---

(351) الأعراف: { 61، 62 }.

(352) الأعراف: { 28، 29 }.

(353) النساء: { 77، 78 }.

(354) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(23، 25)، بتصرف، (مرجع سابق).

(355) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(62)، (مرجع سابق).

المطلب الثاني

إبراز الحقائق الثابتة في الحوار

"أوجب الإسلام على الأطراف المشاركة في الحوار توخي الصدق والتثبت من صحة ما يقال، وهي مسؤولية مشتركة بين المتحدث من جانب والمتلقّي من جانب آخر، أما مسؤولية المتحدث فهي: أن يتحرى الصدق فيما يقول، وألاّ يتحدث بما لا يملك دليلاً على صدقه، وأن يستقي معلوماته من مصادر موثوق بها. وأما مسؤولية المتلقّي فهي: ألاّ يأخذ كل ما يقال له مأخذ التسليم، وإنما يقوّمه في ضوء مجموعة من المعايير منها: شخصية المتحدث، وأخلاقه، وسيرته بين الناس، وعلمه، ومدى توافق الأفكار المطروحة مع الحقائق الثابتة والموثوق بها، ومدى قوة الحجج والبراهين التي تدعم ما يقال " [356].

قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿6﴾)) [357]. وقال أيضاً: ((قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)) [358]. "إن أسلوب مقارعة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان من الأساليب الإقناعية القديمة، جاء استخدامها في القرآن الكريم ضد الكفار والمشركين، وعلى لسان الأنبياء –عليهم السلام-، وحينما نمعن النظر في الحوار القرآني نجد أنه بعد ثبات الاقتناع المرتكز على الحجج والبراهين، لا يجعل ذلك الاقتناع سدّاً منيعاً في وجه الخصوم، بل يعطيهم فرصة أخرى لطرح أفكارهم القائمة على حجج أخرى وأدلة جديدة " [359]. قال تعالى ((وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءاً إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿25﴾)) [360] وأجاب

([356]) اللبودي، **الحوار " فنياته واستراتيجياته"**، ص(33)، (مرجع سابق).

([357]) الحجرات: { 6 }.

([358]) البقرة: { 111 }.

([359]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(152)، (مرجع سابق).

([360]) يوسف: { 25 }.

يوسف –عليه السلام –يرد عن نفسه التهمـة الباطلـة قـائلاً: ((هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي)) [361]

"وحضر عدد من أقرباء الزوجة ورأوا قميصه ممزقاً، وهو الدليل الذي أرادت أن تتـذرّع بـه، حيث زعمت أنها مزقته دفاعاً عن نفسها، لكن أحد أقربائها شهد بالحق، قـال تعـالى: ((وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ ﴿26﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ ﴿27﴾)) [362] وأقبل العزيز يتفحّص قمـيص يوسـف – عليـه السلام -.

((فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿28﴾)) [363]. وهكـذا قيض ا ليوسف حجة ودليلاً قاطعاً على براءته " [364]. إن العقلاء دائماً عنـدما تتـضح لهـم الحجة، ويظهر لهم البرهان، ويرون الدليل الساطع على صحة المسألة، يقتنعون بذلك ويعترفون بالحق، أما السفهاء والجهلاء فإنهم يصرون على باطلهم، ويجحدون الحق عن علم بـه، لـسوء نواياهم وضعف عقولهم وهذا ما حكاه القرآن العظيم في الحوار بين موسى – عليه الـسلام – وسحرة فرعون، فقد قبلوا التحدي من موسى – عليه السلام- أول الأمر ((يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿65﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿66﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ﴿67﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى ﴿68﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿69﴾)) [365]. وألقى موسى – عليه السلام – عصاه، فابتلعت سحرهم وأيقن السحرة أن ما فعله موسى -عليه السلام – إنما هو معجزة وليس سحراً، وأنه رسول من ربّ العالمين، وأن حجته هي الأعلى، فما كان

([361]) يوسف: { 26 }.

([362]) يوسف: { 26، 27 }.

([363]) يوسف: { 28 }.

([364]) النحلاوي، عبد الرحمن، **التربية بالحوار**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، (1421هـ-2000م)، ص(43).

([365]) طـه: { 65 – 69 }.

منهم بعد أن اقتنعوا بالحق إلا أن قالوا بكل شجاعة وإخلاص: ((آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى))[366] وردّوا على فرعون الذي هدّدهم بأن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ((إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿ 73 ﴾)) [367]. "وهكذا ضرب سحرة فرعون أروع الأمثلة في الإخلاص والشجاعة والخضوع للحق بعد قيام الأدلة الساطعة على أن موسى - عليه السلام – على الحق " [368]. فلا بد من الاعتماد على الأدلة البرهانية التي تقوم على الحقائق التي تدركها العقول السليمة وتذعن لها القلوب المستعدّة للاعتراف بالحق، وهي القلوب التي لم تطمس بصيرتها الأهواء والشهوات، ونوازع الجحود والإنكار، وعوامل الاستعلاء والاستكبار، فعلى المحاور الناجح أن يبحث عن الأدلة البرهانية والحجج الصحيحة التي هي حقائق في ذاتها، ثم يستدل بها لإقناع من يدعوه إلى دين الله – عز وجل -، وعليه أن يختار منها ما يلائم مدارك من يدعوه، ومستواه العلمي وحالته النفسية. فإذا احتاج إلى تبسيط الأدلة وتيسيرها، بسّطها له ويسّرها، وتسلسل معه فيها وفق النظام العقلي الذي فطر الله عقول الناس عليه.

وإذا رأى أن لدى فكرمن يدعوه أغشية لا تسمح له برؤية الحقيقة حاول إزالتها برفق، حتى تنجلي بصيرة فكره. وإذا وجد لديه مسلّمات يراها حقائق،وهي تناقض ما يريد إقناعه به حاول برفق أن يكشف له بطلان هذه المسلّمات بالحجج الصحيحة التي يقبلها. وبعد أن يزلزل اعتقاده بمسلّماته يقدّم له الأدلة الدامغة التي تنتهي مراحلها بإثبات القضية التي يريد أن يدعوه إليها فلا يجوز للمحاورأن يحتج بأدلة خرافيةأو واهية لإثبات القضية التي يدعوإليها [369].

(366) طه: { 70 }.

(367) طه: { 73 }.

(368) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(27)، (مرجع سابق).

(369) الميداني، **فقه الدعوة إلى الله**، ج1، ص(303)، بتصرف، (مرجع سابق).

" لقد حاربت شريعة الإسلام الإشاعات الكاذبة التي ينشرها المتحاورون مع غيرهم عن سوء نية، بوسائل متعددة وأساليب مختلفة. حاربتها بتغليب حسن الظن على سـوء الظن، قـال تعالى: ((لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿ 12 ﴾)) [370]. حاربتها عن طريق ردّ الأمور إلى مصادرها الأصلية، وسؤال أهل الـذكر عمـا يخفـى فهمه، امتثالاً لقوله سبحانه: ((وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴿ 7 ﴾)) [371]، وقوله سبحانه: ((وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿ 83 ﴾)) [372].

حاربتها بالمنطق السليم، وبالحجة القاطعة، وبالدليل العملـي الناصـع، فعنـدما أشـاع المنافقون في غزوة أحد، أن الذين قتلوا في هذه الغزوة لو أنهم بقوا في بيوتهم لمـا قتلـوا، ردّ القرآن الكريم عليهم بما يخرس ألسنتهم: ((قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ))[373]. إن الحوار الذي يقوم على الحقائق الثابتة والمعلومـات الـصادقة والأخبـار الصحيحة يباركه ا - عز وجل -، ويثيب أصحابه ببركة تعاونهم على البر والتقوى لا علـى الإثم والعدوان" (5). أما الحوار الذي يبنى على الإشاعات والأراجيف الباطلة، فإن نتيجته الخيبة والخسران، لأن سنة ا اقتضت أنه لا يصح في النهاية إلا الصحيح." لذا يجمـل بالمنـاقش أن يعزو الأفكار إلى مصادرها، وأن يستعينبذكر الإحصائيات التي تخدم رأيه، والمراجع التي اعتمد عليها، فسوق الحقائق المجرّدة أقل تأثيراً في النفوس من سـوقها مدعمـة بالـشواهد المعتمـدة

([370]) النور: { 12 }.

([371]) الأنبياء: { 7 }.

([372]) النساء: { 83 }.

([373]) آل عمران: { 154 }.

(5) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(52، 53)، (مرجع سابق).

سواء من الكتاب والسنة، وأقوال العلماء إذا كانت مما له صلة بها، أم من أقوال أهل الاختصاص المعتمدين الموثوقين، كالنقل عن أساطين الطب في مسائل الطب، أو تدعيم الكلام بذكر مرجعه من أمهات الكتب.

ويحسن بالمحاور أن يترك النقول الضعيفة، والحجج الواهية، فدليلان قويان لا يمكن الرد عليهما أفضل من سوقهما مع ثلاثة أدلة أخرى يمكن الأخذ والرد فيها، إذ ربما يستغلها الطرف الآخر لإضعاف الفكرة. إن خير وسيلة لكسب الطرف المقابل ألاّ تقرره بالحقيقة ابتداء، بل عرضها عليه، ثم الاستدلال لها، تجدالمحاور الآخر في النهاية يقرّ بها من تلقاء نفسه " [374].

(374) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(157، 158)، (مرجع سابق).

المبحث الثالث

الرفق واللين في الحوار

تمهيد:

"إن إظهار الحق وإيصاله للآخرين وإقناعهم به ودحض شبهاتهم وأباطيلهم يحتاج إلى معرفة طبيعة النفس البشرية، وما يصلح لها وما يسوؤها. ومن أهم سمات النفوس أنها تميل إلى اللين والملاطفة والتعامل بالحسنى، وتنفر من الشدة والإذلال والإفحام، إذ إن لها كبرياء، فمن أكرمها فأنه يستطيع أن يقودها وأن يسيّرها كيفما شاء، ومن خدش كبرياءها، فلن يظفر منها بطاعة ولا تصديق ولا انقياد، ولا يلومنّ بعد ذلك إلا نفسه !

لذا فمن أراد أن يمسح الشبهات من عقول الناس، أو أراد أن يدحضها، فعليه أن يلج إلى ذلك بالحسنى، وأن يتجنّب العنف والشدة والتحدي" [375].

ولا شك أن القلوب تميل إلى من يلين ويرفق بها، وتنفر الطبائع البشرية من الفظّ الغليظ حتى لو كان خير الناس! كما قال الله -عزوجل -: ((وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ))[376]. والمحاور الناجح في أمسّ الحاجة إلى التفاف الناس حوله، وتحلّيه بالرفق واللين يساعد في تحقيق ذلك. إلى جانب ذلك، فقد ينشأ عند كثير من الناس نفور تجاه المحاور بسبب دعوته، وذلك إذا خالف رغبات كثير منهم أوعارض شهواتهم، لكنّ اتصافه بالرفق يساهم – بعون الله تعالى – في إزالة أو تقليل هذا النفور.

---

(375) الحمادي، **منهجية التعامل مع الشبهات**، ج2، ص(14)، (مرجع سابق).

(376) آل عمران: { 159 }.

هذا وقد جاء في القرآن الكريم والسنة المطهّرة ما يبين ضرورة تحلّي المحـاور الداعية بالرفق، وقدّم إمام الدعاة محمد – صلى الله عليه وسلم – نموذجاً مثالياً لاستخدام الرفـق فـي الحوار، وأكّد كثير من علماء الأمة على ضرورة اتصاف المحاور بالرفق واللين [377].

(377) إلهي، فضل، **من صفات الداعية "اللين والرفق"**، مكتبة المعـارف، الريـاض، ط1، (1411هـ - 1991م)، ص(3)، بتصرف.

المطلب الأول

أهمية الجدال بالتي هي أحسن في المحاورة

أمر ا – عزوجل – نبيّه – عليه الصلاة والسلام – أن يجادل الآخرين بـالتي هـي أحسن حيث قال: ((ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)) [378].

والمجادلة بالتي هي أحسن: "هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غيـر فظاظـة ولا تعنيف" [379].

ويقول جلّ ذكره مخاطباً موسى وهارون –عليهما السلام– ((اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿ 43 ﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿ 44 ﴾))[380]، " فإذا كـان موسـى وهـارون -عليهما السلام – أمرا بأن يقولا لفرعـون قولاً ليّنـاً، فمن دونه أحرى بأن يقتـدي بذلك فـي خطابه، وأمره بالمعروف في كلامه " [381]، " وفي تليين القول ما يكسر سـورة عنـاد العتـاة ويلين عـريكة الطغاة " [382]، فهذا محمد –صلى ا عليه وسـلم- أمـره ربـه أن يجـادل المعـاندين بالحسنـى، مع أنهم أساؤوا إليه وكذبوه وآذوه !

إن المحاور المنصف يناقش باللطف والأناة والهـدوء، ومن الأشياء التي تفتـح مغاليق النفـوس، ألاّ تسفّه آراء محاورك، وأن تظهر له الاحـترام ولو كان على غير رأيك [383].

قال تعالى: ((وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ))[384]. فعلـى المسلم أن لا يسـلك مع خصومه، مسالك الشتم أو الطعن أو الفحش.

([378]) النحل: { 125 }.
([379]) الزمخشري، **الكشاف**، ج2، ص(435)، (مرجع سابق).
([380]) طه: { 43، 44 }.
([381]) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج11، ص(200)، (مرجع سابق).
([382]) أبو السعود، **تفسير أبي السعود**، ج3، ص(362)، (مرجع سابق).
([383]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(72)، بتصرف، (مرجع سابق).
([384]) الأنعام: { 108 }.

والمحاور الناجح هو الذي يتمثـّل قوله تعالى: ((وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً)) [385] "وفـي هـذا حث على مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قوله ليناً، ووجهه منبسطـاً طلقـاً مع البـر والفاجروالسنّيّ والمبتدع من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم بكـلام يظـن أنـه يرضـي مذهبه" [386]. "فالمحاور مطالب أن يشعر من يدعوه بأنه لا يتعالى عليه أو يتميز دونه، بل هـو حريص عليه يتمنى له كل الخير، لأن حرص المحاور مفتاح من مفاتيح القلوب التي يفـتح ا بها قلب من يحب من عباده، ولنا في رسول ا –صلى ا عليه وسلم- الأسوة الحسنة فقد كان ينفطر على حال المشركين بعد محاورتهم" [387]: ((فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً ﴿6﴾)) [388]، ومن مظاهر الرفق واللين في الحـوار عـدم مقابلـة الخطـأ والزلل بمثله قال تعالى: ((وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿34﴾)) [389]. "فالواجب على المحاور العاقل: توطين النفـس علـى لزوم العفـو عن الناس كافة، وترك الخروج لمجازاة الإساءة، إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسن من الإحسـان، ولا سبب لنماء الإساءة وتهييجها أشدّ من الاستعمال بمثلها " [390]، فالإسـلام يعتبر الكلمـة الطيبة صـدقة كما في الحـديث الشـريف الذي يرويه أبو هريرة – رضي ا عنه: "الكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عـن الطريـق صدقة"[391]، "فالقول الحسن محمود على كل حال،في الرضا والغضب، ومع العـالم والجاهـل، ومع المسلم وغير المسلم، ومع التقي والفاجر، ومع الصغير والكبير على حدّ سواء " [392].

([385]) البقرة: { 83 }.

([386]) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج2، ص(86)، (مرجع سابق).

([387]) عبد العزيز، جمعة أمين، **الدعوة (قواعد وأصول)**، دار الدعوة للطباعة، الإسكندرية، ط2، (1409هـ - 1989م)، ص(133).

([388]) الكهف: { 6 }.

([389]) فصلت: { 34 }.

([390]) ابن حبّان، أبو حاتم محمد بن معاذ، **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، تحقيق: محـمد محيي الـدين عبـد الحمـيد وآخـرين، دار الكـتب العلـمية، بـيروت، (1379هـ -1977م)، ص(166).

([391]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب الزكاة**، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم الحديث (1009) ج2، ص(699)، (مرجع سابق).

([392]) ديماس، **فنون الحوار**، ص(88)، (مرجع سابق).

وأكـّد الرسول –صلى ا عليه وسلم- على أهمية تحلّي المسلم بالـرفق، فعن عائشـة – رضي ا عنها - قال رسول ا – صلى ا عليه وسلم -: " إن الرفق لا يكون في شـيء إلا زانه ولا ينزع عن شيء إلا شانه " [393]. وفي هذا حث على الابتعاد عن التحدي في الحوار والجدال والمناقشة، ولو كان بالحجة الدامغة والدليل المبين، لأن التحدي يجعل صاحبه مبغوضاً للآخرين، فكسب القلـوب أهم من كسب المواقف، ثم إن المحاور قد يفحم الخصم، ويعجزه عن الجواب، ولكنـه لا يقنعه، لأنه أحرجه، فيرفض التسليم بعاطفته وإن كان مقتنعاً بعقله. أمـا إذا كـان المحاور ليّناً ولطيفاً فإنه سيقنع خصمه إن عاجلاً أو آجلاً، فإذا انتهى مما يريـد قولـه، وأدلى بدلوه، فإن الطرف الآخر سيقتنع برأيه. فالهدف من الحوار هو الوصول إلى الحق، وليس إفحام الآخرين وإسكاتهم، لأن ذلك قد يسكن الخصم أو الطرف الآخر،ولكنه لا يقوده إلى الهداية، فضلاً عما يتركه الإفحـام –إذا كان أمام الآخـرين- في نفسه من حقد وغيظ. فالداعية الحكيم يحاول استلال ما في قلوب الآخرين مـن غـيظ، وأن يقـودهم إلـى الهدايـة [394]. وعلـى المتحـاورين أن يحـرصا على تجنّب الألفـاظ المـستحدثة التـي تحتمـل حقـاً وبـاطلاً وخطأوصواباً. وعليهما أن يحرصا على استعمال الألفاظ الشرعية المستعملة في القرآن والـسنة وعند علماء المسلمين، لأن هذه الألفاظ تكون محدّدة المعنى واضحة المفهوم خالية من أي معنى باطـل. قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا[395] وَقُولُواْ انظُرْنَا[396] وَاسْمَعُواْ وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿104﴾)) [397]. فـفي كلمـة (راعنا) في لسـان اليهود معنـى باطـل كـانوا يقصدونه عند مخاطبتهم رسـول ا -صلى ا عليه وسلم- فأمر ا المسلـمين أن يتركوهـا وأن يستعملوا كلمة (انظرنا) بدلاً منها، فإذا اضطر المحاور إلى بعض الألفاظ المستحدثة فعليـه أن يبين مقصوده منها، حتى لا تثير الكراهية والحقد بين المتحاورين [398].

([393]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب**، باب فضل الرفـق، رقـم الحـديث(2594)، ج4، ص(2004)، (مرجع سابق).

([394]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(73)، بتصرف، (مرجع سابق).

(395) راعنا: استمع منا، حرّف اليهود هذه اللفظة، وقالوا: يا محمد راعنا، وهم يلحدون إلى الرعونة يريدون بها النقيضة والوقيعة.

(396) انظرنا: تمهل كي نفهم ونستوعب جميع الكلام.

* مغنية، محمد جواد، **التفسير الكاشف**، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، (1981م)، مج1، ص(166).

([397]) البقرة: { 104 }.

([398]) زيدان، عبد الكريم، **أصول الدعوة**، مؤسسة الرسالة، ط2، (1407هـ - 1987م)، ص(471،472)، بتصرف.

المطلب الثاني

الرفق في حوار الأنبياء – عليهم السلام – مع أقوامهم

إنّ الرفق سمة واضحة في دعوة الأنبياء –عليهم السلام- لأقوامهم، فما من نبي بعث إلا ودعا قومه وحاورهم بالتي هي أحسن، فهاهو ذا شعيب –عليه السلام-يحاور قومه بكل رفق قائلاً ((يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)) [399]، فهذا تلطف منه في العبارة ودعوة لهم إلى الحق بأبين إشارة. يقول لهم: أرأيتم أيها المكذبون "إن كنت على بينة من ربي "ورزقني النبوة والرسالة، وعمّي عليكم معرفتها، فأي حيلة لي فيكم ؟ ولست آمركم بالأمر إلا وأنا أول فاعل له، وإذا نهيتكم عن الشيء فأنا أول من يتركه [400].

"فهو يتلطّف معهم ليشعرهم أنه على بينة من ربه، وأنه على ثقة مما يقول لهم، وأنه يدعوهم إلى الأمانة في المعاملة،سيتأثر مثلهم بنتائجها،لأنه ذو مال وعلاقات تجارية،فهو لا يبغي كسباً شخصياً من وراء دعوته لهم، فلن ينهاهم عن شيء ثم يفعله لينفرد بالكسب وحده ! إنما هي دعوة الإصلاح للناس أجمعين بكل حكمة وروية ولين" [401].

"وهاهو يوسف –عليه السلام- لم يغفل عن الدعوة لدينه مع أنه في السجن، بل استغل الموقف، وأخذ يشرح في تلطف ولين ورفق دعوته مستغلاً الموقف أحسن استغلال، مدركاً لطبيعة البيئة ومداخل النفوس فيها، وبيّن العلاقة بينه وبين صاحبي السجن وأنه لا يريد إلا مصلحتهما، بعد أن علما سيرته ومبلغ علمه" [402].

([399]) هود: { 88 }.

([400]) ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ص(246، 247)، بتصرف، (مرجع سابق).

([401]) النحلاوي، **التربية بالحوار**، ص(66)، (مرجع سابق).

([402]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(91)، (مرجع سابق).

قـال تعالى ((يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿39﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿40﴾)) [403].

"لقد رسم يوسف –عليه السلام- بهذه الكلمات القليلة الناصعة الحاسمة كل معـالم هـذا الدين وكل مقومات هذه العقيدة، كما هزّ بها كل قوائم الشرك والطاغوت والجاهلية هزّاً شـديداً عنيفاً ((يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿39﴾))[404]، إنه يتخذ منهما صاحـبين ويتحبب إليهما بهذه الصفة المؤنسـة ليدخل من هذا المدخل إلى صـلب الدعـوة وحسم العقـيدة " [405]. ومن صـور الرفـق في حـوار الأنبياء –عليـهم السـلام- لأقوامهم تلك التوجيهـات السـديدة التي يلقنها القـرآن الكـريم للنبي-صلى ا عليه وسلم- آمراً إيـاه أن يقولها لقومـه بكل تواضع وشجـاعة وحكمـة فيقول: ((فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿15﴾)) [406]. ويضيف أيضاً ((قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿24﴾ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿25﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿26﴾))[407]. "إن الحوار أو الجدال الذي يدور بين الناس، إذا كان يقوم على التواضع ولين الجانب، وعلى الأسلوب المهذّب الخالي من كل مالايليق، كانت نتائجه طيبـة وآثـاره حميـدة، لأنه يوصل إلى الحقيقة المرجوة، وإلى الاتفاق ولو على معظم المسائل التـي دار مـن أجلهـا

([403]) يوسف: { 39، 40 }.

([404]) يوسف: { 39 }.

([405]) **المرجع السابق**، ص (93).

([406]) الشورى: { 15 }.

([407]) سبأ: { 24-26}.

الحوار. أما الحوار أو الجدال الذي يكون مبعثه الغـرور والتعالي والتبـاهي بـالأقوال، فمـن المستبعد أن يأتي بنتيجة توصل إلى الحقيقة أو إلى اتفـاق على ما ينفع، وإنما المتوقع من هـذا الحوار الذي سداه الغرور، أن تتولد عنه الآثام والشرور" (408). وهكذا نتيقن أن الرفـق يـزين الحـوار ويقوده إلى نتائج طيبة وثمـار ناضجة، أسوتنا في ذلك الرسل الكرام –عليهم الـصلاة والسلام-.

(408) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(30)، (مرجع سابق).

المطلب الثالث

المداراة في الحوار

"المداراة خلق من أخـلاق النبوة، يحكِمها الأذكياء، ولا يتعدّى حدودها الفضلاء، وهـي ترجع إلى حسن اللقاء، وطيب الكلام والتودّد للناس وتجنّب ما يشير بسخَط مـن غيـر ثـلْم للدين"[409]. فعن عائشة–رضي الله عنها- أنه استأذن على النبي- صلى الله عليه وسلم- رجـل فقال: "ائذنوا له، بئس أخو العشيرة" فلما جلس تطلّق له النبي- صلى الله عليـه وسـلم - فـي وجهه، وانبسط إليه، فقلت: " يارسول الله ، قلـت ما قلت، ثم ألنـت لـه القـول ؟! " فقـال: " ياعائشة، إن شرّ الناس منزلة عند الله من تركه-أو ودعه- الناس اتقاء فحشه " [410].

"فالواجب على العاقل أن يداري الناس مداراة الرجل السابح في المـاء الجـ ـاري،ومن ذهب إلى عشرة الناس من حيث هو كدّر على نفسه عيشه، ولم تصف لـه مـ ـودّته، لأن وداد الناس لا يستجاب إلا بمساعدتهم على ماهم عليه إلا أن يكون مأثماً، فإذا كانت حالة معصية فلا سمع ولا طاعة، والبشر قد ركّب فيهم أهواء مختلفة وطبائع متباينة، فكما يشقّ عليك تـرك مـا جبلت عليه، فكذلك يشق على غيرك مجانبة مثله، فليس إلى صفو ودادهم سبيل، إلا بمعاشـرتهم من حيث هم، والإغضاء عن مخالفتهم في الأوقات. ومن التمس رضا جميع الناس، التمس مـا لايدرك، ولكن يقصد العاقل رضا من لايجد من معاشرته بداً، وإن دفعه الوقت إلـى استحـسان أشياء من العـادات كان يستقبحها، واستقباح أشياء كان يستحسنها، ما لم يكن مأثماً، فـإن ذلـك من المداراة، وما أكثر من دارى فلم يسلم، فكيف توجد السلامة لمن لا يـداري " [411]." ومـن المداراة إذا حدّث محاورك بكلام غـريب ألا تبادر إلى تكذيبه، وتفنيد قوله، فهـذا الـصنيع لا

([409]) الحاشدي، **فن الحوار**، ص(233)، (مرجع سابق).

([410]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب**، باب: مداراة من يتقـى فحـشه، رقـم الحـديث (2591)، ج4، ص(2002)، (مرجع سابق).

([411]) ابن حبان، **روضة العقلاء**، ص(70،71)، (مرجع سابق).

يحسن أبداً، وليس من صفات أكابر الرجال، لأن هؤلاء يتغاضون عن خطأ محاورهم ويتعامون عن زلته، وإذا كان الخطأ كبيراً، فإنهم يبيّنون له الخطأ، ويرشدونه إلى الصواب بأجمل عبـارة وألطف إشارة " [412].

وعلى المحاور في هذا المقام أن يميز بين المداراة والمداهنة في مخاطبة الناس، وفـي ذكر محامدهم، وإظهار فضائلهم، فلا يظن ظانّ أن الرفق واللين والمداراة في الحـوار تعنـي المداهنة حيث يلقى الفاسق المعلن بفسقه فلا ينكر عليه ولو بقلبـه، فالمداهنـة فـي الحـوار محـرّمة، وهي ما رغـب مشركو قريـش في وجـودها عنـد النبـي -صـلى الله عليـه وسلم- قال جـلّ ثنـاؤه في معـرض ذم أولئك: ((وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿9﴾)) [413] وبيّن الرسـول –صلى الله عليه وسلم- سـوء عـاقبة المـداهن، فقـد قـال النعمـان بن بـشـير –رضي الله عنه – قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: " مثل المـدهن فـي حـدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة، فصار بعضهم في أسفلها، وصار بعضهم في أعلاها. فكان الذين في أسفلها يمرّون بالماء على الذين في أعلاها، فتأذّوا به، فأخذ فأساً فجعل ينقـر أسـفل السفينة، فأتوه، فقالوا: مالك ؟ قال: تأذيتم بي ولا بدّ لي من الماء. فإن أخذوا على يديـه أنجـوه ونجّوا أنفسهم، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم" [414]، فالمقصود من اتصاف المحاور بـاللين والرفـق أن تكون دعوته خالية من العنف والخشونة والشدة والقسوة، بعبارة أخـرى أن تكون عنده مـداراة [415]. وهذا ما يظهـر في قـوله تعـالى لموسى وهارون –عليهما السـلام- عند دعوة فرعون "فقولا له قولاً ليناً" [416] بأن يداريا ويرفقا به [417]. "ومن هنـا يظهر الفرق جلياً

([412]) الحاشدي، **فن الحوار**، ص(234)، (مرجع سابق).

([413]) القلم: { 9 }.

([414]) البخاري، **صحيح البخاري، كتاب الشهادات**، باب: القرعة في المشكلات، رقم الحـديث (2686)، ج3، ص(237)، (مرجع سابق).

([415]) إلهي، **اللين والرفق**، ص(8، 9)، بتصرف، (مرجع سابق).

([416]) طه: { 44 }.

([417]) البغوي، **تفسير البغوي**، ج3، ص(219)، (مرجع سابق).

بين المداراة والمداهنة: فالمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكارعليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألّفه، ونحو ذلك. والمداهنة من الدهان: وهو الذي يظهر على الشيء، ويستر باطنه، وفسّرها العلماء بأنها "معاشرة الفاسق، وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه"[418].

وصفوة القول: يجوز للمحاور أن يستعمل في كلماته وخطاباته ما يثير رغبة محدّثه، ويشدّه إلى تقبل الحق، ويدفعه إلى الالتزام به. وذلك بنداءات ليّنة، ومخاطبات تشويقية لها إيحاءاتها المؤثرة على المشاعر، وآثارها المباركة على القلوب. على أن يلتزم المحاور حدود الاعتدال والاتزان في كل ما يطرحه من نداءات واستعطافات، بلا مبالغة ولا شطط ولا مداهنة، إلا ما أباح له الشرع في إطار التقية والمداراة ما استطاع أن يأسر قلب خصمه، وأن يصل إلى ما يريد من إصلاح نفسه وتغذية فكره.

فالواجب على المحاور الناجح أن يحرص عند محاورته مع الآخرين أن يكون المثل الأعلى في الملاطفة والمجاملة ليصل إلى النتيجة المرجوة التي يريد الوصول إليها[419].

([418]) العسقلاني، **فتح الباري**، ج10، ص(528)، (مرجع سابق).

([419]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(137، 138)، بتصرف، (مرجع سابق).

الفصل الثاني

قواعد الحوار والإقناع

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الاحترام المتبادل.

المبحث الثاني: البحث عن الحقيقة والسعي إليها.

المبحث الثالث: الرفق واللين في الحوار.

قواعد الحوار والإقناع

تمهيد:

"إن الغرض من الحوار هو البحث عن الحق ليتضح، فالحق مطلوب والتعاون على النظر فيه مفيد ومؤثر، هكذا عادة السلف الصالح -رضي الله عنهم- في تحاورهم، فقد تدعو الحاجة إلى البحث المشترك للتوصّل إلى الحق، مثلما حدث بين الصحابة -رضي الله عنهم- في حوارهم في مسألة الجدّة، وحدّ شرب الخمرة " [420]. وحتى نميز الحوار عن الجدل المذموم أو السفسطة أو المراء البعيد عن نشدان الحقيقة، وحتى لا يتحول الحوار إلى مشاحنات أنانية ومشاغبات ومغالطات، ونحو ذلك مما يفسد القلوب، ويهيج النفوس ويورث التعصب ولا يوصل إلى الحق [421]، وحتى لا يصبح الأمر انتصاراً وإعجاباً لكل ذي رأي برأيه[422]، فلا بدّ من وضع قواعد للحوار الهادف بلوغاً إلى الصواب.

([420]) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، إحياء **علوم الدين**، دار الوثائق، القاهرة، ط1، (1420هـ – 2000م)، مج1، ص(54).

* تنبيه: ورد في حوار الصحابة – رضي الله عنهم – في ميراث الجدة: قال قبيصة بن ذؤيب: جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها، فقال لها أبو بكر: ما لكِ في كتاب الله شيء. وما علمت لك في سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – شيئاً. فارجعي حتى أسأل الناس. فسأل الناس،قال المغيرة ابن شعبة: حضرت رسول الله –صلى الله عليه وسلم – أعطاها السدس. فقال أبو بكر: هل معك غيرك ؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري، فقال مثل ما قال المغيرة. فأنفذه لها أبو بكر الصديق.

انظر: الأصبحي، مالك بن أنس، **الموطأ**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الفرائض، باب ميراث الجدة، رقم (4)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1406هـ-1985م)، ج2، ص(513).

وورد في حوار الصحابة – رضي الله عنهم – بشأن حد شرب الخمرة: عن أنس بن مالك: جلد أبو بكر – رضي الله عنه – في شرب الخمرة أربعين، فلما ولي عمر دعا الناس فقال لهم: إن الناس قد دنوا من الريف، فما ترون في حدّ الخمر؟ فقال له عبد الرحمن بن عوف: نرى أن تجعله كأخف الحدود، فجلد فيه ثمانين.

أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، كتاب الحدود، باب الحد في شرب الخمر، رقم (4479)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت)، ج4، ص(163).

([421]) الألمعي، زاهر عواض، **مناهج الجدل في القرآن الكريم**، مطبعة الفرزدق، (د. ط)، (د. ت)، ص(431)، بتصرف.

([422]) جريشة، علي، **أدب الحوار والمناظرة**، دار الوفاء، المنصورة، ط1، (1410هـ-1989م)، ص(67)، بتصرف.

المبحث الأول

الاحترام المتبادل

بيّن القرآن الكريم لأتباعه المسلمين أن هناك طريقتين للحوار الفكري، أو للصراع في جميع مجالاته، فهناك طريقة العنف التي تعتمد مواجهة الخصم بأشدّ الكلمات والأساليب وأقساها، بحيث يتركز الاختيار على كل ما يساهم في إيلامه وإهانته وإهدار كرامته، فلا مجال لمراعاة مشاعره وعواطفه، ودراسة واقع حياته، والإحاطة بظروفه من أجل المحافظة على الانسجام معها، بل ربما يكون الأمر تحدّياً للمشاعر في كل المجالات.

وهناك طريقة اللاعنف، أو الطريقة السلمية التي تعتمد اللين والمحبة أساساً للصراع، انطلاقاً من القاعدة الإسلامية التي تعتبر موضوع الصراع، بمختلف مستوياته ومجالاته، وسيلة من وسائل الحركة المنفتحة للوصول إلى الهدف، وهو الإيمان بالحق والوقوف معه، والعمل على حشد أكبرعدد ممكن من الناس للارتباط بالهدف والانسجام معه، ولا بد لهذه الطريقة من استخدام الكلمات والأساليب الطيبة المرنة التي تفتح القلوب على الحق، وتقرب الناس إلى المفاهيم، بعيداً عن كل المعاني الشريرة القاسية [423].

"والداعية الناجح هو الذي يحترم الأطراف الأخرى التي يحاورها، مسلمة كانت أو غير مسلمة، ويمنحها حقها المتوجب لها من التقدير والتوقير، ونحن مأمورون أن ننزل الناس منازلهم" [424]، فالمحاور يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه، فينصت لحديثهم ويتواضع لهم، ويشعرهم بتقديره لهم [425].

([423]) فضل ا ، **الحوار في القرآن**، ص(82، 83)، بتصرف، (مرجع سابق).

([424]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(65)، (مرجع سابق).

([425]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(123)، بتصرف، (مرجع سابق).

ومن المظاهر التي ينبغي مراعاتها في الاحترام المتبادل في أثناء الحوار:

1. **الإنصاف**:

وهذا يعني أن يذكر كل محاور حسنات زميله، وأن يقدّر جوانب الخير التي يتحلّى بها، وأن يعذره إن أخطأ، "وليس معنى الإعذار تصويب ما لدى الطرف الآخر من سلوك وأفكـار، فالحق لا يتعدد، وإنما المطلوب تفهّم الوضعية العامة للمحـاور، ومحاولـة حـلّ مـشكلاته إن أمكن"[426].

2. عدم الاستعجال بالرد على الخصم:

ينبغي على المناظر أن ينتظر خصمه حتى يفرغ من حجتـه، فيجيبـه بمـا قـلّ ودّل، فيصمت بحلم مهما أغضبه خصمـه. فعن أبي هريرة – رضي الله عنه - قال صلى الله عليـه وسلم: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشـديد الذي يملك نفسه عند الغضب "[427]. وينبغي كـذلك أن يـتكلم بعلـم. قـال تعـالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿8﴾)) [428]، " فإن لم يعرف بما يجيب لقصور علمه، فيجب أن يقول لا أعلـم أو الله أعلم، اقتداء بالملائكة المقربين والصحابة الأكرمين والعلماء الورعين " [429].

3. المحاورة بأفضل الأسماء والألقاب وأجمل ألوان الخطاب:

" إن مناداة الطرف الآخر باسمه وبأحب الأسماء إليه دليل علـى الاحتـرام والتقـدير لشخصه، فليس ثمة شيء أجمل وأحب إليه من اسمه. فحفظ الأسماء لا بدّ منه لمن يحبّ التآلف

([426]) بكّار، عبد الكريم، **مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي**، دار القلم، دمشق، ط1، (1420هـ-1999م)، ص(133).

([427]) البخاري، **صحيح البخاري، كتاب الأدب**، باب الحذ من الغضب، رقـم الحـديث (6114)، ج8، ص(34)، (مرجـع سابق).

([428]) الحج: { 8 }.

([429]) حلمي، أمين، **الحوار الفكري في القـرآن الكـريم (المناظرة والجدال والمحاجة)**، دار النهـضة الإسـلامية، ط1، (1997 م)، ص(43).

مع الناس، ودعوتهم إلى ا ومشاركتهم ومخالطتهم، وكسب ودّهم "[430]. فها هو ذا خليل ا إبراهيم – عليه السلام – يتذلّل لأبيه ويخاطبه قائلاً: (يا أبت). وفي محاورة الأب لابنه، ينبغـي للمحاور أن يستفيد من نصح لقمان (عليه السلام) لابنه، إذ كان يخاطبه بشفقة الأب ورحمـتـه وحنانـه. ((وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿ 13 ﴾)) [431].

وفي محاورته لصديقه ورفيقه ينبغي أن يستفيد من دعوة يوسـف – عليـه السـلام – لصاحبيه في السجـن، في قوله لهمـا: ((يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴿ 39 ﴾)) [432]. وفي دعوته الأهل والعشيرة ينبغي أن يستفيد من سياسة الرسول صـلى ا عليه وسلم مع أهله وعشيرته الأقربين [433].

ومن ألوان النداء التي ينبغي على المحاور أن يلتزم بها، النداء لجماعة المؤمنين بحيـث يخاطبهم بما خاطبهم ا تعالى به حين قال: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ)) [434]. ففي مخاطبة ا تعالى للمؤمنين بـ " يا أيها الذين آمنوا " تأكيد لهم بأنهم أهل الإيمان والتقوى، وفي الوقت نفسه استثارة لهم بأن يستجيبوا لدعوة الحق، لما في هذه الاستجابة من مقومات البقاء والحياة. وفي النداء لأهل الكتاب يقول ا تعالى: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿ 64 ﴾))[435]." فا تعالى يأمر نبيه -عليه الصلاة والـسلام-

---

([430]) الحاشدي، **فن الحوار**، ص(125)، (مرجع سابق).

([431]) لقمان: { 13 }.

([432]) يوسف: { 39 }.

([433]) الميداني، **فقـه الدعـوة إلى ا** ، ج1، ص(268،269)، بتصـرف،(مرجع سابق).

([434]) الأنفال: { 24 }.

([435]) آل عمران: { 64 }.

بأن يخاطب اليهود والنصارى بـ " يا أهل الكتاب " لتذكيرهم بأنهم من أهل الكتاب الأول، وأن ما جاء في كتبـهم متفق تماماً مع ما جاء في القـرآن الكريم، من أصـول التوحيـد وأركـان الإيمان. ولا يخفى ما في ذلك من استثارة لهم وتشويق في استجابتهم لدعوة الحق، ودخولهم في دين الإسلام " [436].

4. الهدوء في أثناء الحوار:

لا شك أن الهدوء والغضّ من الصوت فيه أدب مع ا ومـع النـاس، وثقـة بـالنفس، واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته. ومن هنا كان توجيه (لقمان) لابنه بغض الصوت وتقصيره، كما قال تعالى على لسانه: ((وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)) [437]. وجـاء في تفسير هذه الآية: ((وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ))، أي: " لا تبالغ في الكلام، ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه "، ولهذا قال: " إن أنكر الأصوات لصوت الحمير "، قال مجاهد وغيـره: " إن أقـبح الأصوات لصوت الحمير، أي غاية من رفع صوته أن يشبّه بالحمير في علوّه ورفعه، ومع هذا فهو بغيض إلى ا ، وهذا التشبيه بالحمير يقتضي تحريمه، وذمّه غاية الذمّ " [438].

فالمحاور يقبل بوجهه إلى من يحدثه، ويوضح الألفاظ بصوت مناسب، لا هو بالخافـت الذي لا يكاد يسمع ولا بالمرتفع المؤذي، مع تجنب العبارات والألفاظ المؤذية أو غير اللائقـة، فضلاً عن الغيبة والنميمـة. وعلى السامع أن يقبل بوجهـه لمحـاوره، وأن يوليـه انتباهـه وإنصاته، وألا يقاطعه حتى يتم حديثه، وأن يحرص كل منهما ألا يتطور الحـوار إلـى جـدال ومراء، بل يكون حرص كل منهما على الوصول للحق والخير، مع افتراض كل منهما الخطـأ في رأيه كما يفترض فيه الصواب [439]. " وليس معنى الهدوء وخفـض الـصوت أن يخفـضه

([436]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(132)، (مرجع سابق).

([437]) لقمان: { 19 }.

([438]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص(430)، (مرجع سابق).

([439]) مشهور، مصطفى، **من فقه الدعوة**، دار التوزيع، (1415هـ - 1995م)، ج1، ص(535،536)، (بتصرف).

لدرجة يعجز معها المستمع عن متابعة الحديث، وإنما لا بدّ من التوسط والاعتدال. وقد وجد بالخبرة والتجربة أن الصوت المعتدل الهادئ المتأني من غير صراخ أو صياح ومن غير إسرار وإخفات، هو الأدخل إلى النفوس والأنفذ إلى الأعماق والأحفظ لجلال الكلمة ووقار المتكلم. ومن الأفضل ألا يجعل المحاور درجات صوته على وتيرة واحدة، لأن ذلك قد يجلب النوم للمستمعين، ولكن يلزم خفض الصوت ورفعه انفعالاً مع الحديث، فإن لقوة الصوت وخفضه دوراً في تجديد الانتباه " [440].

5. بسط الوجه:

إن من أخلاق المحاور النبيل ذي المروءة والأدب: التودّد والتلطّف وبسط الوجه لمن يحاوره، وذلك في غاية نبل النفس، وصفاء المعدن. قال تعالى ((وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ))[441]، فقد روى أبو ذر الغفاري– رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم - قال: "لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلْق " [442]. فالمحاور الناجح هو الذي يقبل على محاوره بوجه باشّ، ومن كانت هذه صفته كان على التفكير، واختيار الكلمة المناسبة لمقتضى الحال، أكثر قدرة وينظر له محاوره بشيء من الثقة والاطمئنان [443].

6. التركيز على الرأي لا على صاحبه:

"في أغلب المناقشات يحسن تناول الفكرة بالبحث والتحليل، أو بالنقد والنقض بعيداً عن صاحبها أو قائلها، وذلك حتى لا يتحول الحوار إلى مبارزة كلامية، طابعها الطعن والتجريح، والعدول من مناقشة القضايا والأفكار إلى مناقشة التصرفات والأشخاص " [444]." وقد ينشأ

([440]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(94)، (مرجع سابق).

([441]) لقمان: { 18 }.

([442]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب البر والصلة**، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، رقم الحديث (2626)، مج4، ص(2026)، (مرجع سابق).

([443]) الحاشدي، **فن الحوار**، ص(187)، (مرجع سابق).

([444]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(70)، (مرجع سابق).

صراع في أثناء الحوار، ولكن على المتحاورين إدراك أن هذا الصراع والتوتر هو بين الأفكار وليس بين الأشخاص، وبمجرد أن يرى الناس أن المشاركة بـين أفكـارهم عمليـة طبيعيـة، سيفصلون أنفسهم عن مبادئهم، وسيتخذون موقفاً أكثر نشاطاً وأقل سلبية نحو أفكارهم " [445].

وفي حالات قليلة يستحب الخـروج عن هذه القاعدة، وذلك عندما تقتضي مصلحة الحق – لا النوازع الشخصية – تعرية الطرف الآخر وبيان ما فيه، ومع ذلك فيجب أن يتم هذا وفـق الأدب الإسلامي وعلى ضوء النصوص الواضحة، كما في قوله تعـالى ((وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ)) [446]. ومما يجعل الفكرة أكثر قبولاً أن يكون صاحبها مقتنعاً بها، حريصاً على نشرها، ممثلاً لها في كل حركاته وسكناته، متقيداً بمثلها العليا في كل أوقاتـه وتـصرفاته. إن صاحب الفكرة لا يستطيع أن يواجه بها المؤيدين والمعارضين إلا إذا كانت واضحة المعالم فـي ذهنه، عميقة الجذور في فؤاده، ومع هذا الفهم والوعي فلا ينبغي أن تستخفه المواقف، بل عليـه أن يتحدّث بروح الناصح الأمين، وأن يبتعد عن معاني الاستعلاء والترفع المشين. وصـدق ا القائل: ((وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿215﴾)) -[447]، كذلك ينبغـي أن يعبـر عن مراده بإخلاص وتجرّد،وأن يحادث المستمعين كأنه واحد منهم [448]. إن الأصـل فـي النقـاش والحوار أن يكون للرأي أو للقضية، وعرض ذلك على ميزان الشرع، ثم العقل، بغض النظرعن القائل، سواء أكان الحوار مشافهة أو كتابة،أم غيرهما، وسواء أكان القائـل حاضـراً أم غائبـاً [449].

([445]) هلال، محمد عبد الغني حسن، **مهارات إدارة الحوار والمناقشات**، مركز تطـوير الأداء، مـصر، ط1، (1999-2000)، ص(18، 19).

([446]) الحجرات: { 11 }.

([447]) الشعراء: { 215 }.

([448]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص (71)، (مرجع سابق).

([449]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(218)، (مرجع سابق).

ومأخذ هذا الأصل من القواعد الشرعية الآتية:

3. إن الهدف الأسمى من المحاورات والمناظرات والردود ونحوها هو التوصل إلى الحق، وكشف الزيغ والانحراف. وذلك يتحقق في الغالب من دون ذكر الأسماء لأن الستر مطلب شرعي في حق المسلم الذي يظهر منه الصلاح، ولم يجاهر بالمعصية. ففي الحديث الشريف الذي يرويه سالم عن أبيه، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته. ومن فرّج عن مسلم كربة، فرّج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة. ومن ستر مسلماً، ستره الله يوم القيامة "[450]. وإن الأصل تحريم أعراض المسلمين وعدم التعرض لها بنقد أو جرح، سواء أكان غيبة أم سخرية[451]. قال تعالى: ((يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿11﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿12﴾))[452]. وعلّمنا رسولنا – صلى الله عليه وسلم – كذلك كيف نتعامل مع المخالفات والمحاذير، فقد كان – عليه الصلاة والسلام – إذا أراد

([450]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب البر والصلة**، باب تحريم الظلم، رقم الحديث(2580)، مج4، ص(1996)، (مرجع سابق).

([451]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(219)، (مرجع سابق).

([452]) الحجرات: { 11، 12 }.

التنبيه على بعض المخالفات التي تقع في المجتمع المدني يقول: ما بال أقوام - أو رجال - يفعلون كذا وكذا [453].

4. يجب أن يحترز المحاور عن الاختصار المخل في الكلام، وعن إطالة الكلام بلا فائـدة ترجى من ذلك. وأن يتجنب الألفاظ الغريبة، والألفاظ المجملة التي تحتمل عدة معـان، من غير ترجيح أحدها الذي هو المراد،وألا يتعرض أحدهما لكلام خصمه قبل أن يفهـم مراده تماماً، وأن يقبل كل منهما الحق الذي هداه إليه محاوره، أو يعترف بأن قوة دليله تقدّم ترجيحاً لوجهة نظره [454].

([453]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب الفضائل**، باب: علمه – صلى ا عليه وسـلم – بـا تعـالى وشـدة خـشيته، رقـم الحديث(2356)، مج4، ص(1829)، (مرجع سابق).

([454]) الميداني، عبد الرحمـن حسن حبنكة، **ضوابط المعـرفة وأصـول الاسـتدلال والمناظرة**، دار القلم، دمـشق، ط4 (1414هـ - 1993م)، ص(373).

المبحث الثاني

البحث عن الحقيقة والسعي إليها

تمهـيد:

قضت مشيئة الله تعالى خلق الناس بعقول ومدارك متباينة، إلى جانب اختلاف الألسنة والألوان والتصوّرات والأفكار، وكل تلك الأمور تفضي إلى تعدّد الآراء والأحكـام، وتختلـف باختلاف قائليها، وإذا كان اختلاف ألسنتنا ومظاهر خلقنا آية من آيات الله تعالى، فإن اخـتلاف مداركنا وعقولنا وما تثمره تلك المدارك والعقول آية من آيات الله تعالى كذلك ؛ ((وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿ 118 ﴾ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)) [455].

وهناك خلاف مذموم أملاه الهوى، والهوى لايأتي بخير، فهو مطية الشيطان إلى الكفر، قال تعالى: ((فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ)) [456] وقـال أيـضاً ((وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ)) [457]. وهناك خلاف أملاه الحق قد يقع دون أن يكون للنفس فيه حـظ أو للهـوى عليـه سلطان، فهذا خلاف دفع إليه العلم، واقتضاه العقل، وفرضه الإيمان، فمخالفة أهل الإيمان لأهـل الكفر والنفاق خلاف واجب لايمكن لمؤمن أن يتخلّى عنه، أو يدعو لإزالته لأنه خـلاف سـداه الإيمان ولحمته الحق [458].

وبالرّغم من حقيقة وجود هذا التباين بين الناس، في عقولـهم ومدركاتـهم وقابليتـهم للاختلاف، إلا أن الله وضع على الحق معالم بارزة، وجعل على الـصراط المـستقيم منـارات هادية. فالغاية من الحوارهي إقامة الحجة، ودفع الشبهات وكل فاسد من الأقوال والآراء، وهـو

---

(455) هود: { 118، 119 }.

(456) النساء: { 135 }.

(457) ص: { 26 }.

(458) العلواني، طه جابر فياض، **أدب الاختلاف في الإسلام**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط3 (1407هـ - 1987م)، ص(2، 28)، بتصرف.

تعاون من المتناظرين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها، ليكشف كل طـرف مـا خفي علـى صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق [459].

([459]) ابن حميد، **معالم في منهج الدعوة**، ص(213، 216)، بتصرف. (مرجع سابق).

المطلب الأول

التزام الموضوعية والبعد عن التعصب

إن التزام الموضوعية والعدل والإنصاف يقود الحوار إلى طريق مستقيم لاعـوج فيـه، ويحول دون الانسياق إلى الهوى، فعلى المتحاورين أن يتجنّبا التعصب، ويعلنا الاستعداد التـام للبحث عن الحقيقة، والأخذ بها عند ظهورها، سواء كانت هي وجهة نظرالمحـاور، أو وجهـة نظر من يحاوره، أو وجهة نظر أخرى.

وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى الأخذ بهذه القاعدة، إذ علّم الرسول- صـلى ا عليـه وسلم- والمسلمين أن يقولوا في حوارهم ((وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)) [460].

وفي هذا غاية التخلي عن التعصب لأمر سابق، وفيه كمال إعلان الرغبة بنشدان الحقيقة أنّى كانت. ولما كان موضوع المناظرة الذي وردت هذه الآية بصدده هـو توحيـد الخـالق أو الإشراك به، وهما أمران على طرفي نقيض، لا لقاء بينهما بحال من الأحوال، وهمـا يـدوران حول أصل عظيم من أصول العقيدة، كان من الأمور البدهية أن الهداية في أحدهما إذ هو الحق، وأن الضلال المبين في الآخر إذ هو الباطل، ومن أجل ذلك كانت عبارة إعـلان التخلـي عـن التعصب لأمر سابق، تتضمن الاعتراف بهذه الحقيقة [461].

فالحقّ ضالّة المؤمن ينشده حتى ولو كان على نفسه، فذلك العقل بعينه والتحـرر مـن تبعية الهوى. أما الكبر فهو داء نفسي خطير يتهدّد الإيمان بأنه ردّ الحق وإنكاره، وعدم قبولـه، فعـن عبـدا بـن مـسعود – رضـي ا عنـه – قـال: قـال رسـول – صـلى ا عليه وسلم-: " لا يدخل الجـنة من كان في قلبه مثقـال حبة من كبر" فقال رجل: إن الرجـل

([460]) سبأ: { 24 }.

([461]) الميداني، **ضوابط المعرفة**، ص(363، 364)، بتصرف، (مرجع سابق).

يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة، قال: " إن ا جميـل يحـب الجمـال، الكبـر: بطـر الحق[462]، وغمط الناس [463] " [464].

والحق يقال: إن التسليم بالخطأ صعب على المحاور الذي لم يعتد عليـه، وبخاصـة إذا أخطأ أمام الناس، فإنه يشعر بالحرج من خطئه، والتسليم بالخطأ يحتاج إلى شجاعة أدبية وقـوة نفسية، ولكن المحاور متى اعتاده وجد له حلاوة تقارب حلاوة الفوز والنصر [465].

لقد مدح ا –عزوجل – الذين لايصّرون على خطئهم بقوله: ((وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ 135 ﴾ أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿ 136 ﴾)) [466].

كما ذمّ ا – عزوجل – الذين يصرّون على خطئهم وعصيانهم فقـال: ((وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿ 7 ﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿ 8 ﴾))[467]. إن التسـليم بالخطأ – على عكس ما يظـن المخطـىء أول وهلـة – يكـسب صاحبـه احترام الناس وتقديرهم، على عكس الإصرار على الخطـأ الذي يفقده احترام النـاس له، كما يفقده احترامه لنفسه [468]. إن التعصّب آفة كثير من الناس، بل هو بلاء عـمّ وطـمّ، بلاء متجـدّد عبـر العصور والدهور، يلبس أثواباً متعـددة متلونـة، ولكنـه فـي النهايـة شـيء واحـد، ألا وهوالتعصب الذي يصم آذان صاحبه ويعمي بصره وبصيرته إلا من شيء

([462]) بطر الحق: التكبر عنه والتعالي عليه. ابن الأثير، **النهاية**، ج1، ص(135)، (مرجع سابق).

([463]) غمط الناس: الاستهانة بهم واحتقارهم. **المرجع السابق**، ج3، ص(387).

([464]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب الإيمان**، باب: تحريم الكبر وبيانه، رقم الحديث(147)، مج1، ص(93)، (مرجع سابق).

([465]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(145، 149)، بتصرف، (مرجع سابق).

([466]) آل عمران: { 135، 136 }.

([467]) الجاثية: { 7، 8 }.

([468]) **المرجع السابق**، ص(149، 150).

واحد هو المذهب أوالطائفة ! فالمتعصب لايتبع الدليل، وإنما يتبع ما تعصب له، وإن بدا لـه أن الحـق خـلاف مذهبه أو رأي جماعته، إنه خلل في الإيمان والإخلاص والتجـرّد تبـارك وتعالى.

لقد أمرنا ا - تعالى- أن نطيعه ونطيع رسوله - صلى ا عليه وسلم - ولم يأمرنا أن نطيع أونتعصب لغيرهما، فقال تعالى: ((قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿32﴾)) [469]. إنّ هذا الخلل في الفهم أدى بكثير من المتحـاورين إلـى التمـسّك بـآرائهم وتصّوراتهم على حساب الحق أحياناً [470]. " فالمحاور النـاجح شخـصية سـوية لـذلك فهـو لايتعصّب لرأي، وإنما يبحث عن الحـق ويدعو إليه ويتمسّـك به، فإن استجاب محاوره فبهـا ونعمت، وإلا أعلن ما وجّهنا إليه ربنا سبحانه وتعالى في قوله: ((وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ))[471]. فالمحاور الناجح شخص متزن لا يتعـصب ولا يتعـالى علـى محاوره "[472].

ومن المظاهر الدالة على التزام الموضوعية في الحوار: عدم الخروج عن الموضـوع الذي هو محل النزاع أو الخلاف، فإن آفة كثير من الناس أنهم إذا ناقشوا غيرهم في موضـوع معين، تعمدوا أن يسلكوا ما يسمّى في هذه الأيام بخلط الأوراق، بحيث لايدري المستمعون في أي شيء هم مختلفون مع غيرهم، وتتوه الحقيقة في خضم هذه الفروع التي لا تكاد تعرف لهـا أصلاً. إن في القـرآن الكـريم كثيـراً من المحـاورات والخـلافات التي دارت بين الرسـل – عليهم السلام – وبين أقوامهم، وكان جواب الرسل –عليهم السلام- عـن أسـئلة مخـالفيهم

([469]) آل عمران: { 32 }.

([470]) الحمادي،علي، **منهجية التعامل مع الشبهات وقواعد دحضها**، دار ابن حزم، بيروت، ط1، (1420هـ-1999م)، ص (78، 79)، بتصرف.

([471]) الكهف: { 29 }.

([472]) عبيد، منصور الرفاعي، **الحوار "آدابه وأهدافه"**، مركز الكتـاب للنـشر، مـصر، ط1، (1424هـ - 2004م)، ص(30).

منتزعاً من أقوال هؤلاء المخالفين، دون أي خروج عن موضوع النزاع. فهاهو ذا نوح – عليه السلام- ردّ على قومه قائلاً: ((يا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿61﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)) (473) وأعداء الحق جادلوا النبي-صلى ا عليه وسلم – في كثير من القضايا، وساق القرآن شبهاتهم بأمانة، ثم لُقّن النبي -عليه الصلاة والسلام – الجواب الذي يقطع دابر هذه الشبهات، وكان هذا الجواب منتزعاً من واقع كلامهم، دون أي خروج عن موضوع الخلاف بينه وبينهم.

لقد حكى القرآن الكريم جانباً من هذه الشبهات وردّ عليها بما يزهقها، قال تعالى: ((وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴿28﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿29﴾)) (474) وقال أيضاً: ((وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿77﴾ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ)) (475) فهذه الآيات على سبيل المثال، فيها الإجابة على شبهات الضالين، وفيها الردّ الحاسم، والقول الفصل، دون خلط للأوراق، ودون خروج عن موضوع الخلاف (476)." فالتعصب هو عدم قبول الحق عند ظهور الدليل، والمحاور المسلم طالب حق لا يتعصب لشخص معين، ولا لفئة معينة، ولا لرأي معين، فإذا حاورت أو ناظرت، فلا تتعصب ودر مع الحق حيث دار" (477).

---

(473) الأعراف: { 61، 62 }.

(474) الأعراف: { 28، 29 }.

(475) النساء: { 77، 78 }.

(476) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(23، 25)، بتصرف، (مرجع سابق).

(477) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(62)، (مرجع سابق).

المطلب الثاني

إبراز الحقائق الثابتة في الحوار

"أوجب الإسلام على الأطراف المشاركة في الحوار توخي الصدق والتثبت من صحة ما يقال، وهي مسؤولية مشتركة بين المتحدث من جانب والمتلقّي من جانب آخر، أما مسؤولية المتحدث فهي: أن يتحرى الصدق فيما يقول، وألاّ يتحدث بما لا يملك دليلاً على صدقه، وأن يستقي معلوماته من مصادر موثوق بها. وأما مسؤولية المتلقّي فهي: ألاّ يأخذ كل ما يقال له مأخذ التسليم، وإنما يقوّمه في ضوء مجموعة من المعايير منها: شخصية المتحدث، وأخلاقه، وسيرته بين الناس، وعلمه، ومدى توافق الأفكار المطروحة مع الحقائق الثابتة والموثوق بها، ومدى قوة الحجج والبراهين التي تدعم ما يقال " [478].

قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿6﴾)) [479]. وقال أيضاً: ((قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)) [480]. "إن أسلوب مقارعة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان من الأساليب الإقناعية القديمة، جاء استخدامها في القرآن الكريم ضد الكفار والمشركين، وعلى لسان الأنبياء –عليهم السلام-، وحينما نمعن النظر في الحوار القرآني نجد أنه بعد ثبات الاقتناع المرتكز على الحجج والبراهين، لا يجعل ذلك الاقتناع سدّاً منيعاً في وجه الخصوم، بل يعطيهم فرصة أخرى لطرح أفكارهم القائمة على حجج أخرى وأدلة جديدة " [481]. قال تعالى ((وَاسُتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءاً إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿25﴾)) [482] وأجاب

([478]) اللبودي، **الحوار " فنياته واستراتيجياته"**، ص(33)، (مرجع سابق).

([479]) الحجرات: { 6 }.

([480]) البقرة: { 111 }.

([481]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(152)، (مرجع سابق).

([482]) يوسف: { 25 }.

يوسف –عليه السلام –يرد عن نفسه التهمـة الباطلـة قـائلاً: ((هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي)) [483] "وحضر عدد من أقرباء الزوجة ورأوا قميصه ممزقاً، وهو الدليل الذي أرادت أن تتـذرّع بـه، حيث زعمت أنها مزقته دفاعاً عن نفسها، لكن أحد أقربائها شهد بالحق، قـال تعـالى: ((وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ ﴿26﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ ﴿27﴾)) [484] وأقبل العزيز يتفحّص قمـيص يوسـف – عليـه السلام -.

((فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿28﴾)) [485]. وهكـذا قيض ا ليوسف حجة ودليلاً قاطعاً على براءته " [486]. إن العقلاء دائماً عنـدما تتـضح لهـم الحجة، ويظهر لهم البرهان، ويرون الدليل الساطع على صحة المسألة، يقتنعون بذلك ويعترفون بالحق، أما السفهاء والجهلاء فإنهم يصرون على باطلهم، ويجحدون الحق عن علم بـه، لـسوء نواياهم وضعف عقولهم وهذا ما حكاه القرآن العظيم في الحوار بين موسى – عليه الـسلام – وسحرة فرعون، فقد قبلوا التحدي من موسى – عليه السلام- أول الأمر ((يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿65﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿66﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ﴿67﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى ﴿68﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿69﴾)) [487]. وألقى موسى – عليه السلام – عصاه، فابتلعت سحرهم وأيقن السحرة أن ما فعله موسى -عليه السلام – إنما هو معجزة وليس سحراً، وأنه رسول من ربّ العالمين، وأن حجته هي الأعلى، فما كان

([483]) يوسف: { 26 }.

([484]) يوسف: { 26، 27 }.

([485]) يوسف: { 28 }.

([486]) النحلاوي، عبد الرحمن، **التربية بالحوار**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، (1421هـ-2000م)، ص(43).

([487]) طـه: { 65 – 69 }.

منهم بعد أن اقتنعوا بالحق إلا أن قالوا بكل شجاعة وإخلاص: ((آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى))[488] وردّوا على فرعون الذي هدّدهم بأن يقطع أيديهم وأرجلهم من خـلاف ((إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿ 73 ﴾)) [489]. "وهكـذا ضـرب سـحرة فرعون أروع الأمثلة في الإخلاص والشجاعة والخضوع للحق بعد قيام الأدلة الساطعة على أن موسى - عليه السلام – على الحق " [490]. فلا بد من الاعتماد على الأدلة البرهانية التي تقوم على الحقائق التي تدركها العقول السليمة وتذعن لها القلوب المستعدّة للاعتراف بـالحق، وهـي القلوب التي لم تطمس بصيرتها الأهواء والشهوات، ونـوازع الجحـود والإنكـار، وعوامـل الاستعلاء والاستكبار، فعلى المحاور الناجح أن يبحث عن الأدلة البرهانية والحجج الصحيحـة التي هي حقـائق في ذاتها، ثم يسـتدل بها لإقناع من يدعـوه إلى دين ا – عـز وجـل -، وعليه أن يختار منها ما يلائم مدارك من يدعوه، ومستواه العلمي وحالته النفسية. فإذا احتاج إلى تبسيط الأدلة وتيسيرها، بسّطها له ويسّرها، وتسلسل معه فيها وفق النظام العقلي الذي فطـر ا عقول الناس عليه.

وإذا رأى أن لدى فكرمن يدعوه أغشية لا تسمح له برؤية الحقيقة حاول إزالتها برفـق، حتى تنجلي بصيرة فكره. وإذا وجد لديه مسلّمات يراها حقائق،وهي تناقض ما يريد إقناعه بـه حاول برفق أن يكشف له بطلان هذه المسلّمات بالحجج الصحيحة التي يقبلها. وبعد أن يزلـزل اعتقاده بمسلّماته يقدّم له الأدلة الدامغة التي تنتهي مراحلها بإثبات القضية التي يريد أن يـدعوه إليها فلا يجوز للمحاورأن يحتج بأدلة خرافيةأو واهية لإثبات القضية التي يدعوإليها [491].

---

(488) طـه: { 70 }.

(489) طـه: { 73 }.

(490) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(27)، (مرجع سابق).

(491) الميداني، **فقه الدعوة إلى ا** ، ج1، ص(303)، بتصرف، (مرجع سابق).

" لقد حاربت شريعة الإسلام الإشاعات الكاذبة التي ينشرها المتحاورون مع غيرهم عن سوء نية، بوسائل متعددة وأساليب مختلفة. حاربتها بتغليب حسن الظن على سـوء الظن، قـال تعالى: ((لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿ 12 ﴾)) [492]. حاربتها عن طريق ردّ الأمور إلى مصادرها الأصلية، وسؤال أهل الـذكر عمـا يخفـى فهمه، امتثالاً لقوله سبحانه: ((وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴿ 7 ﴾)) [493]، وقوله سبحانه: ((وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿ 83 ﴾)) [494].

حاربتها بالمنطق السليم، وبالحجة القاطعة، وبالدليل العملـي الناصـع، فعنـدما أشـاع المنافقون في غزوة أحد، أن الذين قتلوا في هذه الغزوة لو أنهم بقوا في بيوتهم لمـا قتلـوا، ردّ القرآن الكريم عليهم بما يخرس ألسنتهم: ((قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ)) [495]. إن الحوار الذي يقوم على الحقائق الثابتة والمعلومـات الـصادقة والأخبـار الصحيحة يباركه ا - عز وجل -، ويثيب أصحابه ببركة تعاونهم على البر والتقوى لا علـى الإثم والعدوان" (5). أما الحوار الذي يبنى على الإشاعات والأراجيف الباطلة، فإن نتيجته الخيبة والخسران، لأن سنة ا اقتضت أنه لا يصح في النهاية إلا الصحيح." لذا يجمـل بالمنـاقش أن يعزو الأفكار إلى مصادرها، وأن يستعينبذكر الإحصائيات التي تخدم رأيه، والمراجع التي اعتمد عليها، فسوق الحقائق المجرّدة أقل تأثيراً في النفوس من سـوقها مدعمـة بالـشواهد المعتمـدة

([492]) النور: { 12 }.

([493]) الأنبياء: { 7 }.

([494]) النساء: { 83 }.

([495]) آل عمران: { 154 }.

(5) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(52، 53)، (مرجع سابق).

سواء من الكتاب والسنة، وأقوال العلماء إذا كانت مما لـه صـلة بهـا، أم مـن أقـوال أهـل الاختصاص المعتمدين الموثوقين، كالنقل عن أساطين الطب في مسائل الطب، أو تدعيم الكـلام بذكر مرجعه من أمهات الكتب.

ويحسن بالمحاور أن يترك النقول الضعيفة، والحجج الواهية، فدليلان قويـان لا يمكـن الرد عليهما أفضل من سوقهما مع ثلاثة أدلة أخرى يمكن الأخذ والرد فيها، إذ ربمـا يـستغلها الطرف الآخر لإضعاف الفكرة. إن خير وسيلة لكسب الطرف المقابل ألاّ تقرره بالحقيقة ابتداء، بل عرضها عليه، ثم الاستدلال لها، تجدالمحاور الآخر في النهاية يقرّ بها من تلقاء نفسه " [496].

(496) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(157، 158)، (مرجع سابق).

المبحث الثالث

الرفق واللين في الحوار

تمهيد:

"إن إظهار الحق وإيصاله للآخرين وإقناعهم به ودحض شبهاتهم وأباطيلهم يحتاج إلى معرفة طبيعة النفس البشرية، وما يصلح لها وما يسوؤها. ومن أهم سمات النفوس أنها تميل إلى اللين والملاطفة والتعامل بالحسنى، وتنفر من الشدة والإذلال والإفحام، إذ إن لها كبرياء، فمن أكرمها فأنه يستطيع أن يقودها وأن يسيّرها كيفما شاء، ومن خدش كبرياءها، فلن يظفر منها بطاعة ولا تصديق ولا انقياد، ولا يلومنّ بعد ذلك إلا نفسه !

لذا فمن أراد أن يمسح الشبهات من عقول الناس، أو أراد أن يدحضها، فعليه أن يلج إلى ذلك بالحسنى، وأن يتجنّب العنف والشدة والتحدي" [497].

ولا شك أن القلوب تميل إلى من يلين ويرفق بها، وتنفر الطبائع البشرية من الفظّ الغليظ حتى لو كان خير الناس! كما قال الله -عزوجل -: ((وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ))[498]. والمحاور الناجح في أمسّ الحاجة إلى التفاف الناس حوله، وتحلّيه بالرفق واللين يساعد في تحقيق ذلك. إلى جانب ذلك، فقد ينشأ عند كثير من الناس نفور تجاه المحاور بسبب دعوته، وذلك إذا خالف رغبات كثير منهم أوعارض شهواتهم، لكنّ اتصافه بالرفق يساهم – بعون الله تعالى – في إزالة أو تقليل هذا النفور.

([497]) الحمادي، **منهجية التعامل مع الشبهات**، ج2، ص(14)، (مرجع سابق).

(498) آل عمران: { 159 }.

هذا وقد جاء في القرآن الكريم والسنة المطهّرة ما يبين ضرورة تحلّي المحـاور الداعية بالرفق، وقدّم إمام الدعاة محمد – صلى ا عليه وسلم – نموذجاً مثالياً لاسـتخدام الرفـق فـي الحوار، وأكّد كثير من علماء الأمة على ضرورة اتصاف المحاور بالرفق واللين [499].

(499) إلهي، فضل، **من صفات الداعية "اللين والرفق"**، مكتبة المعـارف، الريـاض، ط1، (1411هـ - 1991م)، ص(3)، بتصرف.

المطلب الأول

أهمية الجدال بالتي هي أحسن في المحاورة

أمر ا - عزوجل - نبيّه - عليه الصلاة والسلام - أن يجادل الآخرين بـالتي هـي أحسن حيث قال: ((ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)) [500].

والمجادلة بالتي هي أحسن: "هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غيـر فظاظـة ولا تعنيف" [501].

ويقول جلّ ذكره مخاطباً موسى وهارون -عليهما السلام- ((اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿43﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿44﴾))[502]، " فإذا كـان موسـى وهـارون -عليهما السلام - أمرا بأن يقولا لفرعـون قولاً ليّنـاً، فمن دونه أحرى بأن يقتـدي بذلك فـي خطابه، وأمره بالمعروف في كلامه " [503]، " وفي تليين القول ما يكسر سـورة عنـاد العتـاة ويلين عـريكة الطغاة " [504]، فهذا محمد -صلى ا عليه وسـلم- أمـره ربـه أن يجـادل المعـاندين بالحسنـى، مع أنهم أساؤوا إليه وكذبوه وآذوه !

إن المحاور المنصف يناقش باللطف والأناة والهـدوء، ومن الأشياء التي تفتـح مغاليق النفـوس، ألاّ تسفّه آراء محاورك، وأن تظهر له الاحـترام ولو كان على غير رأيك [505].

قال تعالى: ((وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ))[506]. فعلـى المسلم أن لا يسـلك مع خصومه، مسالك الشتم أو الطعن أو الفحش.

([500]) النحل: { 125 }.
([501]) الزمخشري، **الكشاف**، ج2، ص(435)، (مرجع سابق).
([502]) طه: { 43، 44 }.
([503]) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج11، ص(200)، (مرجع سابق).
([504]) أبو السعود، **تفسير أبي السعود**، ج3، ص(362)، (مرجع سابق).
([505]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(72)، بتصرف، (مرجع سابق).
([506]) الأنعام: { 108 }.

والمحاور الناجح هو الذي يتمثّـل قوله تعالى: ((وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً)) [507] "وفـي هـذا حث على مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قوله ليناً، ووجهه منبسطـاً طلقـاً مع البـر والفاجروالسنّيّ والمبتدع من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم بكـلام يظـن أنـه يرضـي مذهبه" [508]. "فالمحاور مطالب أن يشعر من يدعوه بأنه لا يتعالى عليه أو يتميز دونه، بل هـو حريص عليه يتمنى له كل الخير، لأن حرص المحاور مفتاح من مفاتيح القلوب التي يفـتح ا بها قلب من يحب من عباده، ولنا في رسول ا –صلى ا عليه وسلم- الأسوة الحسنة فقد كان ينفطر على حال المشركين بعد محاورتهم" [509]: ((فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً ﴿6﴾)) [510]، ومن مظاهر الرفق واللين في الحـوار عـدم مقابلـة الخطـأ والزلل بمثله قال تعالى: ((وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿34﴾)) [511]. "فالواجب على المحاور العاقل: توطين النفـس علـى لزوم العفـو عن الناس كافة، وترك الخروج لمجازاة الإساءة، إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسن من الإحسـان، ولا سبب لنماء الإساءة وتهييجها أشدّ من الاستعمال بمثلها " [512]، فالإسـلام يعتبر الكلمـة الطيبة صـدقة كما في الحـديث الشـريف الذي يرويه أبو هريرة – رضي ا عنه: "الكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عـن الطريـق صدقة" [513]، "فالقول الحسن محمود على كل حال،في الرضا والغضب، ومع العـالم والجاهـل، ومع المسلم وغير المسلم، ومع التقي والفاجر، ومع الصغير والكبير على حدّ سواء " [514].

([507]) البقرة: { 83 }.

([508]) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج2، ص(86)، (مرجع سابق).

([509]) عبد العزيز، جمعة أمين، **الدعوة (قواعد وأصول)**، دار الدعوة للطباعة، الإسكندرية، ط2، (1409هـ - 1989م)، ص(133).

([510]) الكهف: { 6 }.

([511]) فصلت: { 34 }.

([512]) ابن حبّان، أبو حاتم محمد بن معاذ، **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، تحقيق: محـمد محيي الـدين عبـد الحمـيد وآخـرين، دار الكـتب العلـمية، بـيروت، (1379هـ -1977م)، ص(166).

([513]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب الزكاة**، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم الحديث (1009) ج2، ص(699)، (مرجع سابق).

([514]) ديماس، **فنون الحوار**، ص(88)، (مرجع سابق).

وأكـّد الرسول –صلى ا   عليه وسلم- على أهمية تحلّي المسلم بالـرفق، فعن عائشـة – رضي ا   عنها - قال رسول ا   – صلى ا   عليه وسلم -: " إن الرفق لا يكون في شـيء إلا زانه ولا ينزع عن شيء إلا شانه " [515]. وفي هذا حث على الابتعاد عن التحدي في الحوار والجدال والمناقشة، ولو كان بالحجة الدامغة والدليل المبين، لأن التحدي يجعل صاحبه مبغوضاً للآخرين، فكسب القلـوب أهم من كسب المواقف، ثم إن المحاور قد يفحم الخصم، ويعجزه عن الجواب، ولكنـه لا يقنعه، لأنه أحرجه، فيرفض التسليم بعاطفته وإن كان مقتنعاً بعقله. أمـا إذا كـان المحاور ليّناً ولطيفاً فإنه سيقنع خصمه إن عاجلاً أو آجلاً، فإذا انتهى مما يريـد قولـه، وأدلى بدلوه، فإن الطرف الآخر سيقتنع برأيه. فالهدف من الحوار هو الوصول إلى الحق، وليس إفحام الآخرين وإسكاتهم، لأن ذلك قد يسكن الخصم أو الطرف الآخر،ولكنه لا يقوده إلى الهداية، فضلاً عما يتركه الإفحـام –إذا كان أمام الآخـرين- في نفسه من حقد وغيظ. فالداعية الحكيم يحاول استلال ما في قلوب الآخرين مـن غـيظ، وأن يقـودهم إلـى الهدايـة [516]. وعلـى المتحـاورين أن يحـرصا على تجنّب الألفـاظ المـستحدثة التـي تحتمـل حقـاً وبـاطلاً وخطأوصواباً. وعليهما أن يحرصا على استعمال الألفاظ الشرعية المستعملة في القرآن والـسنة وعند علماء المسلمين، لأن هذه الألفاظ تكون محدّدة المعنى واضحة المفهوم خالية من أي معنى باطـل. قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا[517] وَقُولُواْ انظُرْنَا[518] وَاسْمَعُواْ وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ 104 ﴾)) [519]. فـفي كلمـة (راعنا) في لسـان اليهود معنـى باطـل كـانوا يقصدونه عند مخاطبتهم رسـول ا   -صلى ا   عليه وسلم- فأمر ا   المسلـمين أن يتركوهـا وأن يستعملوا كلمة (انظرنا) بدلاً منها، فإذا اضطر المحاور إلى بعض الألفاظ المستحدثة فعليـه أن يبين مقصوده منها، حتى لا تثير الكراهية والحقد بين المتحاورين [520].

([515]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب**، باب فضل الرفـق، رقـم الحـديث(2594)، ج4، ص(2004)، (مرجع سابق).

([516]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(73)، بتصرف، (مرجع سابق).

(517) راعنا: استمع منا، حرّف اليهود هذه اللفظة، وقالوا: يا محمد راعنا، وهم يلحدون إلى الرعونة يريدون بها النقيضة والوقيعة.

(518) انظرنا: تمهل كي نفهم ونستوعب جميع الكلام.

* مغنية، محمد جواد، **التفسير الكاشف**، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، (1981م)، مج1، ص(166).

([519]) البقرة: { 104 }.

([520]) زيدان، عبد الكريم، **أصول الدعوة**، مؤسسة الرسالة، ط2، (1407هـ - 1987م)، ص(471،472)، بتصرف.

المطلب الثاني

الرفق في حوار الأنبياء – عليهم السلام – مع أقوامهم

إنّ الرفق سمة واضحة في دعوة الأنبياء –عليهم السلام- لأقوامهم، فما من نبي بعث إلا ودعا قومه وحاورهم بالتي هي أحسن، فهاهو ذا شعيب –عليه السلام-يحاور قومه بكل رفق قائلاً ((يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)) [521]، فهذا تلطف منه في العبارة ودعوة لهم إلى الحق بأبين إشارة. يقول لهم: أرأيتم أيها المكذبون "إن كنت على بينة من ربي "ورزقني النبوة والرسالة، وعمّي عليكم معرفتها، فأي حيلة لي فيكم ؟ ولست آمركم بالأمر إلا وأنا أول فاعل له، وإذا نهيتكم عن الشيء فأنا أول من يتركه [522].

"فهو يتلطّف معهم ليشعرهم أنه على بينة من ربه، وأنه على ثقة مما يقول لهم، وأنه يدعوهم إلى الأمانة في المعاملة،سيتأثر مثلهم بنتائجها،لأنه ذو مال وعلاقات تجارية،فهو لا يبغي كسباً شخصياً من وراء دعوته لهم، فلن ينهاهم عن شيء ثم يفعله لينفرد بالكسب وحده ! إنما هي دعوة الإصلاح للناس أجمعين بكل حكمة وروية ولين" [523].

"وهاهو يوسف –عليه السلام- لم يغفل عن الدعوة لدينه مع أنه في السجن، بل استغل الموقف، وأخذ يشرح في تلطف ولين ورفق دعوته مستغلاً الموقف أحسن استغلال، مدركاً لطبيعة البيئة ومداخل النفوس فيها، وبيّن العلاقة بينه وبين صاحبي السجن وأنه لا يريد إلا مصلحتهما، بعد أن علما سيرته ومبلغ علمه" [524].

([521]) هود: { 88 }.

([522]) ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ص(246، 247)، بتصرف، (مرجع سابق).

([523]) النحلاوي، **التربية بالحوار**، ص(66)، (مرجع سابق).

([524]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(91)، (مرجع سابق).

قـال تعالى ((يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿39﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿40﴾)) [525].

"لقد رسم يوسف –عليه السلام- بهذه الكلمات القليلة الناصعة الحاسمة كل معـالم هـذا الدين وكل مقومات هذه العقيدة، كما هزّ بها كل قوائم الشرك والطاغوت والجاهلية هزّاً شـديداً عنيفاً ((يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿39﴾))[526]، إنه يتخذ منهما صاحـبين ويتحبب إليهما بهذه الصفة المؤنسـة ليدخل من هذا المدخل إلى صـلب الدعـــوة وحسم العقـيدة " [527]. ومن صـور الرفـق في حـوار الأنبياء –عليـهم السـلام- لأقوامهم تلك التوجيهـات السـديدة التي يلقنها القـرآن الكـريم للنبي-صلى ا عليه وسلم- آمراً إيـاه أن يقولها لقومـه بكل تواضع وشجـاعة وحكمـة فيقول: ((فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿15﴾)) [528]. ويضيف أيضاً ((قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿24﴾ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿25﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿26﴾))[529]. "إن الحوار أو الجدال الذي يدور بين الناس، إذا كان يقوم على التواضع ولين الجانب، وعلى الأسلوب المهذّب الخالي من كل مالايليق، كانت نتائجه طيبـة وآثـاره حميـدة، لأنه يوصل إلى الحقيقة المرجوة، وإلى الاتفاق ولو على معظم المسائل التـي دار مـن أجلهـا

([525]) يوسف: { 39، 40 }.

([526]) يوسف: { 39 }.

([527]) **المرجع السابق**، ص (93).

([528]) الشورى: { 15 }.

([529]) سبأ: { 24-26}.

الحوار. أما الحوار أو الجدال الذي يكون مبعثه الغـرور والتعالي والتبـاهي بـالأقوال، فمـن المستبعد أن يأتي بنتيجة توصل إلى الحقيقة أو إلى اتفـاق على ما ينفع، وإنما المتوقع من هـذا الحوار الذي سداه الغرور، أن تتولد عنه الآثام والشرور"[530]. وهكذا نتيقن أن الرفـق يـزين الحـوار ويقوده إلى نتائج طيبة وثمـار ناضجة، أسوتنا في ذلك الرسل الكرام –عليهم الـصلاة والسلام-.

([530]) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(30)، (مرجع سابق).

المطلب الثالث

المداراة في الحوار

"المداراة خلق من أخـلاق النبوة، يحكِمها الأذكياء، ولا يتعدّى حدودها الفضلاء، وهـي ترجع إلى حسن اللقاء، وطيب الكلام والتودّد للناس وتجنّب ما يشير بسخَط مـن غيـر ثـلْم للدين"[531]. فعن عائشة –رضي الله عنها- أنه استأذن على النبي- صلى الله عليه وسلم- رجـل فقال: "ائذنوا له، بئس أخو العشيرة" فلما جلس تطلّق له النبي- صلى الله عليـه وسـلم - فـي وجهه، وانبسط إليه، فقلت: " يارسول الله ، قلـت ما قلت، ثم ألنـت لـه القـول ؟! " فقـال: " ياعائشة، إن شرّ الناس منزلة عند الله من تركه-أو ودعه- الناس اتقاء فحشه " [532].

"فالواجب على العاقل أن يداري الناس مداراة الرجل السابح في المـاء الجـاري،ومن ذهب إلى عشرة الناس من حيث هو كدّر على نفسه عيشه، ولم تصف لـه مـودّته، لأن وداد الناس لا يستجاب إلا بمساعدتهم على ماهم عليه إلا أن يكون مأثماً، فإذا كانت حالة معصية فلا سمع ولا طاعة، والبشر قد ركّب فيهم أهواء مختلفة وطبائع متباينة، فكما يشقّ عليك تـرك مـا جبلت عليه، فكذلك يشق على غيرك مجانبة مثله، فليس إلى صفو ودادهم سبيل، إلا بمعاشـرتهم من حيث هم، والإغضاء عن مخالفتهم في الأوقات. ومن التمس رضا جميع الناس، التمس مـا لايدرك، ولكن يقصد العاقل رضا من لايجد من معاشرته بدأ، وإن دفعه الوقت إلـى استحـسان أشياء من العـادات كان يستقبحها، واستقباح أشياء كان يستحسنها، ما لم يكن مأثماً، فـإن ذلـك من المداراة، وما أكثر من دارى فلم يسلم، فكيف توجد السلامة لمن لا يـداري " [533]." ومـن المداراة إذا حدّث محاورك بكلام غـريب ألا تبادر إلى تكذيبه، وتفنيد قوله، فهـذا الـصنيع لا

([531]) الحاشدي، **فن الحوار**، ص(233)، (مرجع سابق).

([532]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب**، باب: مداراة من يتقـى فحـشه، رقـم الحـديث (2591)، ج4، ص(2002)، (مرجع سابق).

([533]) ابن حبان، **روضة العقلاء**، ص(70،71)، (مرجع سابق).

يحسن أبداً، وليس من صفات أكابر الرجال، لأن هؤلاء يتغاضون عن خطأ محاورهم ويتعامون عن زلته، وإذا كان الخطأ كبيراً، فإنهم يبيّنون له الخطأ، ويرشدونه إلى الصواب بأجمل عبـارة وألطف إشارة " [534].

وعلى المحاور في هذا المقام أن يميز بين المداراة والمداهنة في مخاطبة الناس، وفـي ذكر محامدهم، وإظهار فضائلهم، فلا يظن ظانّ أن الرفق واللين والمداراة في الحـوار تعنـي المداهنة حيث يلقى الفاسق المعلن بفسقه فلا ينكر عليه ولو بقلبـه، فالمداهنـة فـي الحــوار محـرّمة، وهي ما رغـب مشركو قريـش في وجـودها عنـد النبــي -صـلى الله عليـه وسلم- قال جـلّ ثنـاؤه في معـرض ذم أولئك: ((وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿9﴾)) [535] وبيّن الرسـول -صلى الله عليه وسلم- سـوء عـاقبة المـداهن، فقـد قـال النعمـان بن بـشـير -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: " مثل المـدهن فـي حـدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة، فصار بعضهم في أسفلها، وصار بعضهم في أعلاها. فكان الذين في أسفلها يمرّون بالماء على الذين في أعلاها، فتأذّوا به، فأخذ فأساً فجعل ينقـر أسـفل السفينة، فأتوه، فقالوا: مالك ؟ قال: تأذيتم بي ولا بدّ لي من الماء. فإن أخذوا على يديـه أنجـوه ونجّوا أنفسهم، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم" [536]، فالمقصود من اتصاف المحاور بـاللين والرفـق أن تكون دعوته خالية من العنف والخشونة والشدة والقسوة، بعبارة أخـرى أن تكون عنده مـداراة [537]. وهذا ما يظهـر في قـوله تعـالى لموسى وهارون -عليهما السـلام- عند دعوة فرعون "فقولا له قولاً ليناً" [538] بأن يدارياه ويرفقا به [539]. "ومن هنـا يظهر الفرق جلياً

([534]) الحاشدي، **فن الحوار**، ص(234)، (مرجع سابق).

([535]) القلم: { 9 }.

([536]) البخاري، **صحيح البخاري، كتاب الشهادات**، باب: القرعة في المشكلات، رقم الحـديث (2686)، ج3، ص(237)، (مرجع سابق).

([537]) إلهي، **اللين والرفق**، ص(8، 9)، بتصرف، (مرجع سابق).

([538]) طه: { 44 }.

([539]) البغوي، **تفسير البغوي**، ج3، ص(219)، (مرجع سابق).

بين المداراة والمداهنة: فالمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليـم، وبالفـاسـق في النهي عـن فعله، وترك الإغـلاظ عليه حيث لا يظهـر ما هو فيه، والإنكارعليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألّـفه، ونحو ذلك. والمداهـنة من الدهان: وهو الذي يظهر على الـشيء، ويستر باطنه، وفسّرها العلماء بأنـها "معاشرة الفاسق، وإظهار الرضا بما هو فيـه مـن غيـر إنكار عليه"[540].

وصفوة القول: يجوز للمحاور أن يستعمل في كلماته وخطاباته ما يثير رغبـة محدّثـه، ويشدّه إلى تقبل الحق، ويدفعه إلى الالتزام به. وذلك بنداءات ليّنة، ومخاطبـات تـشويقية لهـا إيحاءاتها المؤثرة على المشاعر، وآثارها المباركة على القلوب. على أن يلتزم المحاور حـدود الاعتدال والاتزان في كل ما يطرحه من نداءات واستعطافـات، بـلا مبالغـة ولا شـطط ولا مداهنة، إلا ما أباح له الشرع في إطار التقية والمداراة ما استطـاع أن يأسر قلب خصمه، وأن يصل إلى ما يريد من إصلاح نفسه وتغذية فكره.

فالواجب على المحاور الناجح أن يحرص عند محاورته مع الآخرين أن يكـون المثـل الأعلى في الملاطفة والمجاملة ليصل إلى النتيجة المرجوة التي يريد الوصول إليها[541].

([540]) العسقلاني، **فتح الباري**، ج10، ص(528)، (مرجع سابق).

([541]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(137، 138)، بتصرف، (مرجع سابق).

الفصل الرابع

الحوار الحضاري من منظور قرآني

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: حوار الحضارات في ضوء قوله تعالى " وجعلناكم شعوباً..".

المبحث الثاني: منطلقات حوار الحضارات.

المبحث الثالث: أهداف حوار الحضارات.

المبحث الرابع: حوار الحضارات بين التفاعل الحضاري والخصوصية الحضارية.

الحوار الحضاري من منظور قرآني

تمهيد:

الحضارة في اللغة: من الفعل الثلاثي "حضر" بمعنى أتى، والحِضارة الإقامة في الحضر، وكان الأصمعي يقول: الحَضارة بالفتح [542]. والحضَر خلاف البدو[543].

والحضارة عند ابن خلدون: "هي التفنن في الترف واستجادة أحواله والكلف بالصنائع التي تؤنّق من سائر فنونه وأصنافه، ومن الصنائع المهيئة للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفُرش أو الآنية ولسائر أحوال المنزل... وإذا بلغ التأنق في هذه الأحوال المنزلية الغاية تبعه طاعة الشهوات، فتتلوّن النفس من تلك العوائد بألوان كثيرة لا تستقيم حالها معها في دينها ولا دنياها " [544]. وتعرّف الحضارة بأنها:" كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه،عقلاً وخلقاً،ومادة وروحاً،دنيا وديناً. فهي قصة الإنسان في كل ما أنجزه على اختلاف العصور وتقلب الأزمان. فهي بهذا المعنى أعم من الثقافة التي تطلق على الجانب الروحي أو الفكري من الحضارة، بينما تشمل الحضارة الجانبين الروحي والمادي"[545]. "فهي في إطلاقها وعمومها – قصة الإنسان في كل ما أنجزه على اختلاف العصور وتقلب الأزمان، وهي – في تخصيصها بجماعة من الناس أو أمة من الأمم – تراث هذه الأمة أو الجماعة على وجه الخصوص، الذي يميزها عن غيرها من الجماعات والأمم " [546]. ونقصد بالحوار الحضاري: "طبيعة العلاقة بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات الأخرى بعامة والحضارة الغربية الحديثة بخاصة حواراً وصراعاً " [547].

([542]) الجوهري، **الصحاح**، ج2، ص(632)، مادة (حضر)، (مرجع سابق).

([543]) ابن منظور، **لسان العرب**، ج4، ص(197)، مادة (حضر)، (مرجع سابق).

([544]) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة العلامة ابن خلدون**، دار الفكر، ص(372)، (د. ت).

([545]) حسين، محمد محمد، **الإسلام والحضارة الغربية**، ص(6)، (د. ن)، (د.ت).

([546]) الكروي، إبراهيم سلمان، **المرجع في الحضارة العربية الإسلامية**، مركز الإسكندرية للكتاب، (1999م)، ص(13).

([547]) الإبراهيم، موسى إبراهيم، **حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل**، دار الإعلام، عمان، ط1، (1423هـ - 2003م)، ص(210).

"وقد تحدّث القرآن الكريم عن حضارات قامت وأفلت، وبيّن ما لها وما عليها، ومعلوم أن الإسلام لايبخس الحضارات حقها فيما أنجزت من عمران وتشييد وبناء، ولكنه يؤكد على أن الجانب القيمي والأخلاقي هو الذي يحفظ إنسان الحضارات ويجعل عنده المناعة والرشد الذي يقيه التدهور" [548].

فالميزان الذي يزن به الإسلام الحضارات هو مدى قربها أو بعدها من عقيدة التوحيد، ومن قوانين الحق والفطرة، والتزامها بقيم العدل والقسط، وحضها على محاسن الأخلاق وجميل العادات والآداب، وبعدها عن جرائم الظلم والتسلّط والكبر، ويرى الإسلام أن الأسرة البشرية لحمة واحدة تجمعها آصرة مشتركة، وأن التعدد والتنوع بين الأمم والقبائل والشعوب غايته التعارف والتعاون لا التنابذ والتخاصم، قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴿ 1 ﴾)) [549] ويأمرا تعالى بالتعاون والتآزربين الناس فيقول: ((وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)) [550].

فالقرآن الكريم يضع البشرية كلها في إطار من التفاهم والدعوة إلى المثل العليا والقيم الكريمة التي تجمع بين بني الإنسان على كلمة سواء كثيرة ومتعددة [551]. " فالحوار قيمة من قيم الحضارة الإسلامية المستندة أساساً إلى مبادىء الدين الحنيف وتعاليمه السمحاء، وهو موقف فكري وحالة وجدانية، وهو تعبير عن أبرز سمات الشخصية الإسلامية السوية، وهي سمة التسامح، لا بمعنى التخاذل والضعف بوازع الهزيمة النفسية، ولكن بمعنى الترفع عن الصغائر، والتسامي على الضغائن، والتجافي عن الهوى والباطل " [552].

---

(548) العسّال، أحمد محمد، **مفاهيم أساسية في فقه الدعوة والتجديد**، تحقيق: عبد الحميد قطب، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، (1418هـ - 1997م)، ص(125).

([549]) { النساء: 1 }.

([550]) { المائدة: 2 }.

([551]) **المرجع السابق**، ص(126، 127)، بتصرف.

([552]) التويجري، عبد العزيز بن عثمان، **الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي**، مجلة الإسراء، فلسطين، ع20،(1419هـ - 1998م)، ص(75).

المبحث الأول

حوار الحضارات في ضوء قوله تعالى: ((وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا))[553]

لقد حضّ القرآن العظيم على التعارف بين الناس في أي زمان أو مكان وهذا واضح في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿13﴾)) فالله –عـز وجـل- يبين أن الناس أصلهم واحد، فالذكر آدم والأنثى حواء، وجعلهـم متناسبين، فبعضهم يناسـب بعضاً نسباً بعيداً، وبعضهم يناسـب بعضـاً نسباً قريباً، ليعرف بعضهم بعضاً في قرب القرابة منـه وبعـده، ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)) أي: "إن أفضلكم عند الله وأشـدكم اتقاء له وخشية بأداء فرائضه، واجتناب معاصـيه،لا أعظمكم بيتاً، ولا أكثركم عشيرة، والله عليم بظواهركم وبواطنكم، وبالأتقى مـنكم والأكـرم، لا تخفى عليه خافية " [554].

فحينما يحمل المسلمون رسالة الإسلام الحضـارية للناس جميعاً فإنما يحـدوهم إلى ذلك ما غرست مبادىء الإسـلام في قلوبهم من حبّ الخير للناس جميعاً، والرغبـة الملحّـة بـأن يخرجوا الناس من الظلمـات إلى النور، ويدفعوهم إلى معارج المجـد الإنـساني، ويأخـذوا بأيديهم إلى القمم الحضارية الراقية، والرغبة الملحة أيضاً بأن يذوق الناس معهم ما ذاقوه مـن إيمان منح قلوبهم الطمأنينة والسعـادة، وبأن يشاركوهم في اقتباس العلـوم الدينية، والمعـارف الأخلاقية، وطرق تنظيم الحياة، ليطّبقـوها فيسعدوا بها، وبأن يسيروا معهم متعاونين متـآزرين لتحقيق أكبر قدر ممكن من التقدّم الحضاري الذي حضّهـم الإسلام عليه في مختلف المجـالات الإنسانية، والفكـرية، والنفسـية، والسلوكية، والمادية. فالأخوة التي أعلنها الإسلام بين النـاس تستدعي أن يحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه، فالحضارة التي أقامها الإسلام تجعـل المـسلم

([553]) { الحجرات: 13 }.

([554]) القاسمي، **محاسن التأويل**، ج15، ص(135)، (مرجع سابق).

يحاور أصحاب الحضـارات الأخرى ويتدرج معهم من الدعوة الهادئة، إلى الموعظة الحـسنة، ثم إلى المجادلة بالتي هي أحسن [555].

فالتعارف المذكور في الآية الكريمة يتسع ليشمل التعايش في كـل ضـروب العمـل الإنساني المشترك لما فيه الخـير والمنفعـة لبني البشر، وهو هـدف سـام مـن أهـداف الحـوار البنّاء. فالحوار الحضاري الذي يريده الإسلام هو الحـوار المحـقق للتفاعـل بـين الثقافات والحضارات، وهو التعـارف بالمعنى القرآني السامي، الذي هو الأصل فـي تعامـل الأمـم والشعوب بعضها مع بعض، وفي تعاونها على الخير والعـدل والحـق والأمـن والسـلام. فهذا الضرب من الحـوار بين الثقافات والحضارات هو الأمـل المنـشـود، وهـو الدواء الشافي من الأمـراض الثقافية والفكـرية التي تخـلق الاضطرابات الاجتماعية، وهـو رسـالة التفاعل الحضاري في عالم سريع التغير مقبل علـى آفـاق جديـدة، سـيكون علـى الحضـارات فيه أن تتقـارب وأن تتبادل الآراء والأفكار[556]. وبخاصـة أن الاخـتلاف بـين الناس سـنة من سنن الله – عزوجل - في الكون ((وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿118﴾ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ))[557]. "فعلى أصحاب الحضارات المختلفة أن يحرصوا على الوصول إلى كلمة سواء في مواجهة الطغيان" [558]. قال تعـالى: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّه))[559]. وبهذا الإعلان عملت الحضـارة الإسـلامية على نقل المجمـوعات البشرية والحضـارات الإنسانـية من الـدوائر الضيّقة العنصرية والقوميـة والإقليميـة إلـى أجـواء

([555]) الميداني، عبد الرحمـن حسـن حبنكـة، **الحضـارة الإسـلامية (أسسـها ووسائلها)**، دار القلـم، دمـشق، ط1، (1418هـ - 1998م)، ص(134، 135)، بتصرف.

([556]) التويجري، **الحـوار والتفـاعل الحضـاري**، ص(85)، بتصرف، (مرجع سابق).

([557]) { هود: 118، 119}.

([558]) الدجاني، أحمد صدقي، **آفاق التعاون بين العالم الإسلامي والمجتمعـات الأخـرى واستـشرافها بـالحوار**، مجلـة الإسـلام اليوم، قطر، ع12، (1415هـ - 1994م)، ص(39).

([559]) { آل عمران: 64 }.

فسيحة مملوءة بالتآخي والتواد والتراحم والتسامح في الحق والتعاون على البر والتقوى، والأخذ على يد الظالم مهما دنت درجة قرابته،أو عظمت مودّته وصداقته،والتعاون على نصرة المظلوم مهما بعدت درجة قرابته أو اشتدت كراهيته وعداوته. وبهذا رسّخ القرآن الكريم الحوار بين الحضارات وفتح الآفاق بين الثقافات لما فيه خير البشرية [560].

مرتكزات تعارف الحضارات:

من خلال دراسة الآية الكريمة الواردة في سورة الحجرات وتحليلها نستنتج عدة مرتكزات أساسية لتعارف الحضارات، منها على سبيل المثال:

أولاً: إن القرآن الكريم خطاب إلى الناس كافة من غير أن يتحيز إلى أمة بعينها، ولا أن يفضّل أمة على أمة أخرى بسبب القوم أو العرق أو اللغة أو غيرها، وإنما التقوى هي مقياس التفاضل، كما أن هذا الخطاب لم يأت للناس في زمن دون زمن آخر، ولا لمكان دون آخر.

ثانياً: وحدة الأصل الإنساني ((إنا خلقناكم من ذكر وأنثى)) وأن الإنسانية بكل تنوعاتها العرقية والقومية والدينية والمذهبية، وبكل مستوياتها في المعايير الاجتماعية والعلمية والاقتصادية إنما ترجع إلى أصل واحد. والقرآن الكريم يريد للناس أن يعوا هذه الحقيقة في تعاملهم ونظرتهم لبعضهم البعض.

ثالثاً: إن القرآن العظيم يريد للناس أن ينظروا لأنفسهم على أنهم أسرة واحدة على هذه الأرض، مهما اختلفوا في اللون واللسان، ومهما تباعدوا في الأوطان، مع كل ما بينهم من فوارق واختلافات، إلا أنهم ينبغي أن يتعاملوا فيما بينهم بمنطق الأسرة الواحدة التي ترجع في أصلها الإنساني إلى ((إنا خلقناكم من ذكر وأنثى))، وأن يكون هذا سعيهم نحو بناء العالم

([560]) الميداني، **الحضارة الإسلامية**، ص(137)، بتصرف، (مرجع سابق).

على أساس الأسرة الواحدة وهذا يعني إزالة كل الأحقاد والعصبيات والعنـصريات بـين الناس، كما أن هذه النظرة تمثل أعمق المكونات الروحية والأخلاقية في الروابط بين الأمم والشعوب والحضارات. فمن غير تعارف بين الأمم، لن يكون هناك حوار هادف ومثمـر. مع الأخذ بعين الاعتبار أن القرآن الكريم لا يلغي مبدأ التفاضل بـين الـشعوب والقبائـل[561].

رابعاً: الاختلاف بين الناس حقيقة إنسانية يقرّها الإسلام، وهذا يشكل ميزة من ميزات الحـوار الحضاري الفاعل الذي يؤتي أكله بإذن الله، فمن العبث إلغاء الاختلاف، ومن المـستحيل تحويله إلى وفاق مطلق ولكن الحوار الناجح القائم على آداب وقواعد صحيحة يضيق شقة الاختلاف ولا يفسد للود قضية [562].

([561]) الميلاد، زكي، **تعارف الحضارات**، مجلة الكلمة، بيروت، مج4، ع16، (1997م)، ص(23-25)، بتصرف.

([562]) السمّاك، محمد، **مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي**، دار النفـائس، بيـروت، ط1، (1418هـ - 1998 م)، ص(90)، بتصرف.

المبحث الثاني

منطلقات حوار الحضارات

إنّ الحوار الحضاري السامي لابد له من ضوابط ومنطلقات حتى يؤتي ثماره، ولكي لا يقع المتحاورون في المحذورات التي قد تؤدي بالحوار إلى الفشل أو الخلل. لذا فإنه من الأهمية بمكان أن نذكر أهم ضوابط الحوار الحضاري الناجح والتي تتمثل فيما يلي:

أولاً: الإيمان الصادق والاعتزاز بالحق والتشبث به، فالحضارة الإسلامية تحرص على تربية أبنائها تربية إسلامية، وتحرص كل الحرص على تثقيف الأجيال المسلمة ثقافة إسلامية مركزة، تأمن بتعميقها الزلل والانحراف عن جادة الحق، ولكنها تحث أفرادها على الحوار مع الحضارات الأخرى، فبعد أن يحصل الاطمئنان إلى تركيز الثقافة الإسلامية فإن الدولة المسلمة مستعدة إلى فتح أبوابها لمختلف الثقافات والحضارات، ولكن ينبغي أن يلاحظ في إعطاء هذه الثقافات أن تكون نتائجها متفقة مع وجهة نظر الإسلام، فإذا تناقضت مع نص قطعي الدلالة وقطعي الثبوت فإنها مرفوضة، فمثلاً نظرية داروين في أصل الإنسان لا تقبل لأنها تتعارض مع القرآن العظيم، وبهذا نستطيع أن نجعل الثقافة الإسلامية تؤثر في غيرها(563). مصداقاً لقوله تعالى: ((وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ))(564). وقوله: ((وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿ 139 ﴾))(565)."

فاستشعار العزة والاستعلاء بها، يحفزان إلى الثبات في مواقف الحق، وعدم الركون إلى

(563) الحسن، محمد علي، **العلاقات الدولية في القرآن الكريم والسنة**، مكتبة النهضة الإسلامية، عمان، ط1، (1400هـ - 1980م)، ص(296)، بتصرف.

(564) { المنافقون: 8 }.

(565) { آل عمران: 139 }.

الباطل أو الانهزام أمام سطوته، يقوّيان في النفس إرادة البقاء الحـر الكـريم، حيـث إن المؤمن دائماً عزيز النفس قوي الجانب، لايقبل الهوان والانكسار والذلة والصغار" [566].

ثانياً: تحديد المصطلحات بدقة، فلا بدّ للحوار الحضاري الذي يرجى منه تحقيـق أهدافـه مـن مصطلحات واضحة ومسلّمة بين المتحاورين ليكون الحوار منصبّاً علـى أمـور محـدّدة ومتفق عليها، وهذا من أهم خطوات البحث العلمي والحوار الحضاري، وكم مـن أنـاس يتحاورون ويمضون أوقاتاً طويلة في البحث والجدل والمناظرة وكل منهم يتكلم باتجاه بعيد عن حقيقة ما يريده الآخر[567]، وينطبق عليهم قوله سبحانه ((وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴿36﴾))[568]. فتحرير محل النزاع يؤدّي إلى حسن الاقتناع، فالألفاظ متى حدّدت معانيها والقضايا متى وضـحت معالمهـا، سـهل الوصول إلى الاتفاق بين المختلفين، وظهر الرأي الذي تؤيده الحجة القويمة، وتطمئن إلـى صحته العقول السليمة. إنّ الحضارة الإسلامية منفتحة الحدود تقبل التحاور مع أهل الملـل والنحل، وتعطيهم حقوقهم وتمنحهم الكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية، وتحـافظ علـى أرواحهم وأعراضهم وأموالهم من كل عدوان، وتقيم العـلاقات بين المـسلمين وغيـرهم على أساس التسامح والتراحم، ومن الأدلة على ذلك أنها أمرت المـسلمين بـأن يقيمـوا علاقاتهم مع غيرهم على البر والقسط، ما داموا لم يسيئوا إليهم[569]. قال تعالى: ((لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿8﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿9﴾))[570]، فهـاتان الآيتان رسمـتا

([566]) التويجري، **الحوار والتفاعل الحضاري**، ص(76)، (مرجع سابق).

([567]) الإبراهيم، **حوار الحضارات**، ص(242)، بتصرف، (مرجع سابق).

([568]) { الإسراء: 36 }.

([569]) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(53، 54)، بتصرف، (مرجع سابق).

([570]) { الممتحنة: 8، 9 }.

للمسلمين – بكل صراحة ووضوح – كيف يبنون علاقاتهم مع من يخالفوهم فـي الـدين. فلكل فريق عقيدته التي اختارها لذاته، ودينه الذي ارتضاه لنفسه،فالعقائد لا إجبار فيها ((لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿256﴾)) [571]، "فهذه القاعدة تعطي الآخر فرصـة ليعمل عقله وفكره على الإيمان بالحقيقة الإلهية، حتى إذا توصل إليها كان الإيمان بالاقتناع والاختيار وليس بالفرض والإجبار" [572].

فهذا التسامح الذي دعا إليه القرآن هو الإخاء الذي جعله الإسلام دعامة حضارية، وهو إخاء يتضافر فيه العدل والرحمة من غير ضعف أو استكانة، إخاء مساواة في الحق والفضل من غير تأثر بالعاجلة من المنافع وبعد تحديد المفاهيم والمصطلحات [573].

ثالثاً: البدء بنقاط الاتفاق، فعلى المتحاورين من أهل الحضارات المختلفـة أن يفتتحـوا نقاشـهم بالمسلمات والبدهيات، فالحديث على هذا النحو من شأنه أن يثري الحوار، ويجعل بداياته هادئة من ناحية، منطقية من ناحية أخرى، وهذا كله مؤشر إيجابي على احتمالات النجاح، ثم إن البدء بنقاط الاتفاق قد يفتح آفاقاً للتلاقي لم تكن واردة بالحسبان، وهذا يقلّل الفجوة، ويوثّـق الصلة ويجعل فرص الخير أفضل، واحتمال الشر أقل، أما إذا بدأ الحوار بما هو موضع خلاف أو نزاع، فإن ذلك قد ينسف الحوارمن أوله أو قد يغيّر القلـوب ويكـدّر الخواطر، ويجعل المتحاورين يفكرون كيف يردّ بعضهم على بعض، أكثر مما يفكـرون في صحة الفكرة المطروحة، ويتناقشون في غلبة بعضهم، أكثر مما يتناقشون في خدمـة الهدف الذي أقيم من أجله الحوار ابتداء [574]." لذلك نجد القـرآن الكـريم عنـد حـوار

([571]) { البقرة: 256 }.

([572]) السماك، **مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي**، ص(89)، (مرجع سابق).

([573]) الطويل، توفيق، **الحضارة الإسـلامية والحضارة الأوربية** (دراسة مقارنة)، مكتبـة التراث الإسـلامي، القـاهرة، ص(95)، بتصرف، (د. ت).

([574]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(56)، (مرجع سابق).

المخالفين في المعتقد يبدأ بعرض البدهيات والمسلمات والدأب على تأكيدها، والتي تلزمهم في النهـاية بالإيمـان بما أنكروه ابتداء "[575]. قال تعالى: ((قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿84﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿85﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿86﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿87﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿88﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿89﴾)) [576].

رابعاً: "الاعتراف بالآخر واحترامه، لابدّ لنجاح الحوار الحضاري من اعتراف كل المتحـاورين بالآخر واحترامه كذلك، أما إذا كان أحد الطرفين لا يعترف بالآخر أصـلاً ولا يحترمـه حقيقة فلا جـدوى من الحـوار ولا داعي له، وهـو حينئـذ ضـرب مـن الـسخرية والإهانة"[577].

لقد ضرب القرآن الكريم مثلاً أعلى للاعتراف بالآخر ولو كان كـافراً، قـال: ((وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿24﴾ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿25﴾)) [578]. أي إنا لعلى هدى أو في ضلال مبين وإنكم لعلى هدى أو في ضلال مبـين، وفي إسناد الجرم إلى المسلمين ونسبة مطلق العمل إلى المخاطبين مع كون أعمال المسلمين من البر الخالص والطاعـة المحضـة، وأعمال الكفار من المعصية البينة في ذلك من الإنصاف ما لايقدر قدره [579].

خامساً: "معرفة الآخر على حقيقته بواقعية وتجرد، إن معرفة الآخر دون تهوين منه ولا تهويـل له هي نصف الطريق إلى الوصول إلى نتيجة ما إيجابية كانت أم سلبية. ثـم إن لغـة

([575]) الدجاني، **آفاق التعاون**، مجلة الإسلام اليوم، ع12، ص(40)، بتصرف، (مرجع سابق).
([576]) { المؤمنون: 84 – 89 }.
([577]) الإبراهيم، **حوار الحضارات**، ص(239)، (مرجع سابق).
([578]) { سبأ: 24،25 }.
([579]) الشوكاني، **فتح القدير**، ج4، ص(326)، بتصرف، (مرجع سابق).

الحوار قد تختلف من حالة لأخرى ومن حين لآخر، فالحوار مع القوي المعاند غيره مع الضعيف المسالم، والحوار مع المثقف والعالم غيره مع الجاهل المكابر، ولكل من ذلـك أسلوبه ولغته ولهجته وخطابه، بل قد يختلف الأسلوب في أول الحـوار عـن وسـطه وآخره، وكل ذلك مرتبط بحال الآخر ومدى تفاعله مع الحوار أو إصراره على التمسك بموقفه، وعلى هذا فلا يليق بحال أن يدخل أحد طرفاً في حوار مع من لا يعرفه علـى حقيقته، بل من اللازم قبل بدء الحوار أن يكون الآخر واضحاً أمام المحاور، شخـصيته وفكره وقدراته وموقعه وإمكانياته المختلفـة. إن المـسلمين إذا رغبـوا أن يحـاوروا الحضارات الأخرى يجب عليهم أن يعرفوا طبيعة الحضارة التي يحاورونهـا معرفـة دقيقة بحيث لا يستخفّون بها ولا يهوّلون من شأنها، وهذه بداية الطريق للوصول إلـى الهدف، وهو أمر طبيعي بدهي لا يحتاج إلى تدليل أو برهان " [580]. فـإذا أردنـا أن ننجح في حوارنا مع غيرنا، فلا بدّ من تبادل المعلومات والأفكار والحقائق التي تزيـد من معرفة كل فريق بالآخر وتاريخه وحضارته، معرفة تعين على التلاقي على مواطن الاتفاق، ثم العناية بحسن اختيار المحاور بأن يكون متخصصاً في الموضـوع ليكـون قادراً على التعبير الصحيح [581].

"إنّ الناظر إلى الحضارة الغربية المعاصرة يجد أن بعض رموزها وكتـّابها لا يجهـل الإسلام فقط، بل إن هناك سوء فهم متعمد لدى الكتـّاب الغربيين عن الإسلام، فهم يسيئون فهـم الإسلام عن عمد" [582]. وقد ذكر القرآن الكريم هذا المعنى من قبل عن أهل الكتاب فقال سبحانه

([580]) الإبراهيم، **حوار الحضارات**، ص(237، 238)، (مرجع سابق).

([581]) العسّال، **فقه الدعوة والتجديد**، ص(137، 138)، بتصرف، (مرجع سابق).

([582]) العوضي، هشام، **الإسلاميون والحوار مع العلمانية والدولة والغرب**، دار ابن حزم، ط1، (1418هـ - 1997م)، ص(113).

وتعالى: ((الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ 146 ﴾)) [583].

سادساً: "توثيق المعلومات بالأدلة الواضحة الساطعة، لذا يجمل بالمناقش أن يعزو الأفكار إلى مصادرها، وأن يولي الاستشهاد والاقتباس ما يستحقان من عناية، وأن يستعين بذكر الإحصائيات التي تخدم رأيه، والمراجع التي اعتمد عليها، أو التي يمكن الاعتماد عليها في الموضوع محل البحث، فإن الحقائق المجردة أقل تأثيراً في النفوس من سوقها مدعمة بالشواهد المعتمدة، سواء من الكتاب الكريم أو السنة المطهّرة، أو أقوال العلماء والأئمة، إذا كانت مما له صلة بها. ويحسن بالمحاور أن يترك النقول الضعيفة والحجج الواهية التي تضعف الفكرة وتسيء إلى صاحبها، وبخاصة إذا كان في محفل من الناس"[584].

"ومن هنا كان من الضروري عند أي حوار مع الآخر التأكّد والتثبت من صحة أية مقولة تطرح للنقاش والحوار، ويتأكد هذا الأمر أكثر يوم يكون الحوار حضارياً، ويحتمل أن يدخل عامل التضليل والتحريف للحقائق من إحدى الجهات المتحاورة بغرض فرض قيم معينة وأوهام تخدم مصالح مبيّتة وكثيراً ما يحدث هذا، فيوم يكون المحاور المسلم على وعي ويقظة وحذر ودراية بحقائق التاريخ وأصول المنهج العلمي، فلا يمكّن الآخرين من تمرير ما قد يريدون تمريره" [585]. إن هذا الأصل أكّده القرآن العظيم في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿ 6 ﴾)) [586].

([583]) { البقرة: 146 }.

([584]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(64)، (مرجع سابق).

([585]) الإبراهيم، **حوار الحضارات**، ص(244)، (مرجع سابق).

([586]) { الحجرات: 6 }.

فالآية الكريمة تدل على عدم تصديق الفاسق في خبره، فإن جاء هذا الفاسق بنبأ ممكـن معرفة حقيقته، وهل ما قاله فيه حق أو كذب فإنه يجب فيه التثبت. أما مفهوم المخالفة في هـذه الآية الكريمة فيدل على أن كل من يأتي بنبأ إن كان غير فاسق فلا يلزم التبين في نبئه. وقولـه تعالى: ((أن تصيبوا قوماً)) أي كراهة أن تصيبوا قوماً بجهالة، أي لظنكم النبأ الذي جـاء بـه الفاسق حقاً فتصبحوا على ما فعلتم من أصابتكم للقوم المذكورين نادمين لظهور كـذب الفاسـق فيما أنبأ به عنهم [587].

([587]) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، تحقيق: صلاح الدين العلايلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،(د. ط)، (د.ت)، ج5، ص(166)، بتصرف.

المبحث الثالث

أهداف حوار الحضارات

تمهيد:

"لا بد لكل قضية من هدف، ويجب أن يتناسب الهدف مع حجم القضية كماً وكيفاً، وقضية الحوار الحضاري تعدّ من الأمور ذات الخصوصية المتميزة، لأنها تهتم بشأن الأمة وبنائها، فالعيش على رقعة واحدة يفرض التعاون والتآزر من أجل تحقيق سعادة الإنسانية جمعاء، ومبنى هذا الأمر فهم الآخرين على ما هم عليه في حقيقة الأمر، بغرض تيسير التفاهم ومن ثمّ التعاون والتضامن من أجل حقيقة مواجهة الخطر المحدق بالإنسانية قاطبة. وحتى يكون الحوار الحضاري سامياً لابد أن يبحث في العلاقات الحضارية العالمية التي تصل بالأمم إلى إدراك المسارات التي تؤمن لها الحياة السعيدة. ولا بد أن يبحث عن تحقيق أهداف سامية كذلك"[588]. ومن أهم الأهداف التي يسعى الحوار الحضاري لتحقيقها: -

أولاً: "تعزيز القيم والمبادئ الإنسانية التي هي القاسم المشترك بين جميع الحضارات والثقافات، فالحوار الحضاري يسهم بدرجة كبيرة في التقارب بين الشعوب والأمم، وفي إزالة الحواجز المتراكمة من سوء الفهم المتبادل ومن الأفكار المسبّقة القائمة على أساس غير صحيح "[589]. قال تعالى: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ))[590]. فهذا النداء يشكل أساساً

([588]) جيدل، عمار، **حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني**، دار الحامد، عمان، ط1، (2003م)، ص(49).

([589]) السماك، محمد، **المنتديات العربية وحوار الحضارات**، مجلة الاجتهاد، بيروت، ع52، (1422هـ - 2002م)، ص(9).

([590]) { آل عمران: 64 }.

لتعزيز عقيدة التوحيد في مقابل الشرك وفي تعزيز القيم الإيجابية والإنسانية التـي تقـوم عليها الحضارات.

ثانياً: "تصحيح معلومة خاطئة، فبعض الباحثين يتداول أحياناً أفكاراً مغلوطـة عـن حـضارتنا الإسلامية، سواء في وضعها الاجتمـاعي أو خلفيتهـا الفكريـة المؤسـسة للاهتمامـات الاجتمـاعية، وتصحيح هذه الأخطاء يفرض علينا تبني الحـوار كمـسلك أساسـي فـي التصحيح" [591]. قال تعالى: ((ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)) [592].

فالآية الكريمة تحدّد أمرين، أولهما: هدف الحوار هو الدعوة إلى سبيل ا ، أي الطريق المؤدي إلى إقامة المنهج الرباني على الأرض.

وثانيهما: أسلوب الحوار ينبغي أن يكون بالحكمة مما يعني أن يكون الحوار الحـضاري هادفاً وموضوعياً يسعى إلى تحقيق غاية شريفـة يلتقي عليها المتحاورون [593].

ثالثاً: إظهار سماحة الإسلام وتقبله للرأي الآخر، فمن أهم أهداف الحوار الحضاري الإسـلامي إظهار عظمة هذا الدين الرباني، فالإسلام رغم كونه دين ا –تبارك وتعالى- وقد قامـت على صحته وسلامته من العوج البراهين والمعجزات الخارقات، وخـضعت لـه العقـول السليمة والأفكار المتجردة عبر قرون متتالية، لا يريد هذا الدين أن يفرض نفسه بالقـوة والإكراه بل يدعو إلى الحـوار والاختيار على أسـاس الاقتنـاع [594]،قال تعـالى: ((لاَ

([591]) جيدل، **حوار الحضارات**، ص(50)، (مرجع سابق).

([592]) { النحل: 125 }.

([593]) بو طالب، عبد الهادي، **عالمية الإسلام، مجلة الاجتهـاد**، بيـروت، ع52، (1422هـ - 2002م)، ص(52)، بتصرف.

([594]) الإبراهيم، **حوار الحضارات**، ص(215)، بتصرف، (مرجع سابق).

إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)) [595]، وقال أيضاً: ((وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ)) [596]. وهذا لا يعني بأي حال حرية الكفر والإلحاد.

رابعاً: تحقيق التواصل والتضامن، فقد عاشت البشرية وما زالت ويلات الحروب ومضاعفاتها على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لذلك فإن البشرية تحتاج إلى الحوار الحضاري لتحقيق التكاتف والتآزر بين أفرادها للتغلب على ويلات الحروب والفساد في الأرض، فإذا تحقق الحوار الحضاري فإن الثمار والنتائج الطيبة سيذوق طعمها أبناء الحضارات المختلفة [597].

خامساً: "دعوة الإنسانية إلى قيم الحق العليا، فالمسلم يملك المنهج الرباني الذي تقوم عليه الحياة الفاضلة، وهو أيضاً حامل أمانة ورسالة لا يسعه بحال أن ينام عنها أو يحجبها عن الخلق، وليس هذا بملكه ولا باختياره. وهكذا كان حال مؤمن آل فرعون مع قومه وحواره إياهم الحوار الذي يظهر الحرص العميق على هدايتهم لقيم الحق العليا في هذه الحياة " [598]، قال تعالى: ((وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿28﴾ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿29﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿30﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعِبَادِ ﴿31﴾ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ

([595]) { البقرة: 256 }.

([596]) { الكهف: 29 }.

([597]) جيدل، **حوار الحضارات**، ص(54)، بتصرف، (مرجع سابق).

([598]) الإبراهيم، **حوار الحضارات**، ص(213)، (مرجع سابق).

عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿32﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿33﴾))[599].

إنه المؤمن المحاور الذي لا يكتفي بأن يستقر الإيمان في قلبه، بل يحرص على حـوار هادف مخاص يرتبط بخلاص الآخرين في نطاق الهدف الواحد الكبير وهو رفع قيم الحق العليا في ظل شريعة ا تعالى[600]. فالحوار الحضاري هو النمط الأرقى من الحوارات التي تجـري بين الفئات المثقفة من البشر،وهو لا يرتبط بشكل محدّد،ولا بصيغة معينة، ولا بمكان أو زمان. فلا بد أن يكون للعالم الإسلامي مشاركة فاعلة في أنماط الحوار الحضاري من موقـع التميـز الحضاري لهذه الأمة ذات الرسالة الإسلامية السامية [601].

([599]) { غافر: 28 – 33 }.

([600]) فضل ا ، **الحوار في القرآن**، ص(375)، بتصرف، (مرجع سابق).

([601]) التويجري، **الحوار والتفاعل الحضاري**، ص(86)، بتصرف، (مرجع سابق).

المبحث الرابع

حوار الحضارات بين التفاعل الحضاري والخصوصية الحضارية

لقد قامت الحضارة الإسلامية على أساس التفاعل الحضاري، فهي لهذه الخاصية ثقافة حوار في المقام الأول، فقد أخذت عن الحضارات السابقة، واقتبست من ثقافات الأمم والشعوب التي احتكت بها، وصهرت حصيلة هذا كلّه في بوتقة التفاعل الحضاري، فكانت حضارة الإسلام، ولا تزال، مثالاً نادراً للتفاعل بين الحضارات. ولقد كان لحيوية الحضارة الإسلامية وقوتها الذاتية الدافعة لها إلى التطور والتقدّم والإبداع، الأثر القوي في نقل روح المدنية إلى العالم الغربي، ولا نغالي إذا أكّدنا على أن الإسلام، وهو دعوة ا إلى الناس كافة، ورسالته – سبحانه – إلى العالمين، هو الدين الذي يدعو إلى التفاعل الحضاري دعوة صريحة قوية، ويحثّ عليه بشدة، على اعتبار أن الحوار الذي نادى به الإسلام، هو في طبيعته وجوهره ورسالته تفاعل حضاري [602]." وهذا التفاعل الحضاري في الإسلام يقوم على منهج متميز، فهو يفرق بين ما هو مشترك إنساني عام مما يتعلق بأمور الحياة المدنية والمعارف الطبيعية الكونية، وبين ما له علاقة بالعقيدة والأخلاق والحياة الاجتماعية والمناهج التربوية التي ترعى المجتمع وتحدّد وجهته السلوكية في الحياة. فما كان مشتركاً فلا مانع من التعاون وتبادل المصالح والمنافع فيه مع الآخرين، بل قد يكون ذلك مطلوباً بحسب ظروف الأمة واحتياجاتها وإمكانياتها. وأما ما كان من قبيل الخصوصية الحضارية التي تختص بها كل أمة بحسب دينها وثوابتها وهويتها الفكرية والأخلاقية والتربوية، فالأصل أن تحافظ الأمة فيه على خصوصيتها وهويتها وتميزها واستقلالها. ويوم نرى عند الآخرين ما قد يستفاد منه، فلا بأس أن نأخذ الحكمة أيّاً كان مصدرها شريطة التمحيص والتدقيق والتصفية وعرض ذلك على موازين الحق وضوابط شريعتنا وثوابتها، فما كان مقبولاً أخذناه، وما كان يعارض قيمنا رفضناه " [603].

([602]) التويجري، **الحوار والتفاعل الحضاري**، ص(82، 83)، بتصرف، (مرجع سابق).

([603]) الإبراهيم، **حوار الحضارات**، ص(218، 219)، (مرجع سابق).

جاء في حديث ضعيف: ((الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها، فهو أحق بها))[604]." إن كثيراً من الباحثين في حوار الحضارات يتوهمون أن أئمة المسلمين اقتبسوا حضارتهم، أو كثيراً من أصولها، من الفلسفة والمعارف اليونانية، أو من أصول الحضارات التي كانت سائدة من حولهم وهذا خطأ واضح ! حيث إن ما فعله علماء المسلمين في إقبالهم على أصول الحضارات المجاورة، كان ترجمة ودراسة و نقداً ليس أكثر مما فعله الغربيون، عندما اتصلوا بأصول الحضارة الإسلامية في أعقاب الحملات الصلبية " [605]. لقد أثبتت التجارب التاريخية في حوار الحضارات أن هناك تجربتين:-

الأولى: تجربة المجتمع الإسلامي في القرنين الأول والثاني، وهي عندما كان المجتمع الإسلامي قوياً ومليئاً بالحيوية، وكانت بإزائه الحضارتان القديمتان العظيمتان، إحداهما: الحضارة الرومانية واليونانية في الغرب، والثانية: الحضارة الفارسية في الشرق، وكانت الحضارتان غنيتين في العلوم والصناعة والثقافة، والمجتمع الإسلامي الذي كان حافلاً بالثقة، اقتطف من هذه الذخائر ما يلائمه وينسجم مع عقيدته وفكره، دون أن يصاب بالرق الفكري والخضوع الزائد، فأخذ جميع ما يناسبه ويجدر به، والذي رآه غير جدير به صاغه في قالبه أولاً ثم وضعه في مكانه المناسب .

الثانية: هي التي مرّ بها المجتمع الإسلامي في القرن السابع عندما استولى التتار على قلب العالم الإسلامي ومركزه، وأصبح المسلمون خاضعين للتتار، وواجه المجتمع الإسلامي في ذلك الحين فاتحاً كان فقيراً قليل البضاعة في الحضارة والعلم والصناعة، ولم تكن لديه فلسفة للحياة، لذلك بدأ التتار ينقلون عن المسلمين الحضارة والعلوم والآداب والأفكار

---

(604) ابن ماجة، أبو عبد ا محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجة**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الزهد، باب: الحكمة، رقم الحديث (4169)، دار البيان للتراث، (1373هـ - 1954م)، ج2، ص(1395).

(605) البوطي، محمد سعيد رمضان، **حوار حول مشكلات حضارية**، الدار المتحدة للطباعة، دمشق، ط3، (1410هـ - 1990م)، ص(75).

النبيلة، وأخيراً اعتنق التتار دين الأمة الإسلامية وحضارتها، وصاروا بعد إسلامهم حماة للإسلام، مدافعين عنه، ورافعين رايته [606].

"لقد أقبل المسلمون على التفاعل الحضاري بسرعة يمتصون من حضارات الأمم السابقة كالفرس واليونان، وما كان لدى مختلف الأمم التي التقت مع المسلمين لقاء مودة أو خصام. وقاموا كذلك بتحرير هذه العلوم وتنقيتها من الشوائب وتنميتها وصقلها وإصلاح فاسدها، مسترشدين بالمنهج العلمي العام الذي رسمه للمسلمين مصدرا التشريع الإسلامي العظيمان القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، كل ذلك فيما لم يكن من خصائص الشريعة بيانه وتحديد أصوله وفروعه كأصول الاعتقاد وأحكام العبادات والمعاملات ونظم الحياة الفردية والاجتماعية"[607]. فلم يكن المسلمون مجرد نقلة، وإنما حلّلوا وأضافوا وابتكروا لأنهم كانوا ينظرون بعين إلى الثقافة اليونانية، وبالعين الآخرى إلى التعاليم الإسلامية [608].

([606]) الندوي، أبو الحسن علي الحسني، **الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية**، دار القلم، الكويت، (1400هـ - 1980م)، ص(36، 37)، بتصرف.

([607]) الميداني، **الحضارة الإسلامية**، ص(125)، (مرجع سابق).

([608]) الطويل، **الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية**، ص(151)، بتصرف، (مرجع سابق).

الخاتمة

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث

وفي ختام رحلة بحثي عبر الصفحات الماضية، فإنني أضع أهم النتائج التي وقفت عليها من خلال هذا البحث، وهي:

1. الحوار هو نوع من الحديث بين شخصين أو أكثر، يتم فيه تـداول الكـلام بينهمـا بطـريقة ما، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر ويغلـب عليـه الهـدوء والبعـد عـن الخصومة.

2. الحوار أوسع مدلولاً من الجدال: لأن الجدال يتضمن معنى الصراع، بينما الحوار يتسع له ولغيره.

3. في الحوار الذي دار بين الرسل – عليهم السلام – مع أقوامهم، دلالات كثيرة منها:

أ. القرآن يهتم اهتماماً بالغاً بالحوار، ويحرص على استخلاصه من الشوائب.

ب. أهداف الحوار وغاياته متعددة، فهو يستهدف الحقائق ويقيم عليها البراهين والحجج الدالة على الإيمان.

ج. إن الحوار في القرآن الكريم قد شمل أقوم الطرق وأفضل المناهج، وهو قادر علـى إقناع الناس جميعاً إذا احتكموا إليه.

د. إن الحوار القرآني يربّي العقل على سعة الأفق، وحب الاطّلاع، والاستدلال لمعرفة الحق، فقد تبيّن من خلال البحث أنه رتبّ النتائج علـى مقـدمات جعلـت الخـصم يستسلم، لوضوحها للعيان، وقوتها في البرهان.

هـ. إن الحوار في القرآن ركّز على أركان الإيمان، وذلك عن طريق إقامة الحجة والبرهان على البعث والنشور والجزاء.

و. حاور الأنبياء – عليهم السلام – أقوامهم في عباداتهم للأصنام، ولفتوا أنظارهم إلى التأمل والتدبر، ودعَوْهم إلى الاعتبار بالأمم السابقة.

ز. إن الحوار في القرآن يدل على أن الأنبياء – عليهم السلام – جاؤوا بكلمة واحدة هي: لا إله إلا ا ، وقضية واحدة وهي: عبادة ا وحده.

4. في الحوار بين موسى – عليه السلام – والعبد الصالح دلالات هامة منها: استحباب الرحلة في طلب العلم، والأدب مع العلماء، والحث على التواضع في طلب العلم، وحسن الأدب مع ا – تعالى – في كل الأحوال.

5. في الحوار القرآني تحذير من الاغترار بالثروة، لأن فيه هلاكاً للمغرور، كما جاء في قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف.

6. بيّن الحوار الذي جرى بين الأتباع والمتبوعين أن هناك أسباباً للتبعية منها: الخوف على الأعمار والأموال، والفسق والانحراف، والرغبة في الدنيا ونسيان الآخرة، والذل والهوان لدى الأتباع.

7. أهم أسباب استكبار المتبوعين وإذلالهم لأتباعهم هي: الاستكبار والاستعلاء، واستحواذ الشيطان عليهم، وكفرهم با ، وتعبيد الأتباع لهم من دون ا .

8. أهم ألوان اتباع الأتباع للمتبوعين هي: متابعة الآباء والأجداد فيما كانوا عليه من باطل وكفر، واتباع أخلاقي يتمثل في الاقتداء بالمتبوعين في انغماسهم في الملذات، واتباع فكري بإلغاء الأتباع عقولهم وأفكارهم والتلقّي عن ساداتهم.

9. سبيل التخلّص من التبعية – كما يظهر من الحوار – يتمثل فيما يلي: الاهتداء إلى الحق، والإقبال على الله – تعالى -، وفهم مقاصد القرآن الكريم وتدبّر نصوصه، وتذكّر المصير البائس للمتبوعين والأتباع في الدنيا والآخرة.

10. إن الواجب على من يتصدّى للحوار، أن يكون على بينة من الموضوع الذي يحاور فيه والقضية التي يجري النقاش فيها، حتى لا يكون بعيداً عن قواعد الحوار وضوابطه، كما أنه ينبغي عليه أن يتزود بالثقافة العامة التي تجعله قوياً في حجته أمام خصومه، ليسهل عليه الوقوف على نقاط القوة والضعف عند خصمه.

11. إن عملية الحوار تتطلب جملة من القواعد والضوابط، ومن أهم هذه القواعد الاحترام المتبادل بين المتحاورين، وعدم الاستعجال بالرد على الخصم، والمحاورة بأفضل الأسماء والألقاب، والهدوء في الحوار، والتركيز على الرأي لا على صاحبه، والبعد عن التعصّب، وإبراز الحقائق الثابتة في الحوار، والرفق واللين، والمداراة والبعد عن المداهنة.

12. إذا أردنا للحوار أن يبقى عذباً رقيقاً، بعيداً عن المهاترة، فلا بد أن يرتبط بمجموعة من الآداب الفاضلة والأخلاق النبيلة، من أجل أن يبقى الفكر متّقداً والعطاء موصولاً، وأبرز تلك الأداب: حسن الصمت والإصغاء، وحسن البيان في الكلام، وضرب الأمثلة الملائمة.

13. من أدق مراحل الحوار، مرحلة إنهائه وختامه، فلا بد للمحاور الناجح أن يحرص على نهاية ملائمة للمحاورة، كإجمال لنتائج الحوار، أو استشارة مختص يقول كلمة الفصل في القضية التي تناولها الحوار، أو غير ذلك.

14. ضرورة توفر الحرية الفكرية عند إجراء الحوار، فإذا أردنا أن ينتهي الحوار إلى نتيجة منطقية، فلا بدّ من حرية الحركة الفكرية، وتجنّب هيمنة الهزيمة النفسية.

15. لا يمكن للحوار أن ينجح إن لم يحرّر محل النزاع والبحث، فلا بد من تحديد معاني الألفاظ والقضايا التي يجري النقاش حولها، ليسهل الوصول إلى النتائج.

16. التجرّد في الحوار وإخلاص النية – تعالى – أساس مهم للمحاور المسلم، حتى ينال رضا ا ويكسب الأجر والثواب.

17. من الأهمية بمكان، أن يبدأ الحوار بداية صحيحة، فبعد تحديد الهدف منه، يفضّل البدء بنقاط الاتفاق بين المتحاورين.

18. أباح الإسلام الحوار والجدال بالتي هي أحسن مع غير المسلمين، باعتباره وسيلة ناجحة من وسائل الدعوة إلى ا تعالى.

19. إن المسلمين على مدى تاريخهم القديم والمعاصر، أثبتوا أنهم دعاة حوار وتفاهم، وهم يصدرون في ذلك عن مبادئ دينهم وقيمهم الحضارية، وهو أمر يشهد به غير المسلمين في أكثر من مناسبة، ذلك أن الانفتاح على الحضارات والثقافات والحوار معها من المقومات الأساسية للمجتمعات الإسلامية.

20. إن الحوار الذي يراد منه أن تتخلى الأمة عن هويتها وتصوراتها الفكرية، لا يمكن أن يكون تفاعلاً إيجابياً وناجحاً، لأنه بذلك يكون نوعاً من أنواع التبعية الثقافية والفكرية.

21. إن الحوار الذي يدعو إليه الإسلام، لا يعني إلغاء الطرف الآخر، بل إن الهدف منه تمهيد الطريق للتعاون بين بني البشر، دون أن يفرض طرف ثقافته وحضارته على الطرف الآخر، فهو بذلك حوار يحفظ للشعوب هويتها وخصوصيتها الثقافية.

توصيات مقترحة

أوصي في ختام هذا البحث بالدعوة إلى إقامة الندوات والمؤتمرات العلمية لنشر وعـي إسلامي حول أدب الحوار والخلاف وشروطه وضوابطه.

وأدعو – كذلك – كل داعية غيور إلى الإسهام بقلمه، أو بلسانه، لنشر ثقافة الحوار بين المسلمين، لتضييق الفجوة بينهم، وبث روح الأخوة والمودة بينهم، والعمل والتعاون على القواسم المشتركة.

وآخر دعوانا أن الحمد   رب العالمين.

فهرس الآيات الكريمة

19	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي	1	النساء	1، 149
20	وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال	77	النساء	114
21	أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ	78	النساء	114
22	وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ	83	النساء	118
23	لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ	114	النساء	144
24	يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ	120	النساء	87
25	فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا	135	النساء	110
26	وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى	2	المائدة	149
27	وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا	27	المائدة	94، 95
28	لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ	28	المائدة	94، 95
29	إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ	29	المائدة	94، 96
30	فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ	30	المائدة	94، 97
31	فَبَعَثَ اللّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ	31	المائدة	94
32	يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ	31	المائدة	98
33	وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ	83	المائدة	137
34	وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ	68	الأنعام	139
35	فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى	76	الأنعام	51
36	لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ	77	الأنعام	50، 51
37	فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ	78	الأنعام	51، 140

38	إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي	79	الأنعام	51، 140
39	وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ	108	الأنعام	121
40	فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ	70	الأعراف	40
41	وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا	28	الأعراف	114
42	فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً	37	الأعراف	83
43	قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم	38	الأعراف	84
44	وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ	39	الأعراف	84
45	لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه	59	الأعراف	29، 30
46	قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ	60	الأعراف	31
47	أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ	62	الأعراف	114
48	إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا	66	الأعراف	42
49	قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ	67	الأعراف	41، 42
50	قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ	70	الأعراف	40، 41
51	وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ	71	الأعراف	42
52	قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً	188	الأعراف	140
53	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ	24	الأنفال	104
54	إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء	24	يونس	24
55	بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا	39	يونس	142
56	فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ	71	يونس	40

57	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي	25	هود	29
58	أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ	26	هود	29
59	ومَانَراكَ اتّبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي	27	هود	34 ،32
60	وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا	29	هود	33
61	وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ	29	هود	33
62	وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ	30	هود	34
63	وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ	31	هود	34
64	قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا	32	هود	35
65	وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ	34	هود	35
66	أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ	35	هود	139
67	وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ	42	هود	37
68	قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي	43	هود	37
69	إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ	45	هود	37
70	وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ	52	هود	38
71	قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ	53	هود	39
72	إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ	54	هود	41 ،40 ،39
73	مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ	55	هود	41 ،39
74	إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم	56	هود	39
75	فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ	57	هود	39

76	فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً	66	هود	136
77	وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ	67	هود	136
78	كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ	68	هود	136
79	فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ	74	هود	16
80	إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ	75	هود	16
81	قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ	81	هود	137
82	فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا	82	هود	137
83	مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ	83	هود	137
84	وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً	84	هود	55
85	وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ	84	هود	55، 56
86	وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ	85	هود	55، 56
87	بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ	86	هود	55، 56
88	يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ	87	هود	57
89	يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ	88	هود	59، 124
90	وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم	89	هود	60
91	وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي	90	هود	60
92	يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ	91	هود	61
93	يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللّهِ	92	هود	61
94	وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ	93	هود	61

95	وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُواْ	94	هود	62
96	كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْداً لِّمَدْيَنَ	95	هود	62
97	وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً	118	هود	110، 151
98	إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ	119	هود	110، 151
99	وَاسُتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ	25	يوسف	115
100	وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا	26	يوسف	116
101	وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ	27	يوسف	116
102	فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ	28	يوسف	116
103	يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ	39	يوسف	104، 125
104	وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاء	21	إبراهيم	86
105	وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ	22	إبراهيم	87
106	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً	24	إبراهيم	25
107	كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ	12	الحجر	138
108	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً	36	النحل	28
109	وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً	112	النحل	85
110	ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ	125	النحل	16، 121، 161
111	وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ	36	الإسراء	155
112	فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ	6	الكهف	122
113	وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء	29	الكهف	113، 161

114	وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا	32	الكهف	74
115	فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ	34	الكهف	10
116	قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ	37	الكهف	10، 75
117	وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ	39	الكهف	76
118	وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ	42	الكهف	77
119	هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ	44	الكهف	77
120	فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ	65	الكهف	66
121	فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ	71	الكهف	68
122	فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاماً	74	الكهف	69
123	فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ	77	الكهف	70
124	وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ	41	مريم	47، 48
125	إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ	42	مريم	47، 48
126	يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ	43	مريم	47، 48
127	يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ	44	مريم	47، 49
128	قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ	47	مريم	47، 48
129	اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى	43	طه	121
130	يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ	65	طه	116
131	إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا	73	طه	117
132	وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً	7	الأنبياء	118

133	وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلكَ من رَّسُول إلاَّ	25	الأنبياء	28
134	وَمنَ النَّاس مَن يُجَادلُ في اللَّه	8	الحج	103، 141
135	أَفَلَمْ يَسيرُوا في الْأَرْض فَتَكُونَ لَهُمْ	46	الحج	135
136	إنْ هُوَ إلاَّ رَجُلٌ به جنَّةٌ	25	المؤمنون	36
137	قُل لّمَن الْأَرْضُ وَمَن فيهَا	84	المؤمنون	145، 157
138	لَوْلا إذْ سَمعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمنُونَ	12	النور	117
139	قَالَ رَبّ إنَّ قَوْمي كَذَّبُون	118	الشعراء	36
140	وَاخْفضْ جَنَاحَكَ لمَن اتَّبَعَكَ	215	الشعراء	107
141	وَأَخي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ منّي	34	القصص	22
142	وَإذَا سَمعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ	55	القصص	138
143	وَتلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْربُهَا للنَّاس	43	العنكبوت	24
144	إنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَن الْفَحْشَاء وَالْمُنكَر	45	العنكبوت	58
145	ولا تُجَادلُوا أَهْلَ الْكتَاب إلا	46	العنكبوت	16، 17
146	فَإنَّكَ لا تُسْمعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمعُ	52	الروم	139
147	وَلَقَدْ ضَرَبْنَا للنَّاس في هَذَا	58	الروم	24
148	وَإذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنه وَهُوَ يَعظُهُ	13	لقمان	104
149	ولا تُصَعّرْ خَدَّكَ للنَّاس	18	لقمان	106
150	وَاغْضُضْ من صَوْتكَ إنَّ أَنكَرَ	19	لقمان	105
151	قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مّنَ السَّمَاوَات	24	سبأ	157

152	وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى	24	سبأ	17، 111، 125
153	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ	31	سبأ	90، 91
154	وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلا فِيهَا نَذِيرٌ	24	فاطر	29
155	ولا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ	26	ص	110
156	وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ	86	ص	22
157	فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ	2	الزمر	143
158	الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ	18	الزمر	135
159	ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً	29	الزمر	26
160	وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ	28	غافر	162
161	حم ﴿ 1 ﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ	1	فصلت	133
162	ولا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا	34	فصلت	122
163	فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ	15	الشورى	125
164	وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ	7	الجاثية	112
165	أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ	23	الجاثية	143
166	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ	6	الحجرات	115، 159
167	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوالايَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ	11	الحجرات	108
168	ولا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا	11	الحجرات	107، 108
169	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم	13	الحجرات	150
170	كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ	20	القمر	40

171	قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ	1	المجادلة	10، 16
172	يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ	18	المجادلة	88
173	لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ	8	الممتحنة	155
174	إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ	9	الممتحنة	155
175	وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ	8	المنافقون	154
176	لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً	2	الملك	144
177	وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ	9	القلم	128
178	اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً	10	نوح	30
179	يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً	11	نوح	30
180	وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ	12	نوح	30
181	وما أمروا إلا ليعبدوا ا مخلصين	5	البينة	143

فهرس الأحاديث الشريفة

التعريف بالأعلام

*** مرتبين حسب حروف المعجم:**

1. أبي بن كعب – رضي ا عنه -:

أبو المنذر أبي بن كعب بن قيس بن عمرو بن مالك بن النجار، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وكان يكتب في الجاهلية قبل الإسلام، وكان يكتب في الإسلام الوحي لرسول ا - صلى ا عليه وسلم -. شهد – رضي ا عنه – بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول ا – صلى ا عليه وسلم - . كان يقرأ القرآن في ثماني ليالٍ. توفي – رضي ا عنه – في خلافة عثمان بن عفان – رضي ا عنه – سنة ثلاثين للهجرة (609).

2. جندب بن جنادة – رضي ا عنه -:

أبو ذر جندب بن جنادة بن كُعيب الغفاري، من السابقين إلى الإسلام (610). كان أبو ذر – رضي ا عنه – للرسول – عليه الصلاة والسلام – ملازماً وجليساً، سأله عن الأصول والفروع، وعن الإيمان والإحسان، وسأله عن رؤية ا تعالى، وعن ليلة القدر وغيرها. كان يكثر من المواعظ التي تحث على القناعة والزهد، ومن أقواله: يكفي من الدعاء مع البر، ما يكفي الملح من الطعام (611).

---

(609) ابن سعد، أبو عبد ا محمد بن سعد بن منيع، **الطبقات الكبرى**، دار صادر، بيروت، (د. ت)، ج3، ص(498 – 502).

(610) **المرجع السابق**، ج4، ص (219).

(611) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد ا ، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، (1400هـ - 1980م)، ج1، ص(164).

3. سعد بن عبادة – رضي الله عنه -:

أبو ثابت سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الخزرجي، كان سيّد الخزرج وأحد الأمراء الأشراف في الجاهلية والإسلام، وكان يعرف في الجاهلية بالكامل لأنه يحسن العوم والرمي وكتابة العربية. شهد أحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم–(612). وكان مشهوراً بالجود والكرم. مات بحوران سنة خمس عشرة للهجرة (613).

4. سعيد بن جبير:

أبو عبد الله سعيد بن جبير الأسدي، تابعي أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر – رضي الله عنهما -، كان تقياً ورعاً كثير البكاء في الليل، وكان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء ؟ قال الإمام أحمد بن حنبل: لقد مات سعيد بن جبير وما على الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه (614).

5. صدي بن عجلان – رضي الله عنه -:

أبو أمامة الباهلي صدي بن عجلان صحابي جليل، سكن حمص، وقدم دمشق، وكان كثير الصيام والعبادة. كان يقول دائماً: عليكم بالصبر فيما أحببتم وكرهتم فنعم الخصلة هي الصبر. وكان آخر من بقي من الصحابة بالشام. توفي سنة ست وثمانين بحمص (615).

6.عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما (أم المؤمنين):

---

(612) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج3، ص(613 – 616)، (مرجع سابق).

(613) العسقلاني، أحمد بن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، (1328هـ)، ج2، ص(30).

(614) الأصبهاني، **حلية الأولياء**، ج4، ص(272-274)، (مرجع سابق).

(615) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، **تهذيب تاريخ دمشق الكبير**، تحقيق: عبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت، ط2، (1399هـ -1979م)، ج6، ص(419-421).

أم عبد الله عائشة بنت أبي بكر الصديق، كبيرة محدثات عصرها ونابغته فـي الـذكاء والفصاحة، ولدت بمكة في السنة الثانية قبل الهجرة، تزوجها النبي – صلى الله عليه وسلم – في السنة الثانية بعد الهجـرة، كانت لها مكانة خاصة عند النبي– عليه الصلاة والسلام –.

كانت – رضي الله عنها – تحمل لواء العلم فبرعت في الفـرائض والحـديث والفقـه والشعر والأنساب، واتصفت بشدة الحياء وكثرة العبادة والصدقات والمبرات. توفيت عائـشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – بالمدينة المنورة سنة ثمانية وخمسين للهجرة [616].

7. عبد الرحمن بن صخر الدوسي – رضي الله عنه -:

أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي، اسمه في الجاهلية عبد شمس واسـمه فـي الإسلام عبد الرحمن، كان أكثر الصحابة رواية للحديث، أسلم أبو هريرة عام خيبر مع رسـول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم لزمـه وواظـب عليه رغـبة في العـلم، استعملـه عمـر – رضي الله عنه – على البحرين ثم عزله. توفي سنة سبعة وخمسين للهجرة [617].

8. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون:

أبو عبد الرحمـن بن محمد بن خلدون وليّ الدين الحضرمي الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر. الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحّاثة. أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتـونس، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولّى أعمـالاً، واعترضته دسائس، وعـاد إلـى تونس. ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها. وولي فيها قضاء المالكية، كان فـصيحاً، عـاقلاً، صادق اللهجة، طامحاً للمراتب العليا. ولما رحل إلى الأندلس اهتزّ له سلطانها، وأجلسه مجلسه. اشتهر بكتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العـرب والعجـم والبربـر" فـي سـبعة مجلّدات،أولها "المقدمة" وهي تعد من أصول علم الاجتماع. ومن كتبه أيضاً: "شـرح البـردة"،

([616]) كحّـالة، عمـر رضا، **أعـلام النسـاء في عـالمي العـرب والإسـلام**، مؤسـسة الرسـالة، بيـروت، ط4، (1402هـ - 1982 م)، ج3، ص(9، 105، 135).

([617]) العسقلاني، **الإصابة**، ج4، ص(202 – 204)، (مرجع سابق).

وكتاب في "الحساب"، ورسـالة في "المنطـق" وغيرها.تـوفي ابن خلدون – رحمـه ا – في القـاهرة سنة (808) هـ [618].

9. عبد ا بن عباس – رضي ا عنهما -:

أبو العباس عبد ا بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي الصحابي الجليل، حبـر الأمة وترجمان القرآن. ولد بمكـة ونشـأ في بدء عصـر النبوة، فـلازم رسـول ا -صلى ا عليه وسلم– وروى عنه الأحاديث الصحيحة.وشهد مع علي– رضـي ا عنـه – الجمـل وصفين. كـان الناس يأتونه لتعلّم الفقـه والشعـر والأنسـاب والمغـازي. توفي – رحمه ا – سنة ثمانية وستين للهجرة [619].

10. عبد ا بن مسعود – رضي ا عنه -:

أبو عبد الرحمن عبد ا بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، من طـبقة الـسابقين المهاجرين، المعروفين بالنسك من المعمرين، القارىء المتقن، والغلام المعلم، والفقيـه المفهـم. وأول من جهر بقراءة القرآن الكريم بمكة. ومن وصاياه: إنكم في ممر الليل والنهار في آجـال منقوصة، وأعمال محفوظة والموت يأتي بغتة. فمن يزرع خيراً يوشك أن يحصد رغبة، ومـن يزرع شراً يوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع مثل ما زرع، فمن أعطى خيـراً فـا تعـالى أعطاه، ومن وقى شراً فا تعالى وقاه، المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيـادة [620]. ولّي بعد وفاة النبي – صلى ا عليه وسلم – بيت مـال الكـوفـة. ثم قـدم المـدينة فـي

([618]) الزركلي، خير الدين، **الأعلام (قاموس تراجم لأشـهر الرجـال)**، دار العلـم للملايـين، ط5، (1980 م)، مـج3، ص(330).

([619]) **المرجع السابق**، ج4، ص(95).

([620]) الأصبهاني، **حلية الأولياء**، ج1، ص(124-134)، (مرجع سابق).

خـلافة عثمـان – رضي ا عنه – فتوفي فيها عن نحو ستين عاماً. وكـانت وفـاته سـنة اثنتين وثلاثين للهجرة [621].

11. عبد الملك بن قُريب:

أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، الشـهير بالأصمعي، راويـة الغرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جدّه أصمع. ومولـده ووفاتـه فـي البصرة. كان كثير الطـواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفـاء، فيكافأ عليها بالعطايا الزاهرة الوافرة. قال الأخفش: ما رأينا أحداً أعلم بالشعر مـن الأصـمعي. كان أتقن القوم للشعر واللغـة وأحضرهم حفظـاً. ومن تـصـانيفه: "المتـرادف"، و"الفـرق"، و"الخيل"، وغيرها. توفي – رحمه ا – سنة سـت عشرة ومائتين للهجرة[622].

12. عتبة بن ربيعة:

أبو الوليد عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهليـة. كـان موصوفاً بالرأي والحلم والفضل، خطيباً، نافذ القول. أدرك الإسلام وطغـى فـشهد بـدراً مـع المشركين، وقاتل قتالاً شديداً، فأحاط به علي بن أبي طالب وحمزة وعبيدة بن الحارث – رضي ا عنهم – فقتلوه [623].

13. علي بن أبي طالب – رضي ا عنه -:

أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أمير المؤمنين ورابـع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وابن عم النبي– صـلى ا عليـه وسـلم – وصهـره. وأول الناس إسـلاماً بعد خـديجة. ولـد بمكـة وربّـي في حجـر النبي –صلى

([621]) الزركلي، **الأعلام**، مج4، ص(137)، (مرجع سابق).

([622])الزركلي، **الأعلام**، مج4، ص(162). (مرجع سابق)

([623]) **المرجع السابق**، ج4، ص(200) .

ا عليه وسلم – ولم يفارقه. وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد. كان بليغاً وفصيحاً ومحباً للعلم، توفي سنة أربعين للهجرة [624].

14. عمر بن الخطاب – رضي ا عنه -:

أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى، أسلم وهو ابن ست وعشرين سنة، شهد بدراً وأحداً والغزوات كلها، وهو أول خليفة دعي بأمير المؤمنين، وأول من كتب التاريخ للمسلمين وأول من جمع القرآن في المصحف، وفتح الفتوح ووضع الخراج ودوّن الديوان، كان زاهداً ومتواضعاً وورعاً شجاعاً وحازماً، وهو أحد العمرين اللذين كان النبي – صلى ا عليه وسلم – يدعو ربه أن يعز الإسلام بأحدهما. توفي سنة ثلاث وعشرين للهجرة وكان ابن ثلاث وستين[625].

15. الفضيل بن عياض:

أبو علي فضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي. روى عن الأعمش ويحيى بن سعيد الأنصاري، وروى عنه سفيان الثوري وسفيان بن عيينه وعبد ا بن المبارك وغيرهم. وهو ثقة حجة عرف بالصلاح والورع. سكن مكة إلى أن مات فيها. توفي سنة سبع وثمانين ومائة [626].

16. مجاهد بن جبر:

أبو الحجّاج المكي مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، شيخ المفسّرين والقرّاء، روى عن ابن عباس – رضي ا عنهما – وأخذ عنه التفسير والفقه، سكن الكوفة وكان كثير

([624]) **المرجع السابق**، ج4، ص(295) .

([625]) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، **صفة الصفوة**، تحقيق: محمود فاخوري ومحمد روّاس، دار المعرفة، بيروت، ط3، (1405هـ - 1985م)، ج1، ص(268 – 290).

([626]) العسقلاني، أحمد بن حجر، **تهذيب التهذيب**، دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، (1327هـ)، ج8، ص(294،295).

الأسفار والتنقل وكان فقيهاً ورعاً عابداً ومتقناً، وقد اختلف في سنة وفاته فقيل: توفي سنة ثنتين ومئة، وقيل سنة ثلاث ومئة [627].

17. محمود بن عمر الزمخشري:

أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي (الزمخشري)، ولد بزمخشر من قرى خوارزم، وقدم بغداد، وسمع الحديث وتفقه، ورحل إلى مكة فجاور بها وسمي جار الله [628]، كان إماماً في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم كبير الفضل معتزلي المذهب. وله كثير من التصانيف منها: الكشاف في التفسير، الفائق في غريب الحديث، المفصّل في النحو، جواهر اللغة وغيرها كثير. توفي – رحمه الله – سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة [629].

18. النعمان بن بشير – رضي الله عنه -:

أبو عبد الله النعمان بن بشير بن ثعلبة بن سعد الأنصاري الخزرجي، وأمه عمره بنت رواحة، أخت عبد الله بن رواحة – رضي الله عنه -. ولد قبل وفاة الرسول

– صلى الله عليه وسلم - بثماني سنوات، وهو أول مولود للأنصار بعد الهجرة. روى عنه ابناه محمد وبشير، والشعبي، وعبد الملك بن عمير، وغيرهم.استعمله معاوية – رضي الله عنه – على حمص، ثم على الكوفة. واستعمله عليها بعده ابنه يزيد بن معاوية، وكان هواه مع معاوية وميله إليه وإلى ابنه يزيد، فلما مات معاوية بن يزيد دعا الناس إلى بيعة عبد

([627]) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط2، (1402هـ - 1982م)، ص (449-451).

([628]) كحّالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1376هـ - 1957م)، ج6، ص(186).

([629]) الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء**، دار الفكر، ط3، (1400هـ - 1980م)، ج19، ص(126، 127).

ابن الزبير بالشام، فخالفه أهل حمص، فخرج منها، فاتبعوه وقتلوه، توفي سنة أربع وستين في ذي الحجة [630].

19. نوف البكالي:

أبو يزيد نوف بن فضالة الحميري البكالي، وهو ابن امرأة كعب الأحبار وكان إماماً لأهل دمشق، وقع ذكره في الصحيحين في حديث سعيد ابن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب في قصة موسى والخضر – عليهما السلام – وكان راوياً للقصص [631].

20. هند بنت أمية – رضي الله عنها -:

أم سلمة هند بنت أمية زوج رسول الله – صلى الله عليه وسلم -، هاجرت إلى الحبشة مع زوجها أبي سلمة الهجرتين. قالت أم سلمة: لما أصبت بأبي سلمة قلت: اللهم عندك أحتسب مصيبتي هذه، فلما انقضت عدتها أرسل إليها أبو بكر يطلبها فأبت، ثم أرسل إليها عمر فأبت. ثم أرسل إليها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالت: مرحباً برسول الله - صلى الله عليه وسلم -. توفيت أم سلمة سنة تسع وخمسين، وقبرت بالبقيع وهي ابنة أربع وثمانين سنة – رضي الله عنها – [632].

---

(630) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزريّ، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: محمد إبراهيم ومحمد عاشور، دار الشعب، (د. ت)، مج5، ص (326 – 328).

(631) العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، ج10، ص(490)، (مرجع سابق).

(632) ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، ج2، ص(40 – 42)، (مرجع سابق).

فهرس الأعلام

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: تفسير القرآن الكريم.

الألوسي، أبوالفصل شهاب الدين السيد محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والـسبع المثاني**، ط3، 10مج ، دار الفكر، بيروت، (1431 هـ - 1983م).

البغوي، أبومحمد حسين بن مسعود الفراء، تفسير البغوي **المسمى معـالم التنزيـل**، تحـقيق: خـالد العك ومـروان سـوار، ط1، 4مـج، دار المعرفـة، بيـروت، (1406هـ - 1986م).

البقاعي، أبو الحسن ابراهيم بن عمر، **نظـم الـدرر في تناسـب الآيـات والـسـور**، ط1، 22مج ، دار المعـارف العثمـانية، (1395هـ-1975م).

الثعالبي، سيدي عبد الرحمن بن محمد ، **الجواهر الحسان في تفسـير القـرآن**، تحقيـق: أبـو محمد الغماري، ط13، مج، دار الكتب العلمية، بيروت، (1416هـ-1996م).

الجزائري، أبوبكر جابر، **أيسر التفاسير لكلام العلـي الكبيـر**، ط2، 4مـج ، راسـم للدعايـة والاعلان، جدة، (1407هـ-1987م).

ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي ، **زاد المسـير في علم التفـسـير**، ط1، 9مج ، المكـتب الإسـلامي للطباعـة والنشـر، بيروت، (1385هـ-1965م).

حجازي، محمد محمود، **التفسير الواضح**، 3مج ، دار التفسير للطباعة، الزقازيق، (1957م).

حسن خان، صدّيق، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، 10مج ، دار الفكر العربي، (1289هـ)، (د. ط).

الحنبلي، عمر بن علي بن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل أحمد وعلي معـوض، ط1، 20مج، دار الكتب العلمية، بيروت، (1419هـ-1998م).

حوّى، سعيد، **الأسـاس في التفسير**، ط1، 11مـج، دار الـسـلام، القـاهرة، (1405هـ ـ - 1985م).

أبو حيان، محمد بن يوسف، **البحر المحيط**، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، ط1، 7 مـج ، دار الكتب العلمية، بيروت، (1413هـ - 1993).

الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، **التفسير الكبير**، 8مج ، دار الفكر، بيروت، (1398هـ ـ - 1993م)، (د، ط).

رضا، محمد رشيد ، **تفسير المنار**، ط، 7مج ، الهيئة المصـرية العـامة للكتب، (1972م).

الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمـنهج**، ط1، 16مـج ، دار الفكـر، بيروت، (1411 هـ - 1991م).

الزمخشري، أبوالقاسم محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، 4مج ، دار المعرفة، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

أبو السعود، محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، **تفسير أبي السعود أوإرشادالعقل السليم إلـى مزايا الكتاب الكريم**، ط1، 5مج ، دار الفكر، بيروت، (1401هـ - 1981م).

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد، **تفسير الـسمـرقندي المـسمى "بحرالعلـوم"**، تحقيق: علي معوّض وآخرين، ط1، 3مج ، دار الكتب العلمية، بيـروت، (1413هـ ـ - 1993م).

الشعـراوي، محمد متولي، **تفسير الشعـراوي**، 9مج ، أخـبار اليوم، (1411هـ ـ - 1991م)، (د، ط).

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، تحقيـق: صلاح الدين العلايلي، 10مج، دار احياء التراث العربي، (د. ط)، (د. ت).

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير بين فني الرواية والدراية من علـم التفـسير**، تحقيق: هشام البخاري وخضر عكاري، 5مج، المكتبة العصرية، بيروت، (1418هـ ـ - 1997م)، (د، ط).

الشيرازي، ناصر مكارم، **الأمثل في تفسير كتاب ا المنزل**، ط1، 20مج ، مؤسـسة البعثـة، بيروت، (1413هـ -1992م).

الصابوني: محمد علي، **قبس من نور القرآن الكريم**، ط1، 8مج ، دار الـسلام، (1418هـ ـ - 1997م).

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل أي القرآن (مختـصر وتهـذيب)**، تحـقيق: صلاح الخـالدي، ط1، 7مج ، دار القلم، دمشـق، (1418هـ -1997م).

ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، 15مج، دار سحنون، تونس، (د. ط)، (د.ت).

ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيـز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط1، 5مج، دار الكتب العلميـة، بيـروت، (1413هـ ـ ـ 1494م).

القاسمي، محمد جمال الدين ، **تفسير القاسمي "المسمى محاسن التأويل"**، تحقيق: محمـد فـؤاد عبد الباقي، ط3، 10 مج، دار الفكر، بيروت، (1385هـ ـ 1965م).

القرطبي، أبـو عبد ا محمد بن أحمد الأنصـاري، **الجامع لأحكام القرآن**، 20 مـج، (د. ط)، (د. ت).

قطب، سيد، **في ظلال القران**، ط9، 6مج ، دار الشروق، (1400هـ -1980م).

ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، **تفسير القران العظيم**، ط، 4مج، دار الفكر، بيروت، (1401هـ - 1981م).

مخلـوف، حسـنين محمد، **صفوة البيان لمعاني القـران**، 2مج، دار الفكر، بيـروت، (د. ط)، (د. ت).

المراغي، أحمد مصطفى ، **تفسير المراغي**، ط5، 10 مج، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (1394هـ - 1974م).

مغنية، محمد جواد، **التفسير الكاشف**، ط3، 7مج ، دار العلم للملايين، بيروت، (1981م).

النسفي، أبو البركات عبد ا بن أحمد بن محمود، **تفسير النسفي المسمى "بمدارك التنزيل وحقائق التأويل"**، 2مج ، دار الفكر، بيروت،(د، ط)، (د. ت).

النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: عادل أحمد وآخرين، ط1، 4مج ، دار الكتب العلمية، بيروت، (1415هـ-1994م) .

ثالثاً: القصص القرآني وعلوم القرآن

الخالدي، صلاح الدين عبد الفتاح، **القصص القرآني "عرض وقائع وتحليل أحداث"**، ط1، 4مج ، دار القلم، دمشق، (1419هـ- 1998م).

الخطيب، عبد الكريم، **القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور**، 1مج، مؤسسة الرسالة، (1404هـ - 1984م)، (د، ط).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **الإتقان في علوم القرآن**، ط4، 1مج، مطبعة مصطفى البابي، مصر، (1398هـ- 1978م).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **لباب النقول في أسباب النزول**، تحقيق: ياسر عزّب، 1مج، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د، ط)، (د. ت).

الشعراوي، محمد متولي، **قصص الأنبياء**، 4مج، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، (1416هـ- 1996م)، (د، ط).

طبّارة، عفيف عبد الفتاح، **مع الأنبياء في القرآن الكريم**، ط11، دار العلم للملايين، بيروت، (1982م).

العارف، هشام فهمي، **سيرة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في القرآن المجيد والأحاديث الصحيحة**، ط1، دار البشائر الإسلامية، (1417هـ-1996م) .

عباس، فضل حسن، **القصص القرآني "إيحاؤه ونفحاته"**، ط1، دار الفرقان، عمّان، (1407هـ - 1987م).

الفقيهي، علي بن محمد ناصر، **منهج القرآن في الدعوة الى الإيمان**، ط1 (1405هـ - 1984م).

ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، **قصص الأنبياء**، ط1، 1مج، دار الفكر، بيروت، (1403هـ - 1983م) .

المولى، محمد أحمد جاد وآخرون، **قصص القرآن**، ط1، 1مج ، دار الفكر، بيروت (1389هـ - 1969م) .

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، **نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد**، ط1، 1مج، دار القلم، دمشق، (1410هـ - 1990م).

النجار، عبد الوهاب، **قصص الأنبياء**، ط2، 1مج ، دار الفكر، بيروت، (د. ت).

النشرتي، حمزة وآخرون، **موسوعة القصص القرآني**، 10مج، المكتبة القيمة، القاهرة، (د، ط) (د. ت).

رابعاً: الحديث الشريف والسيرة النبوية

ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد، **النهاية في غريب الحديث**، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود محمد، 5مج، المكتبة الإسلامية، (1383هـ - 1963م)، (د، ط).

الأصبحي، مالك بن أنس، **الموطأ**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، 2مج ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1406هـ -1985م)، (د، ط).

البخاري، أبو عبد ا محمد بن اسماعيل بن إبراهيم، **صحيح البخاري**، 3مج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، ط1، 7مج، دار الكتب العلمية، بيروت، (1405هـ - 1985م).

أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، 4مج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**، 1مج، المكتبة التوفيقية، (د. ط)، (د. ت).

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي عبد المجيد، ط2، 10مج، مكتبة التوعية الإسلامية، (1405هـ - 1985م).

العسقلاني، أحمد بن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، 14مج، دار الفكر، بيروت، (1379هـ)، (د، ط).

ابن ماجة، أبو عبد ا محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجة**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، 2مج، دار البيان للتراث، (1373هـ - 1954م)، (د، ط).

مسلم، أبو الحسين محمد بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، 5مج، دار الفكر، بيروت، (1403هـ - 1983م)، (د، ط).

النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف، **صحيح مسلم بشرح النووي**، ط2، 9مج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1392هـ - 1972م).

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، **سيرة النبي صلى ا عليه وسلم**، 4مج، دار الفكر، بيروت، (1401هـ 1981م)، (د، ط).

خامساً:- الدعوة والتزكية والأدب والفكر

إسماعيل، طالب بن محمد، **أساليب المحاورة في القرآن الكريم**، 1مج، دار زهران، (د.ط)، (د.ت).

الألمعي، زاهر عواض، **مناهج الجدل في القرآن الكريم**،1مج، مطبعة الفرزدق، (د. ط)، (د. ت).

إلهي، فضل، **من صفـات الداعـية (اللين والرفق)**، ط1، مكـتبة المعـارف، الريـاض، (1411هـ - 1991م).

بكّار، عبد الكـريم، **مقـدمات للنهوض بالعمـل الـدعوي**، ط1،1مـج، دار القلـم، دمـشق، (1420هـ - 1999م).

البيانوني، محمـد أبو الفتح، **المـدخل إلى علم الدعـوة**، ط3،1مـج، مؤسـسـة الرسـالة، (1415هـ - 1995م).

ابن تيمية، تقي الدين أحمـد بن عبد الحليم، **العبودية في الإسـلام**، تفسير قول ا تعالى: "يـا أيها الناس اعبدوا ربكم"، ط3، المطبعة السلفية، القاهرة، (1398هـ).

جـريشـة، علي، **منـاهـج الدعـوة وأسـاليبـها**، ط1، دار الـوفـاء، (1407 هـ - 1986م).

جـريشـة، علي، **أدب الحـوار والمـناظـرة**، ط1، دار الـوفـاء، المنصـورة، (1410هـ - 1989م).

الحاشدي، أبو عبدا فيصل بن عبده، **فن الحوار" أصوله، آدابه، صفات المحاور"**، امـج، دار الإيمان، الإسكندرية، (د. ط)، (د. ت).

ابن حبان، أبو حاتم محمد بن معاذ، **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، تحقيـق: محمـد محيـي الـدين عبد الحـميد وآخـرين، 1مج، دار الكـتب العلمـيـة، بيروت، (1379 هـ - 1977م)، (د، ط).

الحبيب، طارق بن علي، **كيف تحـاور؟ "دليـل علمـي للحـوار"**، ط1، دار البيـت العتيـق، (1422هـ - 2002م).

حفني، عبد الحليم، **أسلوب المحاورة في القرآن الكريم**، ط2، الهيئة المصرية العامـة للكتـاب، (1985م).

حلمي، أمين، **الحوار الفكري في القرآن الكريم "المنـاظرة، والجـدال والمحاجـة"**، ط1، دار النهضة الإسلامية، (1997م).

الحمادي، علي، **منهجية التعامل مع الشبهات وقواعد دحضها**، 3ج، دار ابن حـزم، بيـروت، (1420هـ - 1999م)، (د، ط).

ابن حميد، صالح بن عبد ا ، **معالم في منهج الدعوة**، ط1،1مج، دار الأندلس الخضراء، جدة، (1420هـ - 1999م).

الخالدي، صـلاح عبد الفتاح، **الأتباع والمتبوعون في القـرآن**، ط1، دار المنـار، عمـان، (1417هـ - 1996م).

ديـماس، محمـد راشد، **فنـون الحـوار والإقناع**، ط1، دار ابـن حـزم، (1420هـ - 1999م).

الرحيلي، عبد ا بن ضيف ا ، **قواعد ومنطلقات في أصـول الحوار ورد الشبهات**، ط1، دار المسلم، الرياض، (1414هـ - 1994م).

أبو الروس، أيمن، **كيف تكون محدثاً لبقاً وتؤثر في الناس ؟**، مكتبـة ابـن سـيناء، القـاهرة، (1417هـ - 1996م)، (د، ط).

زيدان، عبد الكـريم، **أصـول الدعـوة**، ط2، 1مج، مـؤسـسة الرسـالة، (1407هـ - 1987م).

الشيخلي، عبد القادر، **أخـلاقيات الحوار**، دار الشـروق، عمـان، (1993م)، (د، ط).

الطريقي، عبد ا بن إبراهيم، **فقه التعامـل مـع المخـالف**، ط1، دار الوطـن، الريـاض، (1415هـ).

طنطـاوي، محمـد سـيد، **أدب الحـوار في الإسـلام**، 1مج، دار نهـضـة مـصر، (1417 هـ - 1996م)، (د، ط).

عبد العزيز، جمعـة أمين، **الدعوة "قواعد وأصول"**، ط2، دار الدعوة للطباعـة الإسـكندرية، (1409هـ - 1989م).

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، **العقد الفريد**، تحقيق: محمد عبد القـادر شـاهين، ط1، 4 مـج، المكتبة العصرية، بيروت، (1419هـ - 1998م).

عبيد، منصور الرفاعي، **الحوار "آدابه وأهدافه"**، ط1، مـركز الكتـاب للنـشـر، مـصـر، (1424هـ - 2004م).

عثمان، أكرم مصباح، **الأسرار العجيبة للاستماع والإنصات**، ط1، دار ابن حـزم، بيـروت، (1421هـ - 2000م).

العثمـان،حـمد بن إبراهيم، **أصول الجدل والمناظـرة في الكـتاب والسـنـة**، ط1، 1مـج، مكتبة ابن القيم، (1422هـ - 2001 م).

العسال، أحمد محمد، **مفاهيم أساسية في فقه الدعوة والتجديد**، تحقيق: عبد الحميد قطـب، دار التوزيع والنشر الإسلامية، (1418هـ - 1997م)، (د، ط).

العلواني، طه جابر فياض، **أدب الاختلاف في الإسلام**، ط3، المعهد العالمي للفكـر الإسـلامي، (1407هـ - 1987م).

عمارة، محمود محمد، **من أجل حوار لا يفسد للـود قـضية**، ط1، 1مـج، مكتبـة الإيمـان، المنصورة، (1421هـ - 2000م).

العوضي، هشام، **الإسـلاميون والحوار مع العلمانية والدولة والغرب**، ط1، دار ابـن حـزم، بيروت، (1418هـ - 1997م).

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، **إحياء علوم الـدين**، ط1، 5 مـج، دار الوثـائق، القاهرة، (1420 هـ - 2001 م).

فضل ا ، محمد حسين، **في آفاق الحوار الإسلامي – المسيحـي**، ط2، 1 مـج، دار المـلاك، بيروت، (1418هـ - 1998م).

فضل ا ، محمد حسين، **الحـوار في القـرآن "قـواعده، أساليبه، معطياته"**، ط6، 1 مج، دار الملاك، بيروت، (1421هـ - 2001 م).

كارنيجي، دايل، **كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس؟**، المكتبة الثقافية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

اللّبودي، منى إبراهيم، **الحوار "فنياته واستراتيجياته وأساليب تعلمه"**، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، (1413هـ - 2003م).

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، **أدب الدنيا والدين**، تحقيق: مصطفى السقا، 1مج، دار الكتب العلمية، بيروت، (1398هـ - 1978م)، (د، ط).

مشهور، مصطفى، **من فقه الدعوة**، 2 مج، دار التوزيع، (1415هـ - 1995م)، (د،ط).

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة**، 1 مج، دار القلم، دمشق، (1414هـ - 1993م)، (د، ط).

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، **فقه الدعوة إلى ا وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، ط1، 2 مج، دار القلم، دمشق، (1417هـ - 1996م).

النحلاوي، عبد الرحمن، **التربية بالحوار**، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، (1421هـ - 2000م).

الندوة العالمية للشباب الإسلامي، في أصول الحوار، دار التوزيع والنشر الإسلامية، (1419هـ - 1998م)، (د، ط).

هلال، محمد عبد الغني حسن، **مهارات إدارة الحوار والمناقشات**، ط1، مركز تطوير الأداء، مصر، (1999- 2000م).

الهيتي، عبد الستار إبراهيم، **كتاب الأمة "الحوار: الذات والآخر"**، ط1، دار الكتب القطرية، قطر، (1425هـ - 2004 م).

الوكيل، محمد السيد، **أسس الدعوة وآداب الدعاة**، ط2، دار الوفاء، المنصورة، (1406هـ - 1986م).

سادساً: الحضارة الإسلامية

الإبراهيم، موسى إبراهيم، **حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل**، ط1، 1 مـج، دار الإعلام، عمان، (1423هـ - 2003م).

البوطي، محمد سعيد رمضان، **حـوار حول مشكلات حضارية**، ط3، الدار المتحـدة للطباعـة، دمشق، (1410هـ - 1990م).

جيدل، عمار، **حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصـل الإنـساني**، ط1، دار الحامد، عمان، (2003 م).

الحسن، محمد علي، العلاقات الدولية في القـرآن والـسنة، ط1، 1 مـج، مكتبـة النهـضـة الإسلامية، عمّان، (1400هـ - 1980 م).

حسين، محمد محمد، **الإسلام والحضارة الغربية**، (د. ن)، (د. ت).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **مقدمـة العلامة ابن خلدون**، 1 مج، دار الفكـر، (د. ط)، (د. ت).

السّماك، محمد، **مقـدمة إلى الحـوار الإسـلامي**، ط1، المسيحي، دار النفائـس، بيـروت، (1418هـ - 1998م).

الطويل، توفيق، **الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية "دراسة مقارنـة"**، مكتبـة التـراث الإسلامي، القاهرة، (د. ط)، (د.ت).

الكروي، إبراهيم سلمان، **المرجع في الحـضارة الإسـلامية**، مركـز الإسـكندرية للكتـاب، (1999م)، (د، ط).

الميداني، عبد الرحمـن حسن حبنكة، **الحضـارة الإسـلامية أسسـها ووسـائلها**، 1مج، دار القلم، دمشق، (1418هـ - 1998م)، (د، ط).

الندوي، أبو الحسـن علي الحسيني، **الصـراع بين الفكـرة الإسـلامية والفكـرة الغـربية في الأقطـار الإسـلامية**، دار الـقلـم، الكـويت، (1400هـ - 1980 م)، (د، ط).

سابعاً: معاجم اللغة والبلدان

الأصفهاني، أبو القاسم الحسن بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، ط1، 2 مج، مكتبة نـزار مصطفى الباز، (1418 هـ - 1997 م).

البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقـاع**، تحقيق: علي البجـاوي، ط1، 3 مج، دار المعرفـة، بيروت، (1373هـ - 1954م).

الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربيـة"**، ط3، 6مـج، دار العلـم للملايين، (1404هـ - 1984م).

الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، **معجـم البلـدان**، 5 مـج، دار صـادر، بيـروت، (1404هـ - 1984م)، (د، ط).

عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، 1مـج، دار الفكـر، بيـروت، (1401هـ - 1981م)، (د، ط).

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، **معجـم مقـاييس اللغـة**،6مـج، دار الفكـر، (1399هـ - 1979م)، (د، ط).

مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، 2مج، دار إحياء التراث، (د.ط)، (د.ت).

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسـان العـرب**، 15مـج، دار صـادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

ثامناً: التاريخ والتراجم والسير

ابن الأثير، ابو الحسن علي بن محمد الجزري، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: محمـد إبراهيم ومحمد عاشور، 7مج، دار الشعب، (د.ط)، (د.ت).

الأصبهاني، ابو نعيم أحمد بن عبد الله، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ط3، 6مج، دار الكتاب العربي، بيروت، (1400هـ - 1980م).

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، **صفة الصفوة**، تحقيق: محمد فاخوري ومحمد روّاس، ط3، 4مج، دار المعرفة، بيروت، (1405هـ - 1985م).

الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء**، ط3، 10مج، دار الفكر، بيروت، (1400هـ - 1980م).

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط2، 25مج، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1402هـ -1982م).

الزركلي، خير الدين، **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال)**، ط5، 8مج، دار العلم للملايين، بيروت، (1980م).

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، **الطبقات الكبرى**، 9مج، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، **تهذيب تاريخ دمشق**، تحقيق: عبد القادر بدران، ط2، 7مج، دار المسيرة، بيروت، (1399هـ - 1979م).

العسقلاني، أحمد بن حجر، **تهذيب التهذيب**، ط1، 12مج، دائرة المعارف النظامية، الهند، (1327هـ).

العسقلاني، أحمد بن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ط1، 4مج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1328هـ).

كحّالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين**، 8مج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1376هـ - 1957م)، (د، ط).

كحّالة، عمر رضا، **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، ط4، 5مج، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1402هـ - 1982م).

تاسعاً: الدوريات والمجلات الإسلامية

التويجري، عبد العزيز بن عثمان، **الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسـلامي، مجلـة الإسراء**، ع20، فلسطين، (1419هـ - 1998م).

الدّجاني، أحمد صدقي، **آفاق التعاون بين العالم الإسلامي والمجتمعات الأخـرى واستـشرافها بالحوار، مجـلة الإسـلام اليوم**، ع12، قطـر، (1415هـ - 1994م).

السمّاك، محمد، **المنتديات العربية وحـوار الحـضارات، مجلـة الاجتهـاد**، بيـروت، ع52، (1422هـ - 2002م).

الميلاد، زكي، **تعارف الحضـارات، مجـلة الكلمـة**، ع16، بيروت، (1997م).

An- Najah National University

Faculty of Graduate Studies

Dialogue in the Holy Qur'an

Prepared by

Ma'en Mahmoud Othman Damrah

Supervised by

Dr Mohammed Hafiz Al- Shraydeh

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Islamic Law (Shari'a) in Usol Ad - Din, Faculty of Graduate Studies, at An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2005

Dialogue in the Holy Qur'an

Prepared by
Ma'en Mahmoud Othman Damrah

Supervised by
Dr Mohammed Hafiz Al- Shraydeh

Abstract

My research consists of an introduction and four chapters. In the introduction, I clarified the concept of "dialogue" linguistically and conventionally I also explained the most important differences between the dialogue and argument.

In the first chapter, I introduced patterns of the dialogue in the Holy Qur’an through dialogue among messengers – peace be upon them –with their people. Besides to that, I explored the dialogue between Moses – peace be upon him – and the good man, Al Khader, in addition to the dialogue among the disciples and the masters who misled them on the day of resurrection. Finally, I came up with the most important lesson or advice from the dialogue in these examples.

In the second chapter, I discussed the principles of the dialogue and persuasion, beginning with the mutual respect among the talkers, then searching for the truth, and I ended this chapter by "kindness, flexibility, and gentleness" .

In the third chapter, I dealt with the rules of the dialogue and debate which include: active listening, the personality of the talker, the strategy of

ending the dialogue. Finally, I came up with several useful tips for a successful dialogue.

In the fourth chapter, I dealt with the dialogue of cultures with the respect of "Holy Qur’an", and I explained its rules and objectives. I came up with rules and morals which must be taken into consideration so as to make the dialogue constructive and successful.

I also recommended all preachers and talkers to be committed to these rules and moral.